عبد القادر السباعي

تحذير البرية
من النصيرية العلوية



تحذير البرية
من النصيرية العلوية
فضيلة الشيخ
عبد القادر السباعي
الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٢١٦ صفحة ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٧٣٢١
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
978-977-225-467-5

جميع الآراء الواردة بالكتاب تعبر عن رأى المؤلف وهو المسئول عنها وحده



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

السباعي ، عبد القادر .
تحذير البرية من النصيرية العلوية /
عبد القادر السباعي . - ط١ . - القاهرة :
مكتبة وهبة للطبع والنشر والتوزيع ، ٢٠١٧
٢١٦ صفحة ؛ ٢٤ سم
تدمك ٥ ٤٦٧ ٢٢٥ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - النصيرية (الشيعة)

أ- العنوان

٢٤٧,٩٦



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بدأ الرسول ﷺ نشر دعوته ، وإبلاغ رسالته ، والصدع بعقيدته ، بين أقوام كانوا من التشتت والتفرق والتمزق مايمكن أن يضرب بهم المثل في كثرة الشقاق ، وقسوة النزاع وغلظة الخلاف ، فلم يدم بينهم رابط ، ولم يستقر بينهم جامع ، ولم تتحد كلمتهم على أمر واحد قط وكانت الحروب تشتعل بينهم طويلاً ، وتضطرم بينهم كثيراً ، دون سبب يذكر ، أو دافع يعقل ، فتقضي على الأخضر واليابس ، وتذهب بالغالي والنفيس ، وتنتهي أجيال ، وتأتي من بعدها أجيال ، تفنى في هذه الحروب ، وينتهي ذكرها في هذه الصراعات ، دون أن يجنى من ورائها مكسباً ، أويحقق من بعدها هدفاً ، ولم يعرف في تاريخ هذه الحقبة من الزمان أن ظهر لهم اتفاق ، أوعرف عنهم اتحاد إلا عندما جهر الرسول ﷺ بدعوته ، وأعلن رسالته ، فظهر أهله وعشيرته ، فاتفقوا لأول مرة في حياتهم على عداوته ، واتحدوا على كراهيته ، واجتهدوا على الكيد له ، وإيذاء كل من يؤمن به أويصدقه ، واشتدت وطأتهم على تعذيب الفقراء والمستضعفين ، ومن ليس لهم نصير يقف وراءهم أويدافع عنهم ، ظنًّا منهم أنهم سوف يقضون على هذه الدعوة الوليدة ، والرسالة الفريدة ، ولكنهم في نفس الوقت قدموا أعظم عمل ، وخدموا هذا الدين من حيث لا يدرون ، فلم يدخل في الإسلام إلا من خالطت بشاشته شغاف قلوبهم ، واطمأنت خوالجهم وأحاسيسهم بصدقه ، وأيقن كل واحد منهم أنه عثر على الكنز الدفين ، والخير المبين ، الذي جاءهم من رب العالمين ، فكره كل واحد منهم عقائد الآباء والأجداد التي كانت على الكفر والشرك ، كما يكره أن يقذف في النار ، بل إن

واحدا من أكثر هؤلاء فقرا وضعفا استحب أشد أنواع العذاب ، ورضى بالهوان ، على أن يصاب الرسول ﷺ بشوكة تصيبه ، لذلك لم يكـن مـن السـهل ولا مـن الميسور على أي واحد منهم أن يتخلى عن هذا الدين الذي ضـحى مـن أجلـه بكل شيء في حياته ، وابتعد عن كل الناس في سبيله .

وعندما وصلت مراحل الدين إلى أعلى الدرجات وأسمى الغايات ، وأعلن الرسول ﷺ الجهاد في سبيل الله ، ومقاتلة الكفار والمشركين ، والمفاضلة بين أتباع الحق وأنصار الباطل ، كانت هناك وقتئذٍ تكتلات عقائدية ، ومجموعات دينية مختلفة ، تنامت قوتها ، وازداد نفوذها بمضي الوقت ، ولم يكن من السهل القضاء عليها أو اقتلاعها أو التغلب عليها في فترة قصيرة من الزمان ، بل قامت هذه المجموعات بتحصين نفسها ، وتجهيز قوتها ، وأخذ أهبتها ، بالشكل الذي يضمن لها صد هجمات المعتدين ، والبقاء في وجه المعارضين والسيطرة على مقدرات غيرها من التكتلات الأخرى ، التي قامت بنفس العمل ، واستعدت بكل مالديها لإثبات وجودها ، وفرض سيطرتها.

ومن أهم هذه القوى التي كانت موجودة في ذلك الوقت ، وكانت تمثل حجر زاوية في نطاقها ، تؤثر على غيرها وتفرض سيطرتها على من حولها ، وكان يعمل لها حساب ، ويخشى من بطشها ومن غضبها :

١ - الدولة الفارسية :

التي تسيطر على الجانب الشرقي من جزيرة العرب ، ويصل امتدادها مع ساحل الخليج العربي إلى تخوم العراق ، وسائر منطقة الشرق ، وهي أعظم دولة في وقتها وزمانها ، وأضفى ذلك نوع من القداسة على حكامهم من الكياسرة الذين وضعوا أنفسهم فوق مستوى البشر وادعوا أنهـم أبناء الآلـهـة ، لا يجوز لأحدٍ منازعتهم الحكم أو مشاركتهم السلطة وكانت كلمتهم نافذة ، وأوامرهم مطاعة ، ودخلوا في سلسلة من الحروب والصراعات ، فأظهروا قوة باطشة ، وظلماً بشعاً ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وقاموا بصولات وجولات في

أماكن متفرقة من العالم مما تسببت في إثارة الخوف والهلع في قلوب النَّاس منهم ، وخاصةً في بلاد العرب المتاخمة لهم ، والتي لاتملك من وسائل القوة ما تستطيع أن تدافع عن نفسها أمامهم ، فقد كان العرب من الضعف وقلة الحيلة الشيء الذي تسبب في سقوط بعض الممالك العربية العريقة تحت سيطرة الدولة الفارسية التي أرغمتهم على الخضوع لها ، والاستذلال لجبروتها وطغيانها وعلى رأس هؤلاء المنذر الثالث (ابن ماء السماء)

الذي أذل نفسه لهم وأظهر لهم الولاء وقدم لهم فروض الطاعة ، فقربه كسرى يزدجرد إلى مجلسه ، وحظى عنده بمكانة مرموقة ، وجعله واحداً من جلسائه في بلاطه وإيوانه ، وأضفى عليه لقب (مهشت) أي أعظم الأتباع ، ولكي يظهر المنذر شدة ولائه حشد كل طاقاته ، وسخَّر كل إمكاناته ووضعها تحت إمرة الفرس في حربهم ضد الدولة الرومانية ، ولقد منيت هذه القوات بخسائر عظيمة ، ولحقت بها هزائم فادحة ، فغرق عدد كبير منهم في نهر الفرات عند عبورهم من أرض الشام ، والأدهى من كل ذلك أن المنذر نفسه سقط صريعاً في معركة أطلق عليها (يوم حليمة) كانت ضد فريق آخر من العرب وهم الغساسنة الذين ارتموا في أحضان الدولة العظمى الأخرى وهي الدولة الرومانية فظهر العرب في صورة سيئة وشكلٍ مشين ، عندما يحارب بعضهم بعضاً نيابة عن أسيادهم ومن وضعوا كرامتهم تحت أقدامهم .

انتشرت في هذه البلاد منذ تأسيسها في القرن الثالث الميلادي العديد من العقائد الفاسدة والأفكار الغريبة والديانات الباطلة ، حتى غدت مرتعاً خصباً لكل الدعاوى الزائفة والشعوذات المضللة ، واشتهرت بينهم معتقدات منحرفة مثل الذرادشتية والمانية والمزدكية ، إلى أن أصبحت العبادة السائدة والتي تحميها الدولة وترعاها هي عبادة النار ، كل ذلك كان له أثر واضح في نفوس الناس ، وجعلهم مهيئين لاستقبال أشد الأفكار شذوذاً ، وأكثر الديانات ضلالاً .

ظهرت الدولة الفارسية على أنها حامية الوثنية وقبلة الانحراف العقائدي ، ومهبطاً لكل الدعاوى الشاذة وكانت تخشى على نفسها من انتشار الدعاوى الصادقة ، والأفكار البناءة ، والعقائد المستقيمة، سواء في داخل أراضيها ، أو في البلاد التابعة لها أو الخاضعة لنفوذها ، ولذلك سنت قانوناً يسمى (الأفست) يقضي بعقوبة الإعدام لمن يخالف المجوسية دين الدولة الرسمي .

٢- الدولة الرومانية :

تنتسب الدولة الرومانية لمدينة روما العتيقة التي فيها تكونت الدولة الفتية ، ومنها خرجت الجيوش التي تمكنت من تكوين أكبر إمبراطورية شهدها العالم وقتها والتي امتدت سيطرتها على معظم أنحاء المعمورة دهراً طويلاً من الزمان .

تبنت الدولة الرومانية الديانة المسيحية وتمسكت بها وجعلتها الديانة الرسمية للدولة ، وشهدت بين ربوعها الصراع المذهبي الذي نشأ بين الفرق المختلفة ، إلى أن وصل ذلك الخلاف إلى ذروته وكان سبباً مباشراً في تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين متنازعين وذلك فى عام ٣٩٥م، ففي الشرق ، تكونت الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) وعاصمتها القسطنطينية ، وهي المدينة التي أنشأها الإمبراطور قسطنطين الأول عام ٣٢٤م ، وكان يقع تحت نفوذها اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر المتوسط ومصر وشمال أفريقيا ، وهذا القسم تبنى المذهب الأرثوذوكسي ، وفي الغرب تقع الإمبراطورية الرومانية الغربية واتخذت لنفسها عاصمة وهي مدينة ميلانو وتبنت المذهب الكاثوليكي ، وامتدت في سائر الدول الأوروبية .

ونظراً لقيام الدولة الرومانية على النظام العسكري ، واهتمامهم الشديد بالحروب والتطلعات الخارجية والنزعات الاستعمارية كان الظلم متفشياً في كل مكان ، وكان الأسلوب المتبع والمفضل لديهم هو أسلوب القوة والظلم والقهر ، وكان الاعتماد الأكبر على القوة الجسدية ، والملكات العضلية ،

ولذلك انتشرت بينهم الرياضات القاسية والألعاب العنيفة التي تعتمد على مصارعات بين الرجال بعضهم بعضاً أحياناً ومع بعض السباع والحيوانات المفترسة أحياناً أخرى ، وعندما يتمكن أحد المصارعين من الآخر ويأخذ في ضربه بالسيوف والخناجر ، ترد عليه الجماهير الغفيرة في صيحات الإعجاب العالية وهم في قمة الهوس والنشوة .

وعندما ظهر الإسلام كانت الدولة البيزنطية هي التي تستولي على التخوم القريبة من بلاد العرب ، وكان على سدة الحكم آنذاك الإمبراطور هرقل الذي تولى السلطة عام ٦١٠م ، وكان وقتها الصراع المحتدم بين الفرس والروم على أشده ، وخاصةً في منطقة الشام وفلسطين ، وكان بينهما صراعات كبيرة ، وصولات الكر والفر ، وعندما نجح الفرس في هزيمة الرومان ودخلوا مدينة القدس استولوا على الصليب الحقيقي ـ كما هو معروف عندهم ـ ونقلوه إلى عاصمتهم المدائن نكاية في الرومان وعندما حاول هرقل استعادة الأماكن التي سقطت منه أعد جيشاً كبيراً جعل شعاره صورة المسيح ورمزه صورة العذراء ، فكان اهتمامه في المقام الأول إذكاء الروح الدينية وتشبيب المشاعر الروحية ، وقد استطاع هرقل استعادة مدينة القدس إلى سيطرتهم عام ٦٢٩م ، واستعاد الصليب الحقيقي ـ المزعوم ـ إلى مكانه وكان هذا الرمز أكبر انتصار لهم في ذلك الوقت .

لم يكن العرب ببعيد عن الذراع الطويلة للدولة الرومانية ، فقد أصيبوا بالفزع والهلع الذي ملأ قلوبهم من تلك الصولات والجولات من الحروب الطاحنة التي حدثت بين الفرس والروم ، وبين حالة الكر والفر التي تميزت بها هذه المرحلة بين هاتين القوتين العظيمتين ، وزاد ذلك من حالة الضعف والوهن التي أصابت أمة العرب لتواجد الدولة الرومانية القوية في بلاد الشام وفلسطين وشمال الجزيرة العربية ومصر ، وتواجد الدولة الفارسية على ساحل الخليج وعلى طول الحدود الشرقية .

وبمجرد احتضان الدولة الرومانية للنصرانية ، وجعلها الدين الرسمي أصبحت القبلة التي يتجه إليها نصارى العالم ، ويأووا إليها ، ويحتموا بها ضد أي اعتداءات توجه إليهم ، وكان ضمن هؤلاء النصارى مجموعة من العرب الذين عاشوا في منطقة نجران ، وكذلك الغساسنة الذين قطنوا الشمال .

٣- اليهود :

تعرض اليهود لكل أنواع الاضطهاد والعناد ، ولم يدخلوا بلداً إلاوطردوا منها ، ولم يحلوا في مكان إلاعذبوا فيه ، وعندما سيطرت الدولة الرومانية على منطقة الشام وفلسطين قام اليهود ضدهم ببعض الثورات وأبدوا بعض المعارضات ، فقوبلوا بقسوة بالغة ، وقمع شديد ، واضطهاد ليس له نظير ، وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة ، والمكوس العالية ، ففضلوا الخروج من هذه البلاد ، هرباً من بطشهم ، وفراراً من ظلمهم وكذلك الدولة الفارسية المجوسية لم تسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وضيقوا عليهم ، وطاردوهم في كل مكان يحلون فيه ، فلم يجد اليهود ملاذاً آمناً ، ومستقرًّا هنيئاً ، ينعمون فيه بالعيش لا في ظل الدولة الرومانية النصرانية ، ولا في ظل الدولة الفارسية المجوسية ، فاتجهوا صوب الجزيرة العربية التي وجدوا فيها فريقاً من اليهود وهم بني قينقاع قد سبقوهم إليها واستقروا فيها ، ولم ينغص عليهم أحد فى إقامتهم أوفى معيشتهم ، فاتجهوا صوب الجزيرة العربية التي كانت تمثل في هذه الحقبة من الزمان مركزاً تجاريًّا كبيراً ، وطريقاً للقوافل التجارية إلى المشرق والمغرب ، فتمركزوا في مناطق خاصة بهم ، وتجمعوا في أحياء عرفوا بها مثل خيبر وتيماء ويثرب ووادي القرى بالإضافة إلى منطقة اليمن والبحرين التي نزل فيها عدد منهم .

ومنذ هبوطهم في هذه الأماكن قاموا بالأنشطة التجارية التي سيطروا من خلالها على الوضع الاقتصادي في المنطقة بأثرها ، وقاموا بعلاقات تجارية مع الدول المجاورة مثل بلاد الشام والعراق وغيرهما من بقية الدول المجاورة ،

ومع ذلك فقد عاشوا في عزلة تامة عن المجتمعات التي آوتهم وسمحت لهم بالإقامة معهم وكونوا كيانات مغلقة بعيدة عن حياة الآخرين .

ذكر «ابن قتيبة» في حديثه عن أديان العرب في الجاهلية ، وكذلك «ابن حزم» في «جمهرة أنساب العرب» ، «وياقوت الحموي» في معجمه ، أن بعض العرب اعتنقوا اليهودية ودخلوا في عقيدتهم فظهرت مجموعات في حِمْيَر وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وبعض قضاعة ، كما ظهر بعضاً منهم في بعض قبائل الأوس وبني نمير وبعض غسان وبعض جذام ، ولم يكن ذلك بسبب اقتناعهم بالعقيدة اليهودية ولكن لعدة أسباب أخرى أهمها :

- وقوع بعض العرب تحت تأثيرالمال اليهودي الذي تلاعبوا به ببراعة فائقة ومهارة عالية ، فتحولت الأسواق العربية إلى أسواق يحتكرها اليهود ، ويتحكمون في كل صغيرةٍ وكبيرة فيها .
- نظرة العطف والرأفة بهم من كثرة البلايا والمصائب التي تعرضوا لها ، فالدفعة الأولى التي نزحت إلى بلاد العرب كانت من جراء اضطهاد الرومان لهم في الفترة من٧٠إلى١٣٥م على يد القائد الروماني تيطوس ، وفيها دمر أورشليم ونكل بهم وأذاقهم العذاب ، والذل المهين . والدفعة الثانية التي جاءت بعد ذلك كانت من القبائل اليهودية التي نجت من بطش الإمبراطور الروماني هادريان ، فسكنوا قريباً من إخوانهم الذين حلوا من قبل واستقر بهم الحال ، وطاب لهم المقام فنظر إليهم العرب نظرة عطف ورحمة .
- عندما حضر اليهود إلى الجزيرة العربية كانت عبادة الأصنام هي السائدة وهي المسيطرة على الأجواء العامة وعند مقارنة اليهودية التي هي دين سماوي بعبادة الأوثان والأصنام فإن العاقل سوف يميل إلى الأولى ولو خالطها الكثير من الممارسات الخاطئة ، أو الأفكارالباطلة .
- انتشار بعض العادات والتقاليد الفاسدة ، فكانت المرأة إذا مات لها أبناء صغار ورزقت بمولود نذرت أن تهوده حتى يعيش ، كما روى أصحاب

السنن والصحاح مثل أبو داود والنسائي وابن حبان وابن جرير مرويًا عن ابن عباس ، وكما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة:٢٥٦)

قال : « كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إذا عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ .

وعندما ظهر الإسلام ، وأعلن الرسول ﷺ دعوة التوحيد ، كان من المفروض على اليهود أن يؤيدوه ويؤازروه ضد عبادة الأصنام والأوثان المنتشرة في ذلك الوقت ، ولكنهم عارضوه وأنكروا عليه دعوته ووقفوا منه موقفاً عدائيًّا من أول يوم ، بل ودبروا له المكائد ، وأعدوا له المؤامرات ، وقاموا بعدة محاولات لقتله والتخلص منه ، إلى أن وصلت الأمور بينهما إلى الصدام المسلح والمعارك الحربية ، وانتهت إلى طردهم ليس من محيط المدينة المنورة فقط ، ولكن من سائر البلاد الواقعة داخل جزيرة العرب قاطبة ، ولم يتبق منهم إلا مجموعة قليلة في اليمن والبحرين .

أخذ الإسلام في الانتشار ، وقويت قبضته على المناطق التي ينزل فيها ، وانحسرت رايات الكفر والإلحاد ، وتساقطت الدول الكبرى والإمبراطوريات العظمى التي امتد بقاؤها دهراً طويلاً من الزمن إلى أن تصور البعض أنها باقية مابقي الزمان ، وموجودة مابقي الوجود ، ولكن جاء الوقت الذي يجب أن تسلم الأمانة إلى أصحابها ومن يقومون عليها حق قيام ، ولم يمض وقتٌ طويل حتى ارتفع صوت المؤذن ينادي بأعلى صوته نداء الحق وشعار التوحيد من فوق معاقل الشرك ، ومن أعلى منابر الظلم ، ومن شاهق منارات الوثنية ، انفتحت الأبواب واسعة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً متتالية وجماعات متوالية ، وطوابير متتابعة . غير أن الذين أضمروا الحقد في قلوبهم والغل في نفوسهم ، وأرادوا الكيد لهذا الدين ، والتخطيط لتحطيم هذه العقيدة لم يكن في مقدورهم إعلان ماخفي ، وإظهار ماانطوى ، وإبداء ماانضوى ، فوجدوا السبيل

الأمثل والطريقة الأفضل فى التستر بإعلان دخولهم في الإسلام ، ولم تكن نفوسهم قد صفت بعد من أدران الكفر ، ولم يقتلعوا بعد جذور الكراهية والضغينة من داخل قلوبهم ، بل كانوا يتشوقون دوماً إلى العودة إلى دينهم القديم ، ويمنون أنفسهم بالعودة إلى مجدهم التليد ، وعزهم الفاني ، ويتحينون الفرصة التي تمكنهم من الانقضاض على هذا الدين الذي بسط سلطانه ـ رغماً عنهم ـ على ربوع المعمورة ، وقضى على كل الأماكن الكفرية والشركية التي أقيمت لعبادة غير الله تعالى ، وأخمدت إلى الأبد مظاهر الوثنية والشرك والطغيان ، لذلك كان همهم الأكبر ، وتفكيرهم الأعظم في العمل في الخفاء ، وفي سرية تامة ، وبعيداً عن الأنظار لتقويض دعائم هذا الدين من أصولها والقضاء على سر قوته ، ومكمن عظمته ، بتفريق الشمل ، وتشتيت القوى ، ونشربذورالفرقة بين الأخوة المتحابين ، وفى ثنايا قلوب المؤتلفين ، بعد أن لبسوا لكل فريق ثوبه المناسب له ، وتكلموا معه باللسان الذي يفهمه ، وباللهجة التي يألفها ، منتهزين الفرص ، ومتصيدين الأخطاء التي كان من الممكن التغاضي عنها مع ضآلتها ، والتعالي عليها رغم بساطتها ، ولكن في وجود من يرويها ويرعاها ، ويعمل على زيادة الشقة ، وتوسيع الهوة ، واختلاق الأقوال والأفعال ، أتت ببعض ثمارها النكدة ، وتحققت بعض أهدافها الخبيثة .

ومن أكبر الشخصيات التي كان لها دور بارز ، ونشاط واضح ، في خلق الفتن ، وتأجيج الخلاف ، وتشتيت الأفكارهم :

١- **عبد الله بن وهب بن سبأ** : ويعرف بابن السوداء ، ولد في صنعاء باليمن من أب يهودي وأم حبشية ،وفي عهد عثمان ابن عفان أظهر دخوله في الإسلام، عندما علم أن هذا الدين قد تمكن من القلوب وانتشر في البلاد ، ولم يعد خافياً على أحد معرفة مدى قوته ، وشدة سيطرته ، ووفرة سطوته على قلوب أتباعه وعلى نفوس مؤيديه .

لقد احترقت أحشاء الرجل غيظاً وكمداً عندما رأى راية الإسلام عالية ، وأضواءه زاهية ، ونصرالله قد تحقق ، ونعم المسلمون بالأمن والأمان ، والسلم والسلام ، وانتشر بينهم الحب والوئام ، فأضمرذلك الشقى الكيد في قلبه ، وأظهر الإسلام ، وأراد أن يلعب نفس الدور الذي قام به شاؤل اليهودي من قبل ، عندما تقمص شخصية (بولس الرسول) حتى يكون في موقع يسهل عليه تغيير مايريد تغييره والجنوح بالإسلام حيث جنح اليهود من قبل بالنصرانية ، وساروا بها بعيداً عن المنهج الأصلي والأساس الصحيح .

أخذ ابن سبأ في التنقل والترحال من قطـر إلى آخـر ، ومـن بـلاد إلى بـلاد أخرى ، فذهب إلى الحجاز ثم البصرة عام ٣٣ هجـري ، وزار الكوفـة والشـام ومصر عام ٣٤هجري ، واستقر به المقام وقتاً فيها ، وكون له عدة مجموعـات من الأتباع ، ودخل عليهم عندما أظهر التقوى والورع ، وانطلق بين الناس على أنه من أهل البر والصلاح فانخدع به نفر كثير ، والتف حوله عدد كـبير ، فلمـا أمن شرهم ، واطمأن إليهم بدأ فى نشر دعوى الوصية والرجعة ، المعروفة عند اليهود ، فصدقه البسطاء من الناس ، والسذج من القوم ثم انتقل إلى الحديث عن فضل علي بن أبي طالب ، وأخبرهم بأنه ليس كغيره من بقية الناس لما يتمتـع به من الصفات والأخلاق والمميزات التي لا تتسـنى لأحـد سـواه ، وأنـه أحـق بالخلافة من غيره ، وانتقد الخلفاء الثلاثة الذين اغتصبوا الخلافـة مـن صـاحبها الأصلي ، والذي هو أحق بها منهم أجمعين . . . . . . ثم انتقل إلى نقد الخليفة الذي كان يحكم في ذلك الوقت وهو عثمان بن عفان فتكلم في حقه ، وانتقص من قدره ، وشكك في نزاهته ، وأثار الشبهات من حوله ، ونجح في تأليب عدد كبير من السذج والبلهاء على الخليفـة الزاهـد والحـاكم الـورع العابـد ، حيـث ساقهم خلفه ودخل إلى قلـب عاصـمة الإسـلام المدينـة المنـورة ، وأثـار فيهـا الرعب والفزع ، ونشر فيها الخوف والذعر ، إلى أن وصـل الأمـر إلى ذروتـه ، وتردت الأحداث إلى أن هبطت إلى قعر هوتـه ، وسـفك دم الخليفـة الزاهـد ،

والتقى العابد ، عثمان بن عفان في واقعة فريدة من نوعها ، غريبة في شأنها ، كللت هذه الصفحة بالسواد ، وأحاطت هذه الفترة بالرماد . كما لعب ابن سبأ دوراً بارزاً في تأجيج هوة الخلاف بين علي بن أبي طالب من ناحية وطلحة والزبير ومعهم عائشة من ناحية أخرى ، وتدخل حزبه في إفشال كل المحاولات للتفاوض والاتفاق والالتقاء بين الطرفين باستخدام وسائل الدس والكيد والوقيعة ، وكل ألوان الافتراء والكذب والخيانة ، ونجحت هذه المؤامرة في قيام معركة بين الطرفين كبدت الصف الإسلامي خسائر فادحة وهزائم لا تنجبر ، فقد سقط طلحة والزبير وهما من خيرة الصحابة ، ومن المبشرين بالجنة صرعى تحت أرجل الخيل وأسنة الرماح .

وأسرت عائشة رضي الله عنها ، وأعيدت إلى المدينة المنورة مرة ثانية ، وعندما تولى علي بن أبي طالب الخلافة كان من المفروض على ابن سبأ وفريقه أن يهدأوا وتنتهي دعواهم التي أزعجوا بها الخلق ، وأرقوا بها العباد ولكنهم لم يقتنعوا بهذا الأمر الذي تذرعوا به ، فتمادى في الغي والعبث ، وسار في طريق الغلو والضلال ، وأخذت دعوته منحى أكثر خطورة ، فأخذ يدعو إلى ألوهية علي بن أبي طالب ، وأن جسده يحتوي على جزئين وليس جزءا واحدا ، الجزء الأول ناسوتي مثل بقية البشر ، والجزء الثانى لاهوتي يربطه بعالم الآلهة . ثم كانت الدعوة الثانية من أن علي بن أبي طالب هو الوصي ، فمكانته من رسول الله ﷺ كانت كمكانة هارون من موسى ، ودرجته من النبوة فوق مستوى البشر ، وقربه من الوحي ليس كبقية الناس ولذلك فهو وصيه من بعده ، وحامل علمه ، وكاتم سره ، والمؤتمن على بقية أهله وذريته . وكانت الرجعة هي الدعوة الثالثة التي نشرها بين الناس ، فكما أن موسى بن عمران رجع مرة ثانية بعد لقاء ربه أربعين ليلة ، وكان بنو إسرائيل قد أعلنوا موته ، ونشروا خبر وفاته ، فإن النبي ﷺ سوف يعود مرة ثانية مثلما حدث مع موسى ، وكما أن علي بن أبي طالب يتمتع بنفس الدرجة ويصل إلى نفس المكانة فإنه

هو الآخر سوف يعود إلى الحياة مرة ثانية بعد موته . وعندما قتل علـي أنكـر ابن سبأ ذلك ، وأعلن أنه لم يقتل ، وأنه لايزال على قيد الحياة ، ولكـن الـذي حـدث هـو انفصـال الجانـب الناسـوتي عـن الجانـب اللاهـوتي ، وأنـه يسـكن السحاب ، وأن الرعد صوته ، والبـرق سوطه . كل هـذه الأفكــار لم تكـن مـن اختـراع ابن سبأ ولا من بنـات أفكـاره ، ولكنهـا عقائـد فاسـدة وأقـوال باطلـة ظهرت عند اليهود والنصارى ، وأراد ذلك الرجل بثها بين المسلمين ، ونشـرها بين الموحدين وللأسف فقد نجح ابن سبأ في نفث سمومه بين كثير من الأتباع الذين لم يكن لهم دراية بالعلوم الشرعية ولا القواعد الإيمانية ، فصدقوه وساروا خلفه ورددوا أقواله وأباطيلـه ، فكـان ذلـك سـبب في ظهـور كـثير مـن الفـرق والجماعات المتنازعة التي أحدثت شرخاً قويًّـا في جـدار الجسـد الإسـلامي ، وتصدعاً واضحاً في كيان العقيدة الإسلامية .

٢- **الرجل الثاني :** فهو نصراني من أهل العراق يقال له سنسـويه أو سـوسن أو يوحنا ، اصطنع الإسلام ، ثم تنصر بعد ذلك وعاد إلى عقيدته الأصلية ، كان قد اختلط بالمسلمين وتعرف عليهم ووجد فرصـته مـع شـاب صـغير وهو معبد بن عبد الله الجهني البصري ، الذي أعجب بذكائه ، وفطنته وحدة ذاكرته ، فصحبه ورعاه ، وحاد بينه وبين مصادر المعرفة الصحيحة ، ونفث في صدره ناقع سمومه وعشش في عقلـه فاسـد أقوالـه ، وباطـل أوهامـه ، وعلمه بعض العقائد الباطلة ، والأقوال الفاسدة وخاصة في موضوع القدر ، الذي من الممكن أن يجد رواجاً عند الذين دخلـوا في الإسـلام . كمـا أنـه سوف يترك أثرًا من الشك والريبة وسوء الظن عند ضعاف الإيمان وقليلي الخبرة في هذا المجال .

ومن لازالت عندهم آثار رواسب من عقائد اليهود والنصارى . يروي محمد بن أيوب بن حبيب أبو الحسن قال معاذ : قال ابن عون : صعد إلينا أبو نعامـة العدوي وكان أكبر من ابن عون ، فلما رآه ابن عون أجلسه إلى جنبـه فـقـال :

يا أبا نعامة ، متى تكلم الناس في القدر؟ قال : إنما تكلم فيه حيث تكلم سنوسيه ، وتابعه معبد الجهني ، قال معاذ : قال ابن عون : ياهؤلاء أرضوا الله وأشهدوا على شهادتنا . وينقل عن الأوزاعي قوله : إن أول من نطق بالقدر رجل من العراق يقال له سنسويه كان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد[1] كان من أكثر الموضوعات التي تناولها هذا الفريق موضوع خلق القرآن والإجماع ونفي الصفات الثبوتية لله تعالى . ثم انتقلت هذه الأفكار إلى الرافضة فانسلخوا بعيداً عن الجسد الإسلامي ، وتابعهم في ذلك المعتزلة بعد أن حمل هذه الأفكار عمرو بن عبيد وهو من رؤوس الاعتزال . وهكذا انتقلت هذه الأفكار إلي أوساط كثيرة من المجتمع المسلم فكانت سبباً في فساد عقائد كثير من الناس ، واشتغل الباقون بهذه البدع المتكاثرة ، والرد عليها وتفنيد أقوالها وإظهار عورها وتبيين باطلها . وبذلك استطاع ذلك الرجل أن ينقل معارك القتال ، فبدلاً من أن تكون في ساحات الوغى ضد الكفار والمشركين ، أصبحت في المساجد وفي دروس العلم ، ومجالس العلماء وفي الطرقات ، بل وفي داخل البيوت ، ظل الحال هكذا إلى أن جاء عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين للهجرة فأمر بقتله وصلبه[2].

ومن بعده حمل هذه الأفكار ونشرها بين الناس غيلان ابن مروان الذي عكف على تعليمها الصبيان وتبسيطها للعوام ، وكادت أن تكون فتنةً كبيرة إلى أن تدخل هشام بن عبد الملك ابن مروان الذي أمر بمحاكمته وقتله وصلبه[3] .

---

(١) شرح أصول الاعتقاد ٧٥٠/٣ ، الشريعة للآجرى ص٢٤٢ ، يراجع القضاء والقدر. عمر سليمان الأشقر ص٥

(٢) الكامل لابن الأثير ١٨٩/٤- النجوم الزاهرة لابن تغربردي ٢٠١/١

(٣) تاريخ الطبري ٢٨٥/٨

٣- **الرجل الثالث : وهو الهرمزان :** أو هرمز وهو أحد القادة الكبار في الدولة الفارسية أثناء الفتح الإسلامي ، وكان حاكماً لإقليم خوذستان ، وقائد الجيوش الفارسية في منطقة الأهواز في عهد الإمبراطورالفارسي يزدجرد الثالث، وعندما احتدم الصراع بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية الفارسية، التي استيقظت من نومها فوجدت جيرانها العرب قد أصبحوا فجأة مارداً عملاقاً يهدد كيانهم ، ويؤرق استقرارهم ، وينذر بهلاكهم ودمارهم واستئصال شأفتهم ، اضطروا لعقد صلح معهم في السنة السادسة عشرة من الهجرة ، ولم يستقر في طويتهم ولا في ضميرهم الوفاء بالعهد أو إقرار الصلح ، ولكنهم فعلوا ذلك كسباً للوقت ، وتنظيماً للصفوف ، وسرعان ما نقضوا العهد ، وأخلفوا الوعد ، وأغاروا بكل قوتهم على صفوف المسلمين ، الذين أخذوا لكل شيء أهبته ، ولكل موقف استعداده ، ووقع ذلك القائد الذي لا يشق له غبار في الأسر ، فحملوه إلى المدينة ، وأرسلوه إلى الخليفة مكتوف الأيدي ، وعليه تاجه وحليه ، فكأن حاله يعترف بأن زمن التيجان والصولجان قد انتهى إلى غير رجعة ، وأن الدنيا تغيرت ، والأحوال تبدلت ، وانفلق فجر جديد وعهد سعيد . لما وقف ذلك القائد أمام الخليفة عمر بن الخطاب قال له : يا هرمزان ، كيف رأيت وبال غدرك؟

فقال : ياعمر ، إنا وإياكم كنا في الجاهلية كنا نغلبكم إذ لم يكن الله معكم ، ولامعنا فلما كان الله معكم غلبتمونا ، قال : فما عذرك في انتقاضك مرة بعد مرة؟ قال : أخاف إن قلت أن تقتلني؟ قال : لا بأس عليك ، فأخبرني ، فاستسقى ماءً ، فأخذه وجعلت يده ترتعد ، قال : مالك ، قال : أخاف أن تقتلني وأنا أشرب ، قال : لابأس عليك حتى تشربه ، فألقاه من يده ، فقال : ما بالك ، أعيدوا إليه الماء ولاتجمعوا عليه بين القتل والعطش ، قال : كيف تقتلني وقد أمنتني؟ قال : كذبت ، قال : لم أكذب ، فقال أنس بن مالك :

صدق يا أمير المؤمنين ، قال ويحك ياأنس ، أنا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك (شقيق أنس) والله لتأتيني بالمخرج أو لأعاقبنك ، قال : إنك قلت لا بأس عليك حتى تشرب (وهـو لم يشرب) وقال أناس من المسلمين مثل قـول أنس ، فأقبل عمر على الهرمزان فقال : تخدعني والله لاتخدعني إلا أن تسلم ، فأسلم ، ففرض له ألفين وأنزله المدينة » .[1]

لم تهدأ نفس هذا الرجل الذي نجا من الموت والقتل عندما رأى بأم عينه سماحة المسلمين وبساطة أميرهم ، ولكن النيران التي كانوا يعبدونها من دون الله وأطفأها المسلمون إلى غير رجعة أشعلت قلبه حقداً وغلاًّ ، فبعد أن فشل في المواجهة العسكرية ، لم يجد أمامه من سبيل إلا التخطيط في الخفاء ، وتدبيرالمكائد ، وتجهيز الكوارث والمصائب ، والعمل على إحداث الفتن وتفتيت وحدة الصف الإسلامي ، وتفريق المسلمين أحزاباً متصارعة ، وأقساماً متناحرة .

لم يسلم عمر بن الخطاب الذي وفر له حياة كريمة ، وأنزله درجة عظيمة ، من الدسائس التي أعدها له ، ومن المؤامرات التي خططها لـه ، فكـــون خليـة سرية مكونة من الهـــرمزان وجفينة وكـــان من نصـــارى الحـيرة وأبـي لؤلـؤة المجــوسي (لما قتل عمر ابن الخطاب شهد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بأنه رأى الهرمزان وجفينة وأبو لؤلؤة يتناجون فيما بينهم في مكان بعيد ، فلمـا حل عليهم مرة واحدة نفروا منه وخافوا من بغتته فسقط مـن بيـنهم خنجـر لـه رأسان ونصابه في وسطه ، فاستغرب هـذه الهيئـة المريبـة ، فلمـا رأى الخنجـر الذي قتل به عمر على نفس الوصف أخبر الناس بهذه الواقعة ، فخرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب مشتملاً سيفه حتى أتى الهرمزان وقتله ، وأتى جفينة وقتله أيضاً ، ولما ولى عثمان بن عفان إمارة المؤمنين أمكن القماذبان بـن الهرمـزان من عبيد الله بن عمر ، وقال له : هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله ،

---

(١) شرح المنهج١٢/١١٤

فنظر إلى من حوله وقال لهم : إذا أردت قتله فهل تمنعوه مني ، قالوا لـه : لا ، قال : فإني تركته لله ، ففرح الناس فرحاً عظيماً واحتملوه علـى أعنـاقهم حتـى أوصلوه إلى بيته ، وقيل إن عثمان فدى القتلى من ماله الخاص[1]

وبذلك خرج مثلث الشر الذي يمثل رؤوس الفتنة في كل الاتجاهات المعادية للإسلام فمن ناحية خرج ذنب قادم من قبل الدولة الرومانية النصرانية ، والآخر قادم من ناحية اليهود ، بينما يظهر الثالث من ناحية الدولة الفارسية المجوسية ، انطلقوا في كل مكان ، وتجمعوا في كل البلاد ، وانتشر أتباعهم يؤيدون هذا مرة ، ويقفون في وجهه مرةً أخرى ، وينتقلون من هذا المعسكر ليقاتلوا بجانب معسكر آخر لا لأمور اعتقدوها ، أومبادئ اعتنقوها ، ولكن لإذكاء نار الفتنة لزيادة الشقة ، وتوسيع الفرقة ، والوقوف في وجه أي حل من الحلول التي من الممكن أن تؤلف بين الفريقين المختلفين ، وترضي الطرفين المتنازعين .

لقد عملت هذه القوى في الخفـاء ، واستمـر نشاطها دون انقطاع ، وكلما سقطت مجموعةً منهم ظهرت مجموعات أخرى تأخذ دورها ، وتحقق هدفها ، وتنشر فكرها ، يدفعهم الحقد ، ويكسوهم الغل ، ويحفزهم كراهية هذا الدين ، الذي كتب الله له البقاء ، وكتب على غيره الزوال والفناء . لقد جن جنون الخليفة العباسي (هارون الرشيد) عندما وقف فجأة على دخيلة أقرب الناس إليه ، وأحبهم إلى نفسه ، ومن سلمهم مفاتيح ملكه ، واستأمنهم على خزائن أمواله ، من البرامكة ، الذين وصلوا فى عهده من القـوة والتمكين ما لم يصل إليه أحـد من قبلهم قط ولا من بعدهم ، فهم أسرة كبيرة ترجع أصولهم إلى بني فارس وعندما دخلها الإسلام ، أعلنوا إسلامهم ، وأظهروا إيمانهم ، غير أن علاقاتهم بعقيدتهم الأولى لم تنقطع ، وظلوا يتحينون الفرصة لإحياء ماأندثر

(١) الإبداع في مضار الابتـداع ، الشيخ علي محفـوظ ص٢٨٩ ، تـاريخ الإسـلام ـ دكتـور حسن إبراهيم حسن ، الجزء الثاني

منها ، فقد كان جدهم الأكبر ((برمك)) سادن بيت النار في زمنه في مدينة بلخ ببلاد فارس ، وما كان له منازع في الحصول على هذا الشرف الذي توارثه أولاده من بعده ، فلما خمدت عبادة النيران ، اشتعلت في قلوبهم ، ووصلوا إلى تحقيق هدفهم الدفين عندما ظهر فى أوائل الدولة العباسية الذين قربوا الفرس على غيرهم ، عندما تقلد خالد بن برمك الوزارة في عهد السفاح والمنصور ، واتخذ هارون الرشيد ابن خالد قبل أن يلي الخلافة كاتباً له ، وأميناً لسره ، فلما وجد الإخلاص والتفاني في خدمته ولاه الوزارة عندما تولى الخلافة ، فعلا شأنه ، وذاع صيته ، وقويت شوكته ، وأصبح هو وأولاده كعبة الآمال وغدت تشد إليهم الرحال ، وصارت كلمتهم نافذة ، وأوامرهم في كل موقفٍ جاهزة ، فالقول قولهم والرأي رأيهم . وأشاروا على الخليفة أن يضيئوا الكعبة حتى يسهل على الحجاج والمعتمرين والمصلين أداء مناسكهم وعباداتهم في سهولة ويسر فوافق على ذلك ، فأوقدوا ناراً عظيمة تحيط بالكعبة من كل مكان ، ثم عمموا هذه الفكرة في كل المساجد ، فوضعوا في القبلة ناراً تضيء المسجد لكل المصلين . يقول العلامة أبو شامة في «الباعث» : «وأول من أحدث بدعة إيقاد النار في المساجد البرامكة ، لأن النار معبودهم ، أدخلوا في دين الإسلام مايموهون به على الطغام ، وهو جعلهم إيقاد النار ، وكأنها من سنن الإيمان ، ومقصودهم عبادة النيران ، وإقامة دينهم ، وهو أخسر الأديان ، حتى إذا صلى المسلمون وركعوا وسجدوا كان ذلك إلى النار التي أوقدوها» . يقول الإمام أبو بكر ابن العربي : «وأول من اتخذ البخور في المساجد بنو برمك يحيى بن خالد ، ومحمد بن خالد ، وملكهما الوالي أمر الدين ، فكان محمد بن خالد حاجباً ، ويحيى وزيراً ، ثم ابنه جعفر ابن يحيى ، وكانوا باطنية فأحيوا المجوسية ، واتخذوا البخور في المساجد ، وإنما تطيب بالخلوق وهو بالفتح نوع من الطيب قال بعض المؤرخين : إن البرامكة زينوا للرشيد وضع المجامر

في الكعبة المشرفة ليأنس المسلمون بوضع النار في أعظم معابدهم ، والنار معبود المجوس ، والظاهر أن البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الإسلام ، وسلطة العرب ، وإعادة الملك للمجوس وإنما فتك بهم هارون الرشيد لأنه وقف على دخائلهم »[١] .

هكذا أخذت كل فرقة تدبر أمرها بنفسها بأسلوبها وبطريقتها ، لتحقيق هدفها المنشود وأملها المعقود ، وهو القضاء على هذا الدين ، وتفتيت وحدة المسلمين ، فظهرت النتائج المشئومة من وراء هذه المؤامرات ، وتحقيق هذه المخططات في ظهور بعض الفرق التي تدعي ظلماً وبهتاناً انتسابها للإسلام ليس حبًّا فيه ، ولا هياماً به ، ولكن للإمعان في الضلال ، والغلو في الطغيان ، والتمسح ببعض مظاهره ، والتستر ببعض أعماله ، من أجل الانضواء تحت رايته ، والاختباء في ثنايا عباءته لكي يكون المكر شديداً ، والكيد سديداً والطعن في بؤرة القلب والفؤاد قاتلاً ومحكماً .

ضرورة كشف المستور :

مع أن النصيرية فرقة باطنية ظهرت في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي ، إلا أنها استطاعت الجمع بين العمل الخاص السري ، والعمل العام المعلن والجهري ، وهذا هو سر خطورتها ، ومكمن عداوتها . . . . . فقد نجحت في الحفاظ على أسرار عقائدهم ، وضربت طوقاً حديديًّا من الكتمان والسرية ، وعدم البوح بشيء من ملتهم لأحد الدخلاء أو الغرباء الذين لا يعنيهم الخوض فيما ارتضوه عقيدة لهم ، أودينا يدينون به أو الكشف عن أسماء قادتهم وزعمائهم الذين يتصدرون قيادة الفرقة وتوجيهها على طريقتهم الخاصة وعلى نظامهم المتداول بينهم ، وقد نجحوا في ذلك أيما نجاح ، فقد ظلوا دهراً طويلاً وزمناً بعيداً سرًّا من الأسرار ، يحيط بهم الغموض ، ويسربلهم عدم الوضوح ، ولم يستطع أحد من الناس كسر هذا الطوق ، أو التغلب على هذا السياج ،

(١) ابن جرير الطبري ((تاريخ الرسل والملوك)) ٢٤٣/٤

أو الخوض في سيرتهم ، أو الوصول إلى حقيقتهم . . . .ولم يكشف سرهم ، ويعلن أمرهم في نهاية الأمر إلا واحداً منهم . وفي نفس الوقت ظلت فرقة النصيرية تلعب دوراً واضحاً في الحياة العامة ، وتحتفظ لنفسها بمكانة ظاهرة في سير الأحداث ، وفي تعاقب الظروف ، وشكلت لنفسها كياناً منفصلاً تفاوضت من خلاله مع كل الأطراف المتواجدة على الساحة ، سواء في ظل الدولة الإسلامية ، أوخلال المرحلة الاستعمارية ، أو بعد ذلك في الفترة الاستقلالية ، وطوال هذه الفترات الزمنية الطويلة لم ينفرط عقدها ، ولم يتحلل وجودها ، ولم يندثر ذكرها ، بل ظلت متواجدة على الساحة تلعب بكل الأوراق المتداولة ، وتبرع في حصد النتائج الباهرة . ليس معنى ذلك أنهم لم يقعوا في أخطاء ، ولم يرتكبوا أرزاء ، كان من الممكن أن يكون لها تأثيرها المدمر . . . .بل على العكس تماماً فهناك الكثير من الجرائم والعديد من المصائب التي وقعوا فيها ، وكان لها وقعها الخطير وأثرها المرير ، والتي كان من الممكن أن تهز كيانهم وتمسح وجودهم ، إلا أنهم تفوقوا في صناعة الكر والفر والمكر والدهاء في الوقت الملائم وفي الزمن المناسب ، وتفننوا في تبادل الأدوار ، وتغيير الأفراد ، في تقديم الفرد المناسب ، وتأخير غير المناسب .

ومن أهم الملاحظات التي تظهر للباحث من أول وهلة :

أولا : عدم وجود مراجع معتمدة من الطائفة ، يعتمد عليها في البحث وفي الرجوع إلى الأصول المعتمدة ، والمراجع المعتبرة ، ولكن على غير المعروف عند كل الفرق فإن المراجع الموجودة بين أيدي الدارسين غير معترف بها عند أئمتهم ، ومن الممكن أن تكون صحيحة لمطابقتها حال الجميع ، وتعبرعن الواقع الذي يعيشونه ، والسلوك الذي يمارسونه ، ومن الممكن أيضاً أن تكون غير صحيحة لأنهم لم يعتمدوها ، ولم يعلقوا عليها ، ولم تكن شروحاتهم وملاحظاتهم لهذه المراجع متوفرة ولا موجودة فلم ينشروها ولم يتحملوا مسؤليتها ، ولم يتكفلوا بتبعاتها ، بل على العكس كلما ظهرت كتابات تبين

بعضا من معتقداتهم ، أوتوضح شيئاً من أفكارهم ومبادئهم ، كانوا يعلنون الحرب عليها ويتبرأون منها وممن أظهرها ونشرها بين الناس ، كل ذلك حتى تظل هذه الفرقة بمعتقداتها وأفكارها وكل مايخصها وينتمي إليها يظل في طي الكتمان ، وفي زوايا النسيان ، بعيداً عن النشر والإعلان ، أو الظهور والانتشار ، فقد فضلوا التخفي والابتعاد ، حتى لايتكبدوا مزيداً من المواجهات والصدامات التي ترتب عليها مزيداً من الضحايا وكثيراً من الخسائر .

وكلما ظهر كتاب يكشف سرهم ، ويظهر مخبوءهم سارعوا في إنكاره وعدم الاعتراف به ، ومهاجمته ومحاولة إظهار عوره ونقضه ، فكتاب ((الهفت الشريف))[1] أو ((الهفت والأظلة)) ويعتبر هذا الكتاب هو المرجع الأول لهم ، والمستند بكل مايدينون به ، عندما ظهر بين الناس ، وتمت طباعته وتداوله أعلنوا أنهم لا يعرفونه ، ولم يسمعوا عنه من قبل ، وتنكرله شيوخهم ، ونفوا أن يكون لهم علاقة به ، بل إن ادعاء نسبته إلى جعفر الصادق أو تلميذه المفضل بن عمر الجعفي نسبة باطلة ، وكلام عاري عن الصحة ، بعيد عن العقل ، ولا يؤكده النقل ، فحاشا لله أن تصدر مثل هذه الكتب عن الإمام الصادق أو أحد تلاميذه ، وهذا أمر ـ كما يستطرد شيوخهم ـ لا جدال فيه ، وكل مالم يصدر عن أئمتنا المعصومين فإننا نضرب به عرض الحائط ننبذه ظهريًّا وماهو لنا فنحن أدرى به ، ومانسب إلينا فنحن نبرأ منه . ومع ذلك فقد وجد العديد من المخطوطات لهذا الكتاب لدى الدارسين والباحثين والمهتمين بدراسات الفرق والمذاهب ، وكذلك الدراسات الشرقية عند المستشرقين .

- في عام ١٩٦٠م قام الأستاذ عارف تامر والأب عبده خليفة اليسوعي بنشر كتاب «الهفت والأظلة» عن طريق المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، على حساب دائرة (البحوث والدراسات بإدارة معهد الآداب الشرقية) .

---

(١) وكلمة الهفت جاءت في قاموس المعاني والمعجم الوسيط بمعنى : المطمئن من الأرض ـ أو المطر الذي يسرع في هطوله ، أو بمعنى الحمق الشديد .

- وفي عام ١٩٨١م تم نشر الكتاب عن طريق عارف تامر في دار مكتبة الهلال ، وتم إيداعه فى مكتبة الإسكندرية تحت رقم تسجيل٩٣٤-٢٩٧٠٨٢١ ، في ٢٣٢صفحة .
- كذلك قام الدكتور مصطفى غالب صاحب كتاب ((الحركات الباطنية في الإسلام)) بنشر ذات الكتاب تحت اسم ((الهفت الشريف)) فى٢٠/٤/١٩٧٧م ، عن طريق دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، وذكر في مقدمته أنه يمتلك فى مكتبته مجموعة من المخطوطات لهذا الكتاب ، أهدى بعضاً منها إلى المستشرق الألماني ((شتروطمان)) ، كما أعيد نشر الكتاب مرة أخرى في ١/١/٢٠٠٠م .

معنى ذلك أن الكتاب قد تم نشره أكثر من مرة ، وأودع العديد من المكتبات العامة ، وتم تسجيله فيها ، وأصبح له مكاناً معروفاً على المستوى المحلي والدولي ، وقام العديد من الباحثين والدارسين بتحقيقه ومراجعته والتأكد من صحته ومن كل كلمة فيه ، وقاموا بنشره وتحمل مسؤوليته ، ومر على ذلك زمناً طويلاً لم نجد من فريق المنكرين له أوالمشككين في صحته من خرج بكل قوة وجرأة وأظهر من الأدلة والبراهين ، وبما لايدع مجالاً للشك ، وأظهر الحجج الساطعة ، والبراهين الدامغة القاطعة على صحة كلامه ، وعلى صدق دعواه ، ولكننا لم نجد شيئاً من ذلك ، إلا التكذيب والإنكار؟! فماذا يفيد إذن هذا التكذيب وذلك الإنكار إذا لم يقم عليه دليل أو ينهض على قدم ؟ بل إن الكتاب الثاني الذي يعتبر أول كتاب يكشف سر هذه الطائفة ، وهو مايعرف بكتاب ((الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية)) والذي تم نشره في بيروت عام ١٨٦٤م وهو من تأليف سليمان أفندي الأذني ((الأضني)) ، نسبة إلى إقليم أضنة الذى ينتمي إليه ، ثم توالى نشره بعد ذلك في أماكن متعددة من حلب وبيروت وهناك نسخة مخطوطة منه مسجلة في مكتبة جامعة تورنتو تحت رقم ٣٩٠٧٢١في ٣١/٣/١٩٤١م ، وضمن الكتب العربية تحت رقم

٥٩٤٦٢/٥ ، ومع ذلك نجد واحداً من مشايخهم يخرج على الدنيا كلها ويتشدق بملئ فيه ويقول : ((إن كتاب الباكورة السليمانية من الكتب الوهمية التي اخترعها المبشرين والمنصرين ، بل إن سليمان الأذني هذا شخصية وهمية ولم ينزل من بطن أمه بعد)) هذه الاضطرابات الفكرية والعقائدية التي تسود هذه الطائفة تلقى بظلال كثيفة وغيوم حالكة من عدم الثقة ، وأن كثرة استخدامهم لما يعرف عند طوائف الشيعة « بالتقية » جعلهم يعيشون في حالة من الكذب المتواصل والذي لا ينقطع ، لدرجة أنهم يكذبون طلوع الشمس وهي في كبد السماء .

ثانيا : إن كل الكتب التى خلفوها وراءهم ، وكل المراجع المنسوبة إليهم ، والتى يستقون منها كل معلوماتهم ومعارفهم ، قد كتبت بأسلوب ركيك ، وبطريقة لا تمت إلى منتسبى العربية بصلة ، وكأن الذين كتبوها أعاجم أو خواجات ، ومعرفتهم باللغة العربية مشوهة أو ضئيلة جدا ، فالأخطاء النحوية كثيرة وبلا حساب ، ووضع الألفاظ فى مكانها الصحيح غير موجود ، واستخدام الألفاظ الدارجة أو الكلمات العامية أو اللهجات المحلية لا حصر لها ، بل هناك العديد من الكلمات التى لا يفهم لها معنى ، أو يقف لها عن غرض أو قصد ، وكأنها من الكلمات الدخيلة أو المستعربة ، والتى تم تداولها بين الناس وفرضت وجودها وأصبحت أمرا واقعا ، وهذا يرجح الرأى القائل بأن أصحاب هذه الفرقة منذ نشأتها وظهورها إما أن يكونوا من الفرس أو من اليهود .

ثالثا : بعد انقضاء هذا الوقت الطويل من الزمن ، وبعد ظهور كل هذا العدد من الكتب ، وبعد كل هذا التقدم فى وسائل الاتصال وتبادل المعلومات والمعارف ، لايمكن تصور أن تكون هناك سرية وكتمان لأى معرفة أومعلومة يحرص القوم على إخفائها أوإنكارها ، فالحقائق أصبحت ظاهرة واضحة ، والبيانات التى يريدها الإنسان أصبحت فى متناول الأطفال فضلا عن الكبار ،

بله الباحثين والدارسين ، كما لا يمكن أن يتصورعاقل أن ينكر القوم كل هذه المعلومات والمعارف التى نشرها المتخصصون فى دراسة هذه الفرقة ، والتى كشفوا فيها عن كل صغيرة وكبيرة عندهم ، ومع ذلك يتكرر منهم الإنكار والتكذيب فى كل مرة دون انقطاع أو حياء ، حتى أصبح موقفهم كمثل النعامة التى تعودت على دفن رأسها فى الرمال ، مع أنه كان من الأكرم لهم أن تكون عندهم الجرأة والشجاعة الأدبية والقدرة على الصدع بالحق الذى يعتقدونه ، وبالصواب الذى يتصورونه ، خاصة أن الأمور قد تغيرت كثيرا لصالحهم ، ولم يعد هناك أحد ينكر معتقده ، أو يتخلى عن دينه ، ولنا فى بلاد الهند أكبر مثال .

تمهيد :

لم يكن موضوع النصيرية هو موضوع اليوم فقط ، ولم يكن وليد التو واللحظة ، بل برز هذا الموضوع إلى سطح الأحداث وفرض نفسه على الواقع عدة مرات ، وسيطر على الأذهان في عدة وقفات ، وفي كل مرة يظهر سؤال ملح ، ويترآى أمام الأنظار استفهام واضح ، عن ماهية هؤلاء الأقوام الذين مازالوا يعيشون في هذه الحياة ، ويقومون بهذه الأفاعيل ، ويقترفون هذه الفظائع ، بكل قسوة وغلظة ، وكأنهم ينتقمون من كائنات متوحشة ، أومن بقايا أشباح مفترسة . . . . . دون أن تدري شيئاً عن حقيقة أمرهم ، أوعن أصول نشأتهم ، فكل الذي نعلمه عنهم مجرد بعض القشور التي لا تتغير ، وبعض الأقوال المرسلة التي لا تنفع .وعندما نشمر عن ساعد الجد والاهتمام ونشرع في البحث والدراسة نجد الأمر ليس بالبساطة التي يتصورها الإنسان ، فهناك غموض مقصود ، وضبابية متعمدة تحـول بين الوصول إلى الحقيقة وبين عامة الناس . ثم تظهر اهتمامات أخرى وقضايا وقتية تفرض نفسها وينشغل الناس بها . . . ثم سرعان ما تعود الاهتمامات بهذا الموضوع مرة أخرى عندما يظهر أتباع النصيرية في اقتراف مجزرة جديدة ضد أبناء الشعب السوري ، غير أنه لم يأت الوقت المناسب لمعرفة المزيد من المعارف والمعلومات عن هؤلاء القوم الذين يتمتعون بهذه الوحشية ، ويتلذذون بتلطيخ أيديهم من دماء المسلمين ، بل إن طغيانهم وجبروتهم وصل إلى درجة الافتراء العظيم والبطش الغشيم .

لقد تعودت أنظارنا ، وتكررعلى أسماعنا ما فعله الحكام العرب بالمسلمين من أبناء الحركة الإسلامية في العصر الحاضر ، من حشرهم في أقبية السجون المظلمة بأعداد هائلة وبقسوة بالغة لا نظير لها ، بغيرذنب ولا جريرة إلا لأنهم يتمسكون بكمال الإسلام وجلالـه ، يؤمنـون بـأن الإسـلام ديـن ودولـة ، عبـادة وسياسـة ، سـلم وحـرب ، رأينـا إعـدامات بغـير محاكمـة ، وإن كانـت هنـاك

محاكمات فهي صورية مضحكة ، أقرب إلى المسرحيات الهزلية منها إلى ساحة القضاء أو ميزان العدل . . . . . . رأينا كل ذلك في كل البلاد العربية بلا استثناء ، وذرفت القلوب دما قبل أن تذرف العيون دمعاً . . . .ومع ذلك فكل ذلك يهون إذا قورن بما يفعله حكام سوريا النصيريون ، ليس بأبناء الحركة الإسلامية فحسب ، بل بأبناء الشعب السوري بكامل أطيافه وسائر أشكاله . . . . على مدى ما يزيد عن أربعة عقود من الزمان بلا رادع من ضمير أو وازع من أخلاق . . .أذاقوا الشعب السوري العذاب أصنافاً بكل أشكاله وألوانه ، وكأنهم ينتقمون منهم لشيء في صدورهم ولأمر في نفوسهم .

لم يقتصر الأمر على الشعب السوري المسلم الشقيق ، بل امتد إلى الأراضي اللبنانية عندما انتشرت القوات السورية فى مناطق متفرقة من لبنان ظنًّا منهم بأنهم يقومون بعمل إنساني في إخماد نار الفتنة الطائفية التي أكلت الأخضر واليابس ودمرت الحقير والنفيس ، وإذا بنا نتفاجئ بأنهم هم الذين زرعوا الفتنة بين الناس ، وهم الذين أججوا الصراع بين أبناء الوطن الواحد . . . . .

بل إنهم لم يجدوا أمامهم من أعداء وسط هذا الصراع الطائفي الذي شمل العديد من الأصناف والأشكال إلا أهل السنة الذين سلطوا عليهم جام غضبهم ومستعر حقدهم . . . . . وعندما بدأت بشائر الربيع العربي تهب على بعض البلدان بإزاحة الحكام الذين تمرسوا في ظلم الشعوب وتمكنوا من سلب الأموال والسطوعلى الخيرات والمقدرات ، أراد بعض الأخوة السوريين الذين ذاقوا مرارة الظلم والهوان ، إظهار شيء من الاعتراض أو إبداء لون من حرية الفكر ، أو الجهر بالرأي الذي يرونه حق وصواب ، فتجمعوا في ساحة المسجد الأموي بدمشق وهتفوا ببعض العبارات المنددة بالنظام الحاكم ، فعلوا ذلك كما فعل إخوانهم في تونس وفي مصر وفي ليبيا وفي اليمن وفي سائر البلاد العربية ، فضلا عن الدول المتحضرة والمتقدمة ، غير أن الأمر في سوريا يختلف تماماً ، فقد حوصر هؤلاء الأفراد وأطلق عليهم الرصاص الحي ، وتم

حصدهم في الشوارع كما تحصد مجموعة من العصافير ، ومن بعدها تفاقمت الأمور ، وتطورت الأحداث ، وتوالت الفظائع التي لا يمكن أن تخطر على بال بشر . . . . .

عندئذٍ لم يكن الأمر يحتمل أكثر من ذلك ، والسؤال الذي تردد على الأذهان كثيراً لابد من الإجابة عليه بأسرع وقت ، وفي هذا الوقت تحديداً لا يحتمل التأخير ولا التسويف . . . . .فهؤلاء القوم لابد من كشف سرهم ومن فضح حقيقتهم ومن تعرية أفكارهم حتى يستبين للناس جميعاً ما كان خافياً عنهم هذه المدة الطويلة من الزمان . وعندما بدأت في تصفح بعضاً من كتبهم والعودة إلى ما تيسر أمامي من مراجعهم وقفت على بعض الحقائق الهامة التي لم تكن تخطرعلى بالي ومن أهمها :

أولاً : فى النواحي العقائدية : تصورت في بادئ الأمر أن هذه الطائفة تمثل شكلاً من أشكال المغالاة في أهل البيت ، كما تعودنا من بعض الطرق الصوفية في بلادنا ، أو كما تفعل بعض الفرق الشيعية في بعض البلدان الأخرى ، غير أن الأمر لم يكن كذلك ، ولم يكن الخطب بهذه البساطة ، فقد تكشفت الأمور من أول لحظة على كميات هائلة من الكفريات الصريحة التي لا تحتمل إلا معنًى واحداً وهو الكفر والخروج عن ملة الإسلام ، ليس فى ناحية بعينها ، أو في مسألة واحدة ، بل في كل كلمة يتلفظون بها أو يتحرك بها لسانهم أو يخطونها بأيديهم . . . .

ظهر الإمعان والكفر الصريح والضلال بادياً على السطح لا يحتاج إلى دليل أو برهان ، وبدا العناد والطغيان لدرجة لا يمكن قبولها أو السكوت عليها أو التغاضي عنها . لا يصلح وسط هذه التراكمات الكفرية الصريحة ، ولا يصح الرد على هذا الخروج الفج عن كل ما هو معروف ومألوف من قواعد الإسلام الثابتة والراسخة ، ولا يتناسب أن نرد عليهم بالنصوص الثابتة من الكتاب والسنة ، أو نضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في وسط هذه

الأقوال الشنيعة ، فليس هذا هو موضعها ولا مكانها اللائق بها ، بل من الواجب تنزيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن وضعها فى مثل هذه الأماكن ، وبجوار هذه الافتراءات الشنيعة .

ثانيا : فى العبادات : أى فى مجال الفرائض والأفعال التعبدية ، فعند كل الأديان والمذاهب والفرق نجد أصلا يتمسك به الجميع ، وأساسا يلتف حوله الأتباع ، وعملا لا يمكن التفريط فيه ، أو الابتعاد عنه ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، فلا تجد ملة ولا نِحْلة ليس فيها هذه الثوابت والأسس ، هناك البعض يشتط يمينا مرة ، والبعض يشتط يسارا مرة أخرى ، والبعض تكون له تأويلاته الخاصة به ، أو يتمسك بفهم سقيم خرج به عن الصف ، وابتعد به عن المجموع ، كل ذلك وارد عند دراسة الفرق الضالة والجماعات المنحرفة ، ولكن الأمر الذى لا يمكن قبوله ، ولا يجوز تصديقه هو أن نعرض عن هذه الأصول ، ونطيح هذه الفرائض ، ونلقى بها فى مكان سحيق ، ثم نخترع من عند أنفسنا شيئا جديدا ، أو أن نحضر من عند غيرنا شيئا عجيبا ، معنى ذلك أن الوفاض خاليا ، والجعبة فارغة ، وهذا هو عين ما حدث مع النصيرية ، التى اتجهت صوب النصرانية ، وقلدت كل ما يحدث فى الكنائس والأديرة ، بل ونقلت كل الترانيم والتراتيل ، وكل أشكال ما يسمونها صلاة ، والتى يرددونها ويكررونها ، ويطلقون عليها اسم (قداس) وهو نفس الاسم الذى يقال فى الكنيسة ، وهو أيضا نفس الاسم الذى يقال عند النصيرية ، وباقى الأشياء التى من الممكن أن يطلق عليها عبادة ما هى إلا نوع من التهريج أو الضحك على المجانين والسفهاء .

ثالثا : السلوك العام : لقد حدثت طفرة كبيرة فى حياة النصيريين فى الفترة الماضية ، فبعد أن كانوا من سكان الجبال العالية والقمم الشاهقة والأماكن الوعرة الشاقة ، وبعد أن كانوا هم أصحاب المهن الصعبة والأعمال القاسية ، تحول كل ذلك رأسا على عقب ، وانقلب الحال إلى مالا يمكن تصوره ،

وأصبحوا فى لحظة واحدة ، وبين عشية أو ضحاها من أصحاب القصور الفارهة ، والسيارات الحديثة ، والحياة المرفهة ، ويتقلدون المناصب الهامة ، وتحت أيديهم السلطات الخطيرة ، والخزائن الوفيرة ، غير أن روح العداء والكراهية لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة لا يتغير أو يتبدل ، نفس الحقد الدفين ، والكراهية المقيتة ، والقسوة البالغة ، معنى ذلك أن هذا موقف عقائدى ، ولادخل للعلاقات الاجتماعية فيه بصلة ، ويؤكد مدى الهوة العميقة الموجودة بين الفريقين ، ليس فى التاريخ القديم ، وعلى صفحات الكتب والمراجع القديمة فقط ، ولكن أيضا فى واقع الحياة ودنيا الناس ، وفى الطبيعة المعاشة بين الأفراد والجماعات .

إن الذى فعله ابن العلقمى ، وما قام به من خيانته لأرباب نعمته ، وأصحاب الفضل عليه من خلفاء بني العباس ، ونكران الجميل الذى أسدوه له ، وغدره لهم ، وانقلابه عليهم ، واتصاله بالتتار من وراء ظهورهم ، ويصل الغدر إلى أعلى درجاته عندما يقوم بالتحريض على قتل الخليفة ، وإبادة كل أسرته وجميع من حوله ، ولم يهدأ إلا بعد أن نفذ كل خطته ، وحقق كل أغراضه .

لم يكن ابن العلقمى وحده فى مجال الخيانة والغدر ، بل سار فى هذا الطريق كثير من أبناء هذه الطائفة ، حتى أصبح ديدنهم وعادتهم الغدر والخيانة ، ولذلك فكلهم عندهم الاستعداد الكامل للتحالف مع إبليس ، بل مع كل أبالسة الدنيا كلها من أجل القضاء على الإسلام ، وعلى كل من ينتمي إليه أو يحتمي فيه .

صفحات التآمر والخيانة :

عندما حمل المسلمون الأوائل مشاعل الهداية ، وبدأوا يجوبون أرجاء المعمورة لإخراج الناس من الظلمات التي عاشوا فيها ، وتعودوا عليها ، إلى نور الإيمان وحلاوة التوحيد ، قابلوا أصنافاً مختلفة من البشر ، وجابهوا أنواعاً متباينة من الناس ، فمنهم من كان صادقاً مع نفسه متلائماً مع أحاسيسه ومشاعره ، فاتخذ قراره بكل شجاعة وإقدام سواء كان ذلك القرار إيجابيًّا مع دعوة الإسلام أو سلبيًّا مبتعداً عنه ، ومنهم أيضا فريق آخر كان ضعيفاً لا يقوى على المواجهة ، ولا يتحمل الجهر بمكنونات نفسه ، فلما وجد الغلبة لغيره ، والسيادة لأعدائه ، ولم يجد مفرًّا يلجأ إليه ، ولا ملاذاً آمناً يحتمي فيه ، اضطر إلى إعلان إسلامه مع عدم قناعته به ، وإظهار إيمانه مع عدم صدق دعواه ، غير أن أصحاب هذا الفريق اتخذ سبيلاً آخر ، وأضمر في نفسه الشريرة ، أن يسلك سبيلا مختلفا ، فقد قرر أن يسلك سبيل الحرب الخفية والعداوة المستترة ، وأن يعمل جاهداً على التفريق بين جموع المسلمين ، وتشتيت شمل الموحدين ، وأن يفت في عضدهم ، لإضعاف قوتهم ، وتفريق وحدتهم ، فتفتقت قريحتهم على ماانطوت عليه سرائرهم ، وماتوصلت إليه غاية أفهامهم ، ومنتهى إدراكهم ، متأثرين بما كانوا عليه أيام كفرهم ، وفي عهد ضلالهم ، فنظروا إلى رسول الله ﷺ نظرةً فارسية كما كانوا ينظرون إلى حكامهم عندما تصوروا أن الدماء التي تجري في عروق الأسرة المالكة دماء زرقاء ، وهي غير الدماء التي تجري في عروق كافة الناس ، وسائر البشر ، ولذلك فإن الأسرة الحاكمة لها شيء من التقديس ، وتتمتع بنوع من التنزيه ، سواء كان ذلك في الجاهلية أو فى الإسلام ، فأعلنوا الولاء والطاعة لآل البيت ، وقالوا فيهم ماكانوا يقولونه في قياصرتهم ، وعباد نارهم ، ولم يكن ذلك بعفوية أو سذاجة أو حسن طوية ، ولكنهم قصدوا بذلك هدم بناء الإسلام ، وتقويض دعائم الإيمان ، وإتيان القواعد الثابتة من أصولها ، واجتثاثها من جذورها ، فلما رأوا رايات الإسلام ترتفع وجنود التوحيد تنتصر ، وقلاع

الإيمان أعلامها ترفرف ، وصوتها يزمجر ، في نفس الوقت الذي رأوا فيه أصنامهم تتهاوى وأوثانهم تحترق وتندحر ، فازداد حقدهم وكراهيتهم ، واشتطوا بعيداً في غلوهم وتطرفهم ، وللأسف ، وجدت هذه الدعاوى إقبالاً وتصديقاً من السذج والبسطاء ، وسار خلفهم كثير من البلهاء والدهماء ، فانشطرت الأمة إلى قسمين ، وانقسمت البلاد إلى فريقين ، كلٌّ يدعي صدق دعوته ، وسلامة حجته ، ووجد اليهودي الحاقد عبد الله بن وهب بن سبأ فرصته الثمينة في بث أقواله اللعينة ، ونشر أفكاره السقيمة ، فأعلن أن الإله حل في علي ، كما زعم بولس الرسول هذا الزعم في عيسى ابن مريم ، وبهذا الحلول أصبح جديراً بالتقديس والتبجيل ، ومحلاًّ للعبادة والتقدير ، دخلت هذه الفرية على عقول هؤلاء المخدوعين ، فذهبوا إلى علي بن أبي طالب وقالوا له أنت . . . .أنت!! أي أنت الإله؟ ففزع ابن أبي طالب من ذلك الكفر البواح ، وهذا الإجرام الصراح ، وارتاع من مقولتهم ، وانزعج من دعوتهم ، فحاول جاهداً إصلاح شأنهم ، وتوفيق أوضاعهم ، وإثنائهم عن هذه المقولات الكفرية ، وهذه الاعتقادات الشيطانية ، حاول إيضاح الحقيقية بكل الأدلة والبراهين ، وإزالة الغشاوة عن عيونهم ، غير أنهم تمادوا في غيهم ، وازدادوا في كفرهم ، فأراد علي بن أبي طالب أن يروعهم ، ويجعلهم عبرة لغيرهم ، وعظة للمخدوعين منهم ، فأنزل أقصى العقوبة عليهم ، وأمر رجاله بإحراقهم بالنار ، وتسعيرهم فيها حتى يذوقوا عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة . . . . . وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبرا

فصاحوا وهم يحترقون ، وتنادوا فيما بينهم وهم يتوارون ، أنه لا يعذب بالنار إلا رب النار ، فأنت أنت . . . .!! [1]

---

(١) الألوهية في المعتقدات الإسلامية ص١٠٨ ، وهناك من ينكر هذه الواقعة من أساسها لحديث رسول الله ﷺ الذي ينهي فيه عن الحرق بالنار : «لا تعذبوا بعذاب الله» ، وعلي بن أبي طالب لا يصدق عليه مخالفة أمر الرسول ﷺ .

بهذا القول يتضح أن التهور وصل ذروته ، والحماقة وصلت منتهاها ، فأصبح هؤلاء الطغام ألعوبة في أيدي الخبثاء والمأجورين .

- ساعد أيضاً على انتشار هذه الأفكار الضالة وتلك المعتقدات الباطلة ، عندما رأى هؤلاء الأتباع ذلك الاضطهاد والقتل والتشريد ، الذي تعرض له آل البيت من الحكومات المتعاقبة ، التى أخذت منهم موقفا عدائيا ، فتحول ذلك إلى شعور عميق بالتعاطف معهم ، والميل إليهم ، ومحاولة نصرتهم والوقوف بجانبهم .

وتأثرت بعد ذلك فرق الشيعة بكاملها فيما وقعت فيه اليهود والنصارى من قبل ، وكان ذلك سبب مباشر لنزول غضب الله عليهم ، وطردهم من رحمته ، وتوعدهم بالعذاب الأليم ، والخلود المقيم في نار الجحيم ، فاليهود شبهوا الخالق سبحانه وتعالى بالخلق ، فجعلوا الإله في توراتهم المحرفة ، وكتبهم المزيفة وصوروه على أنه ضعيف مهزوم أقل قدرة وعزيمة من كثير من الناس ، فوقعوا بذلك في الكفر ، وأما النصارى فقد جعلوا الخلق كالخالق سبحانه وتعالى ، فأضفوا على عيسى ابن مريم جميع صفات الكمال والجلال التي لا تكون إلا للإله الحق . . . . وأما عند الشيعة فقد خلطوا هذه المسائل بعضها في بعض ، فجعلوا الخالق كالمخلوقين ، كما جعلوا الخلق كالخالق ، وأضفوا على المخلوقين صفات الخالق ، وادعوا زوراً وبهتاناً أن الخالق حل في المخلوقين .

- افترقت الشيعة الإمامية بعد موت الإمام الحادي عشر «الحسن العسكري» إلى أربع عشرة فرقة ، لم تعترف بالإمام الثاني عشر «محمد بن الحسن العسكري» غير ثلاث منها فقط ، وأنكرت بقية الفرق أن يكون للحسن العسكري ولد أصلاً . . . ولا يمكن أن يكون له ولد ولا ذرية ، فهو لم ينجب من الأصل وكان عقيماً ، وهنا حدث اضطراب بين الأتباع واختلال في الموازين التي وضعوها بأيديهم ، وهذا ما أدى إلى الاختلاف بين فرق

الشيعة كلها في هذه المسألة إلى أربع عشرة فرقة ، كل واحدة لها رأي وتفسير وتبرير . وقالت إحدى الفرق الثلاث « التي اعترفت بالإمام الثاني عشر » : « إن للحسن بن علي (العسكري) ابناً سماه محمد ودل عليه وولد قبل وفاته بسنتين ، وقالت الثانية : بل ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر ، وإن الذين ادعوا له ولداً في حياته كاذبون مبطلون ، وقالت الثالثة : وهي فرقة الاثنا عشرية التي انضمت إليها سائر الفرق الإمامية الأخرى بعدئذٍ بهذين القولين ، وغَلَّبت الرأي الأول ، والغريب في الأمر أن فرقة من فرق الشيعة حين سئلت عن الإمام المهدي قالت: ماندري ما نقول في ذلك الإمام، أهو من ولد الحسن أم من إخوته ، فقد اشتبه علينا الأمر .[(١)]

(١) غير أن هذه الواقعة وردت في كتب الصحاح عند أهل السنة كالبخاري والبيهقي والطبراني وأحمد في مسنده ومصنف ابن أبي شيبة والنسائي والترمذي ، ووردت أيضًا في الكتب المعتبرة عند الشيعة كالكافي للكليني : كتاب الحدود ـ باب المرتد ، ونقل أيضًا عن الماماقاني كما رواه الكشي في كتابه « معرفة أخبار الرجال » ، وكذلك ابن شهراشوب ، وذكر الواقعة ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » ـ كتاب « جامع أحاديث الشيعة » ٣/٤٦٠ ـ كتاب « من لا يحضره الفقيه » الشيخ الصادق ٣/١٥٠-١٥١ .
روى البخاري عن عكرمة : أن عليًّا حرق قومًا ، فبلغ ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم ، لأن النبي ﷺ قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه ». وأما من طعن في الحديث من أجل عكرمة مولى ابن عباس ، فقد تكلم بهوى وجهل ، لأنه لم يثبت عليه ما يستحق رد حديثه ، قال الحافظ ابن حجر : « فأما البدعة فإن ثبتت عليه فلا تضر حديثه لأنه لم يكن داعية ، مع أنها لم تثبت عليه » فتح الباري ١/٤٢٥ .
وتفصيل قولهم : وتحريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهم جاء بإسناد حسن ذكره الحافظ ابن حجر ، وقد قال : وزعم أبو المظفر الإسفراييني في « الملل والنحل » أن الذين أحرقهم عليٌّ طائفة من الروافض ادعو فيه الألوهية وهم السبائية وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًّا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة ، وهذا يمكن أن يكون أصله ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص ==

إنا نقول : إن الحسن بن علي كان إماماً ثم توفى ، وأن الأرض لاتخلو من حجة ، ونتوقف ، فلا نقدم على شيء حتى يصح لنا الأمر ونتبين [1] .

وبذلك تكون الآراء قد اختلفت وتشعبت في أمر الإمام الثاني عشر الذي يطلقون عليه اسم ((المهدي المنتظر)) والذي دلت الأقوال والروايات أن أمره مشكوك فيه من أصله . . . ولكن الغريب فى الأمر أن الرأي الذى يترجح لديهم في النهاية حول مسألة الغيبة والرجعة التي نسجوا حولها الكثير والعديد من الأقوال الخارقة للعادة ، والبعيدة عن النصوص الشرعية ، ماهى إلا من بعض آثار العقيدة اليهودية التى قالوا بها ، وتأثروا بآثارها وساروا خلف ما قالته اليهود في مثل هذه المسائل المعروفة عندهم من قبل .

ظهور فكرة الباب :

ومن خلال هذه الأقوال المتعارضة ، ومن داخل هذه الأفكار المتصارعة يظهر محمد بن نصير النميري ، الذي كان قريباً من الإمام الحادي عشر ، فقد كان كاتباً له ، يقوم بكتابة كتبه ورسائله وتوقيعاته وتعليقاته وسائر مؤلفاته وتصانيفه، فلما مات الإمام ولم يترك من بعده من عقبه من يحمل تبعة الإمامة،

== من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال : قيل لعلي : إن هناك قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم ! فدعاهم فقال لهم : ويلكم ما تقولون ؟ قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا! فقال : ويلكم ، إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء ، وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا ، فلما كان من الغد غدوا عليه ، فجاء قنبر فقال : قد ـ والله ـ رجعوا يقولون ذلك الكلام ، فقال : أدخلهم ، فقالوا كذلك ، فلما كان من الثالث قال : لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة ، فأبوا إلا ذلك ، فقال يا قنبر : ائتني بفعلة معهم مرورهم ، فخد لهم أخدودًا بين باب المسجد والقصر ، وقال : احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود ، وقال : إني طارحكم فيها أو ترجعوا ، فأبوا أن يرجعوا ، فقذفهم بهم فيها » . فتح الباري ٢٧٠/١٢ .

(١) فرق الشيعة ص ١٠٦

خرج هذا الرجل في عام ٢٤٥ هجري بمعلومة حيث ادعى أن الإمام الحسن((صاحب العسكر))إن لم يترك من بعده إماماً ، فقد ترك باباً يوصل إليه ، ويحمل علمه من بعده ، ويرث حكمته ودرجته ، وأنه هو ذلك الباب ، لأن الإمام استأمنه على سره فهو كاتم سره ، ووارث علمه ، والقائم على حجته ، والمرجع لمن بعده .

- وقد كانت الأئمة إلى زمن غيبوبة المهدي هم مرجع الشيعة وقدوتهم ، وبما أنهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ، ويعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لايخفى عليهم شيء ـ على حسب ادعاء صاحب كتاب الكافي ـ فلا بد لكل واحد من الأئمة من (باب) يكون همزة وصل وحلقة الاتصال بين الإمام وشيعته مستندين في ذلك إلى أحاديث يقولون ويزعمون أنها مروية عن رسول الله ﷺ منها :

- « أنا مدينة العلم وعلى بابها » ، « ومن طلب العلم فعليه بالباب »[1] .

ولذلك فقد أولعت فرق الشيعة بفكرة الباب وانتشرت بينهم انتشار النار في

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم ١١٠٦١ ، والحاكم في المستدرك ٤٦٣٧ ، وابن المقرئ في معجمه رقم ١٧٥ ، والسهمي في تاريخه ص٦٥ ، والخطيب في تاريخه ٦٥٥/٣ ، وابن المغازلي في مناقب علي ص ١٢٠ ، وابن حبان في المجروحين ١٣٠/١ ، وابن عدي في الكامل ٣١١/١ ، والعقيلي في الضعفاء ١٤٩/٣ ، وأبو نعيم في المعرفة ٨٨/١ ، قال العلماء : هذا الحديث لا يصح من جميع طرقه ، وقد نص غير واحد على ذلك ، وأكثرهم على أنه موضوع ، قال العقيلي : « لا يصح في هذا المتن حديث» الضعفاء ١٤٩/٣ ، وقال ابن القيسراني : « هذا الحديث مما ابتكره أبو الصلت الهروي وأكذبه على منواله نسجوا ، تذكرة الحفاظ ص ١٣٧ ، وقال أبو بكر بن العربي : « هو حديث باطل » . أحكام القرآن ٨٦/٣ ، وقال الشوكاني : « ذكر هذا الحديث ابن الجوزي ، في الموضوعات من طرق عدة ، وجزم بطلان الكل وتابعه الذهبي وغيره ، الفوائد المجموعة ص ٣٤٩ . وقال الألباني في الضعيفة ٢٩٥٥ موضوع ، ورواه الترمذي في سننه ٣٧٢٣ وقال : منكر وذكر ابن تيمية من الموضوعات المكذوبات . الفتاوى ٤١٠/٤ .

الهشيم ، وأصبحت هذه الفكرة تراود أذهان الجميع لكي يصلوا إلى هذه الدرجة بعد أن استحال عليهم الوصول إلى درجة الإمامة التي أغلقت أبوابها في وجوههم وأصبح من المعروف أن لكل إمام بابًا يوصل إليه وينفتح عليه ، وقد رتب ابن نصير هذه الفكرة ووزعهم بمعرفته ، وبين كل إمام والباب المعروف به .

١- علي بن أبي طالب : بابه سلمان الفارسي .

٢- الحسن بن علي ، بابه : قيس بن ورقة المعروف بالسفينة .

٣- الحسين الشهيد ، بابه : رشيد الهجري .

٤- علي زين العابدين ، بابه : عبد الله الغالب الكابلي .

٥- محمد باقر الشمالي ، بابه : يحيى بن معمر بن أم الطويل.

٦- جعفر الصادق ، بابه : جابر بن يزيد الجعفر .

٧- موسى الكاظم ، بابه : محمد بن أبي زينب الكاهلي .

٨- علي الرضا ، بابه : المفضل بن عمر .

٩- محمد الجواد ، بابه : محمد بن المفضل بن عمر .

١٠- علي الهادي ، بابه : عمر بن الفرات (الكاتب) .

١١- حسن العسكري ، بابه : أبو شعيب محمد بن نصير .

وأما الإمام الثاني عشر فلم يكن له باب وبذلك ظلت صفة الباب ملازمة لابن نصير .

وعلى حسب هذا الزعم وذلك الترتيب فقد أوجد ابن نصير لنفسه مكانا لا يشاركه فيه أحد ولا ينازعه فيه منازع .

فكما أن النبي ﷺ قد أوصى لعلي فقال : (أنا مدينة العلم وعلى بابها) فإن الإمام الحسن العسكري هو أيضا الذي أوصى له بأن يكون هو الباب الموصل له ، والدال على علمه ، والمحافظ على خزائن حكمته .

استهوت هذه المسألة بعض الأتباع فالتفوا حوله وأيدوه في دعواه ، لأن الأمر من بدايته كان غلوًّا وافتراءً ، وتطرفا ، وسيراً خلف الأهواء الشخصية ، والمكاسب الذاتية .

وعلى وفق هذه الدعوى بدأ محمد بن نصير في الظهور وعالم الشهرة ، واتجهت كل الأنظار إليه ، فأظهر التقوى والورع ، وعرف بين الناس بالزهد والتقشف ، وأشاع فيمن حوله بأنه الوارث الوحيد لعلم الأئمة الذين تتابعوا إلى أن وصلوا إلى علم الإمام الحسن العسكري ، ولولاه لضاع هذا العلم ، واندثرت علوم الشيعة ، وتغير معالم هذا الدين ، وتبدلت أحكام الأئمة ، فهو الذي حافظ على الخط الإمامي ، وإليه يرجع الفضل على بقاء هذه العلوم ، وعندهم رواية عن الحسن العسكري أنه عندما جاءه أحد أتباعه ويدعى علي بن حسان وقال له « جعلت فداك ، عمن آخذ معالم ديني؟فقد كثرت المقالات! فقال له الحسن العسكري : خذها ممن يرميه المسلمون بالرفض ، وترميه المقصرة من الشيعة بالغلـو ، وهو عند المرتفعة محسـود ، فاطلبه فإنك تجـد عنده ما تريد من معالم دينك ، فيقول علي بن حسان : فبحثت عن هذه الصفات فلم أجدها إلا عند أبي شعيب محمد بن نصير فتبعته فوجدت عنده كل ماأردته » .

- غير أن الشيعة الإمامية رفضت ادعاءات محمد بن نصير ، وكذبت ادعاءه بأنه الباب الموصل للإمام الحسن العسكري ، ولو كان الإمام متخذاً ذلك لكان الذي يستحقه أبو جعفر السمان ، فقد كان أقرب الناس إليه ، وهو الذي عهد إليه بالأمور المالية ، وهو الذي كان سفيراً له ، ونائباً عنه في كثيرمن اللقاءات والاجتماعات والرسميات .

فى الوقت الذي كان يدعي فيه محمد بن نصير أنه الابن الوفي والتلميذ النجيب للإمام الحسن العسكري وأنه الباب الذي يوصل إلى علمه ، والخزانة التى تحمل أمانته ، وتحافظ على ميراثه وتكتم أسراره ، كان الحسن العسكري

نفسه لايثق فيه ، ولا يأمن جانبه ويحذر منه أشد تحذير ، فكتب إلى أحد أتباعه ويقول له : « إني أبرأ إلى الله من ابن نصير النميري ، وابن بابا القمي ، فابرأ منهما ، وإني محذرك وجميع موالي ، ومخبرك أني ألعنهما ، عليهما لعنة الله فتانيين مؤذيين ، آذاهما الله وأرسلهما في اللعنة وأركسهما في الفتنة »[١] .

- وقد نقل عبد الحسين عن القمي قوله « أن ابن نصير كان فاحشاً وشاذًّا جنسيًّا ، فقد أجاز اللواط وسائر المحرمات ، مدعياً أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به . . . . . » [٢] .

- ويقول ابن بابويه القمي (وهو من علماء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية) :

(اعتقادنا في الغلاة والمفوضة ، أنهم كفار بالله جل اسمه ، وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس)[٣]

- يقول الشيخ المفيد (وهو من علماء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية)

(الغلاة المتظاهرون بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام إلى الألوهية والنبوة ، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد ، وخرجوا عن القصد ، وهم ضلال كفار ، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالإكفار والخروج عن الإسلام) [٤] .

* * *

(١-٤) دراسات في الفرق والعقائد ص ٦٨ .

الباب الأول

الأصول والجذور

الفصل الأول

أصل النصيرية

تنتمي طائفة النصيرية إلى منشئها الأول، ومؤسس كيانها، وواضع قواعدها، ومظهــر مبادئها، والذي تسمت باسمه وهو أبي شعيب محمد بن نصير بن بكر العبدي النميري التميمي البصري الذي عاش فترة الاضطرابات الشيعية، والاختلافات العقائدية التي نشأت من جراء دعوتهم لفكرة الإمامة.

أصل الإمامة:

وزعموا أن الدين لا يصح أخذه، ولا يجوز تعلمه، إلا من خلال إمام من الأئمة المعصومين الذين ارتضاهم الله تعالى لحفظ دينه، وصيانة عقائده، وهؤلاء الأئمة هم الأوصياء الشرعيون للنبي المرسل من عند الله تعالى، وقد جاؤوا بنص واضح لا ريب فيه ولا خذلان، وهي مستمرة من بعد النبي إلى آخر الزمان، واستمرت سلسلة الأئمة ـ على حسب زعمهم ـ بدءًا من الإمام الأول وهو علي بن أبي طالب (ودرجة الإمام عندهم لاتقل عن درجة النبوة، ولذلك فهي أصل ثابت من أصول الدين لا يصح الدين إلا بها وإنكار الإمامة شر من إنكار النبوة، لأن الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص، ولإمكان خلو الزمان من نبي حي، بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص).

ثم تسلست درجة الإمامة فى ذريـة علـى بـن أبـى طالـب مـن أبنـاء فاطمـة الزهراء دون غيرهم من آل بيت النبوة.

ثم دخلت هذه المسألة بين طوائف الشيعة في طـور الغلـو، وقالـت بعـض

الطوائف إن درجة الإمامة أعلى من درجة النبوة ، وصنعوا هالة عظيمة من العصمة والقداسة لهذه الدرجة ـ من الممكن الرجوع إليها في مصادرها ـ إلا أن الأمور سارت في وضعها الطبيعي الذي وضعوا له أسسه ، وأرسوا له قواعده .

مع أن مسألة الإمامة من أكثر الموضوعات أهمية عند الشيعة ، بل إن أكثر فرق الشيعة ظهوراً وتمكنًا وأكثرها عددًا يطلقون على أنفسهم اسم «الشيعة الإمامية الاثنى عشرية» ، فليس هناك قضية أهم عندهم من قضية الإمامة ، ولذلك فإن هذه المسألة لا يمكن إهمالها أو إغفالها أو التغاضي عنها ، ووضعوا لها قواعد وأسس ثابتة لا تحيد ولا تبتعد .

خصائص الإمامة :

ومن أهم خصائصها : -

١- هي أصل الدين : فالإمامة عندهم ليست مسألة فرعية أو جزئية ، بل هي أصل الدين كله ، وهي القضية الأولى بلا منازع ، ولا يتم الإيمان إلا باعتقادها وتصديقها ، ومن أنكرها فهو على خطر عظيم ، فالإمامة مرتبتها فوق مرتبة النبوة والرسالة .

٢- العصمة : فالإمام معصوم كالنبي من الوقوع في الخطايا والذنوب واقتراف المعاصي والرذائل ، والانغماس في الشهوات والفواحش ، الظاهر منها والخفي ، من سن الطفولة إلى نهاية الحياة وحلول الموت ، والإمام من أفضل الناس خلقًا وأعلى الناس كمالاً وتمامًا في الصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة من شجاعة وإقدام وشهامة وكرم وعفة وصدق وحكمة وحسن تدبير ، والإمام يستقي علمه عن طريق التلقي من النبي مباشرة ، أو عن طريق الإمام المعصوم الذي قبله ، فيكون وارثًا لعلمه ، أو يصله العلم عن طريق الحدس والإلهام بالقوة القدسية التي يمنحها الله له دون سائر الناس.

٣- لا يخلو منه زمن : فإن كانت النبوة قد ختمت والرسالة قد انقطعت ، فإن

الإمامة دائمة أبد الدهر ، مستمرة ما بقيت السموات والأرض ، فهي التي تمثل استمرار النبوة في هداية البشر وإرشادهم إلى الصواب وإلى تصحيح مسارهم وتوجيه سيرتهم إلى الصلاح والسعادة في أمر الدين والآخرة ، والإمام له الولاية العامة على الناس في تدبير شئونهم والقيام بأمورهم ، وإقامة العدل بينهم ، ودفع الظلم والعدوان عن أنفسهم وأوطانهم ، ولذلك فإن الحياة لا تستقر ولا تستمر إلا بوجود الإمام الذي لا يخلو منه زمان ولا ينقطع عنه مكان .

٤- طاعته واجبة : والإمام نظرًا لمكانته التي كتبها الله له ، وأعطاه إياها ، فإن طاعته واجبة ، والانقياد له مفروض ، فهم أولي الأمر ، وهم الشهداء على الناس ، وهم أبواب الله المفتوحة والموصلة إليه والدالون عليه فأمرهم هو عين أمر الله ، ونهيهم هو نهي الله ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصية ، ووليهم وليه ، وعدوهم عدوه ، ولا يجوز معارضته ولا مخالفته ولا الإعراض عنه ، والأحكام الشرعية تستقى من منهلهم، وتستفرغ من معينهم .

٥- لا تكون الإمامة إلا بالنص أو الوصية : ونظرًا لقدسية الإمامة ومكانتها العالية ودورها الخطير فلا يستطيع أحد أن يتجرأ على هذا المقام العالي وهذه المكانة الرفيعة ويدعيها لنفسه أو يجبر الناس عليها ، ولذلك اشترطوا فيمن يتقلد هذه المهمة الكبيرة أن يكون قد جاء في حقه نص واضح وقول صريح ، أو وصية من الإمام الذي قبله والنص يكون من عند الله أولاً ثم يكون من عند النبي أو من عند الإمام الذي سبقه ، والإمامة في هذه الناحية كالنبوة فإذا كانت النبوة اصطفاء من الله واختيار من عنده ، فكذلك الإمامة لا يجوز لكائن من الناس أن يغير أو يبدل ما فرض الله أو اختاره ، كما لا يمكن أن يأتي الإمام من عند نفسه ، أو باختيار الناس سواء بالتعيين أو الترشيح أو الانتخاب .

هذه المسائل الخمسة السابقة هي أهم خصائص الإمامة كما وضحها علماء الشيعة ، وكما ذخرت كتبهم ، وامتلأت في بسط هذه المسألة وشرحها وتوضيحها وإيجاد الأدلة والبراهين على صحتها والتسليم بها ، ودون الدخول في مناقشات ومجادلات عقيمة ومناوشات في مسائل قتلت بحثًا ودراسة ، واستبان الحق فيها بوضوح تام وجلاء واضح ، ولا تحتاج إلى إعادة قول أو ترديد دليل أو إظهار برهان .

ولكن ... من المعلوم يقينًا أنه عند وفاة الرسول ﷺ لم يخرج واحد من الصحابة وهم كثر ويستحيل اجتماعهم على ضلالة ، وادعى أن هناك نص في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ يقطع بتعيين من يخلفه في قومه أو أن هناك وصية بذلك ، وكان واضحًا على القوم أن كل واحد حاول الاجتهاد بطريقته ، والبحث بمعرفته ، وأن الذي حدث في سقيفة بني ساعدة ، واختلاف القوم فيما بينهم ليقطع كل الألسنة التي تدعى مسألة النص أو الوصية المشار إليها بغزارة في كتب القوم والتي ظهرت فيما بعد بسنوات طويلة ، بل إن النصوص التي وردت في كتاب الصحاح والموثقة بكل المواثيق العلمية تشهد أنه لم يخرج واحد قط وكل الحاضرين شهود على ذلك وادعى أنه عنده علم بأفضلية واحد من الصحابة على غيره ، وأنه أحق بالإمامة والخلافة ، بل كانت النية كلها متجهة إلى إيجاد ولو شبهة نص تفيد في هذه الناحية مخافة منهم مجانبة الحق أو الابتعاد عن الصواب ، ولو ظهر لهم مثل ذلك الدليل أو البرهان في حق أحد منهم قريبًا كان أو بعيدًا لسارعوا إلى تصديقه وإلى تطبيقه ، بل إن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لم يدَّع هذا الادعاء بنفسه ، ولم ينقل عن أحد أنه قال مثل ذلك القول في خاصته أو في جمهرة من الناس من أتباعه ومحبيه ، بل المعلوم يقينًا أنه سلم بخلافة من قبله وترضى عليهم ، وذكرهم بخير ، وشهد لهم بالتقوى والصلاح ، واقتدى بهم في صلاته وفي سائر أعماله ، وكان نعم المعين ونعم الصاحب ونعم الناصح ، ولم يكن الموقف موقف ضعف أو تقية أو خوف .

وأما الذي حدث من خلال ، وأخر علي بن أبي طالب في مبايعة أبـي بكـر الصديق بعض الوقت ، فلم تكن الخلافة هي السبب بـل موقـف أبـا بكـر مـن مسألة ما تركـه الرسـول ﷺ مـن مـيراث ، وأصـر علـى ضـمه إلى بيـت مـال المسلمين مستندًا بذلك على حديث لرسول الله ﷺ الذي قال فيـه : « مـا تركـه الأنبياء صدقة » ، وإصرار فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ على الحصول على كل ما تركه والدها وتقسيمه في ورثته ، وكان علي بن أبي طالب متعاطفًا مـع زوجته في ذلك .

- وبعد انقضاء عهد أبي بكر وتوصيته من بعده لعمر ، سـارع النـاس جميعًـا بمبايعة عمر بن الخطاب وكان علي بن أبي طالب واحدا منهم بل كان مـن أكثـر المسـارعين في إعـلان موافقتـه والمبـايعين لـه والمعلـنين لتأييـده والمعترفين بفضله ومكانته ، ولم يُعلم قط لا بطريق التصريح ، ولا التلميح رفضه مبايعة عمر ، وظل طوال مدة خلافة عمر جنبًا إلى جنـب معـه قلبًـا وقالبًا بل مشاركًا في كل صغيرة وكبيرة ، ومـتحملاً مسـئوليته كواحـد مـن أخلص مساعديه وأفضل معاونيه .
- وعند مقتل عمرأشار على الناس أن تكون خلافتـه في الأفـراد السـتة الـذين حددهم وبينهم مستدلاً على أن الرسول ﷺ مات وهـو عـنهم راض وهـم : علي بن أبي طالب ـ عثمان بن عفان ـ الزبير بن العوام ـ طلحة بن عبيـد الله ـ سعد بن أبي وقاص ـ عبد الرحمن بن عوف ، ثم أضاف اسم ابنه عبد الله ، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، فلمـا تـوفي عمـر ابن الخطاب اجتمع القوم لاختيار الخليفة ، فطلب عبد الرحمن بن عوف إعفاءه من هذا الأمر ثم انحصرت في الاختيار بين علي بـن أبـي طالـب وعثمـان ابن عفان ، فرجحت كفة عثمان ، ولم يخرج علي بن أبي طالب إلا بعد مبايعته لعثمان بن عفان ، فلو كان هناك نص من كتاب أو من سنة لأحد فلـم كـان كل هذا التعب ؟ والكل يجتهد ويحـاول ، ويمعـن النظـر ، ويعمـل مـا في

وسعه ويفرغ كل طاقته ، بعيداً عن كل الشبهات أو الشهوات أو الأهواء أو الأطماع الشخصية والرغبات الذاتية .

- وعند مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت الفتن تجوب شوارع المدينة ، وتملأ أحياءها وحواريها ، ولم يكن هناك من ينافس علي بن أبي طالب في تولي المسئولية بعد عثمان ، ولذلك توجه إليه الناس وطرقوا بابه ، وظلوا يطلبون منه أن يرضخ لرغبتهم إلى أن لان ووافق على ذلك على مضض وتضجر ، وفي ظل هذه الظروف القاسية التي لم تتعرض لها الدولة الإسلامية من قبل ، لم يخرج واحد قط وادعى أن المنقذ من هذه الفتن ومن نص عليه القرآن الكريم أو ترك النبي ﷺ له بوصية هو علي بن أبي طالب أو أي واحد غيره ، أو طرحت هذه المسألة من أصلها ، ولكن الذي حدث أن كل من اشترك في هذه المسألة كان يجتهد برأيه ، ويمعن في اختياره ، ويسعى بكل جهده وطاقته للوصول إلى الحق وإلى الأصلح وإلى الأنسب ، وتأتي البيعة بعد ذلك لتكلل كل هذه المساعي وتتمم هذا الاختيار أو ترفضه .

- وعندما اشتد الخلاف بين علي بن أبي طالب من ناحية ومعاوية بن أبي سفيان من ناحية أخرى إلى أن وصل الأمر إلى الدخول في صراع مسلح وحروب طاحنة ، ثم تطورت الأمور بينهما بعد مشاورات ومداولات شاقة وطويلة إلى قبول التحكيم ، وانحدرت الأمور بالنسبة لمعسكر علي بن أبي طالب إلى منحدر سحيق ، بل انقلبت الأحوال من نصر إلى انكسار وهزيمة ومع ذلك لم يظهر واحد وادعى أن هناك نص أو وصية لا لعلي ولا لغيره .

غير أنه بعد مقتل علي بن أبي طالب الذي وقف طوال حياته عقبة كأداء أمام دعاوى ابن سبأ الباطلة والمضللة ، وجد ابن سبأ فرصته في بث سمومه ، ونشر أفكاره وأوهامه ، وإخراج ناقع سمه ، ونفث سواد طويته ، وكان أول ما قاله مسألة النص والوصية ، وقال إن عليّ كان بالنسبة لمحمد مثلما كان هارون

بالنسبة لموسى ، والحقيقة أن الذي يعنيه ابن سبأ لا يرتبط لا بعلي ولا بهارون، ولكنه أراد إحياء الأفكار الوثنية والعقائد المجوسية التي ضاعت واندثرت ومحاولة إعادة الملك وجعله ملكًا وراثيًّا في أسرة واحدة .

الإمامة في طور جديد :

بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم تجد أفكار عبد الله بن سبأ من ينصت إليها أو يستمع إليها ، بل وجدت صدودًا وإجماعًا على الرفض والإنكار ، وانكشفت سريرة هذا الماكر الحاقد ، وحذر الجميع من شروره وتخطيطه ، غير أن الأمور سارت في منحى آخر وفي طريق مختلف ، عندما دخل في الإسلام أفواجًا من الأمم الأخرى وأعدادًا غفيرة من الأقوام الآخرين أمثال بلاد فارس بعد سقوط دولتهم وزوال هيبتهم ، ووجدوا بغيتهم في إحياء عقائدهم التي دعا إليها ابن سبأ فاجتمعوا عليها ، والتفوا حولها ، ثم وجدت هذه الأفكار من ينظر فيها ويجمع لها الأدلة والبراهين لإثبات صحتها وتوضيح حقيقتها وشرح أهدافها وهكذا ظهر هذا النبت الخبيث ، وانتشرت هذه الأفكار الضالة وتلك العقائد المشوهة .

تسلسل الإمامة :

ظهرت مسألة الإمامة كما وضع مؤسسوها نظامها وقواعدها ، وأرسوا حدودها وأهدافها ، نجد أن الأمر ليس له ضابط ولا رابط ولا نظام ثابت ، بل سارت الأمور بطريقة مختلفة ونظام مغاير لما جاء في مراجع أهلها وكتب أصحابها ، وقرر له صانعوه .

- فالإمام الأول هو علي بن أبي طالب الذي لقبوه «المرتضى» ولد قبل البعثة بعشر سنين واستشهد سنة ٤٠هـ وهو الإمام الأول عند فرق الشيعة كلها بكل فرقهم وأصنافهم واتجاهاتهم ، وعندما قتل علي بن أبي طالب اختلف القوم فيما بينهم اختلافًا كبيرًا فيمن يخلفه ويتولى الإمامة بعده ، فذهب فريق منهم إلى القول بإمامة محمد بن الحنفية وهو صاحب راية أبيه يوم

البصرة بعد أن أعطاه والده إياها دون بقية إخوانه في موقف من أهم المواقف وأشدها صعوبة وبأسًا وهذه الفرقة هي فرقة الكيسانية وهم أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب وتولى زعامة هذه الفرقة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهناك فرقة أخرى بايعت الحسن بن علي إمامًا بعد أبيه ، إلا أنه عندما تنازل لمعاوية بن أبي سفيان وتصالح معه انقلب القوم عليه وعادوه وأنكروا إمامته ، وبقي فريق آخر على قولهم الأول إلى وفاته ، وهناك فرقة ثالثة وهي الخطابية وهم أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي وهم من الغلاة والذين اشتطوا بعيدًا في الأقوال الشاذة والأفكار الغريبة ، وكانت أقوالهم بعيدة عن الإسلام وشككوا في الألوهية وفي الرسالة وأباحوا المحرمات وفعلوا المناكر ووقعوا في الأباطيل .

- الإمام الثاني : أبو محمد الحسن بن علي « الذكي » ولد في السنة الثالثة للهجرة ومات عام ٥٠هـ ، لم تتفق الفرق الشيعية على إمامته ، فأما فرقة الكيسانية فقد بايعت عبد الله أبي هاشم من بعد أبيه محمد بن الحنفية ، وهناك فريق آخر بايع الحسن بن علي فلما تصالح مع معاوية ، وفضل حقن دماء المسلمين ، والحفاظ على وحدة الأمة وعدم تفريقها وتشتيتها انقلب فريق منهم عليه وتبرأوا منه وعادوه وأنكروا عليه الإمامة ، وفرقة أخرى ظلت على قولها معترفين بإمامته إلى وفاته .

- الإمام الثالث : أبو عبد الله الحسين بن علي « سيد الشهداء » ولد في السنة الرابعة للهجرة وقتل عام ٦١هـ ، ومع أن القوم أعلنوا مبايعتهم له ، وأظهروا الولاء له ، إلا أن الغدر ظهر منهم كأوضح ما يكون الغدر ، وصدق فيهم من قال للحسين محذرًا منهم « قلوبهم معك وسيوفهم مع يزيد » ، وغرروا به ، وأوقعوه في المهالك ، وكانوا سببًا مباشرًا في قتله ومن معه من أهل بيته فلما سقط وتأكدوا من موته أخذوا في البكاء عليه والنواح على مقتله ، وملأوا الدنيا صراخًا وعواءً ، وألفوا القصائد الطوال

والمرثيات والبكائيات ينعون فيها مقتله ، ويلومون فيها أنفسهم على عدم نصرته والوقوف بجانبه .

- الإمام الرابع : أبو محمد علي بن الحسين « زين العابدين » المولود عام ٣٨هـ والمتوفي عام ٩٥هـ . وبعد مقتل الحسين لم يتفق القوم على من يخلفه ويتولى أمر الإمامة من بعده ، ولم يجتمعوا على كلمة واحدة ، بل ذهبوا فرقًا شتى ، وآراء متباينة وأفكار متعارضة ، فذهب فريق منهم بالقول بإمامة علي بن الحسين المعروف بـ « سيد العابدين » أو « زين العابدين » ، بينما ذهب فريق آخر منهم بالقول بانقطاع الإمامة عند هذا القدر ، والأئمة عند هذا الفريق هم ثلاثة فقط ، بينما ذهب فريق ثالث إلى القول بأن الإمامة محصورة في ولد الحسن والحسين فهي لهم خاصة من أبناء علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ دون غيرهم من الناس ، وقيل هذا الكلام لكي يقطعوا الطريق على من قالوا بإمامة الحسن بن الحسين بن محمد بن الحنفية ؟

- الإمام الخامس : أبو جعفر محمد بن علي « الباقر » ولد عام ٥٧هـ وتوفي عام ١١٤هـ ، ولم تكن الإمامة في أول أمرها في هذه المرحلة لـ« باقر العلم » ، ولكن القوم بايعوا زيد بن علي ، فلما رأوه يحاول جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ولم الأشتات المتناثرة والجماعات المتفرقة ، وعندما استمعوا له وهو يترضى على أبي بكر وعمر على المنبر يوم الجمعة انقلبوا عليه وأنكروا بيعته ونكثوا عهدهم معه وبايعوا محمد بن علي « الباقر » بدلاً منه .

- الإمام السادس : أبو عبد الله جعفر بن محمد « الصادق » ولد عام ٨٣هـ وتوفي عام ١٤٨هـ ، ومع أنه كان معروفًا لدى الجميع بواسع علمه وثبات قدمه ، وصلاح أمره إلا أنهم اختلفوا فيه ولم يجتمعوا عليه ، فخرج فريق منهم وبايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،

وكان لكل واحد منهما مؤيدوه ومناصروه ومن يقتنعون بأحقيته في الإمامة ومناسبته لهذه المكانة .

- الإمام السابع : أبو إبراهيم موسى بن جعفر «الكاظم» . ولد عام ١٢٨هـ وتوفي عام ١٨٣هـ ، ولم تكن الإمامة لموسى الكاظم لأن والده أوصى لابنه الأكبر إسماعيل ، غير أن إسماعيل مات في حياة أبيه ، وكان لهذه الواقعة أثر بالغ وانعكاس كبير على حقيقة التشيع وعلى صدق الإمامة ، فقد شكك البعض منهم في أقوال الأئمة وفي الأقوال التي تنسب لهم وتقال عنهم ، فما العصمة التي يدعونها إلا وهم باطل وزعم كاذب وادعاء مغرض ، وهنا ظهر الاختلاف بوضوح ، وبدا التناقض بين المواقف والأقوال ، فخرج فريق وقالوا بأحقية محمد بن إسماعيل خلفًا لوالده المتوفى ، وقالت فرقة أخرى بإمامة محمد بن جعفر ، بينما قالت فرقة ثالثة بإمامة عبد الله ابن جعفر ، وخرج الباقي يؤكدون على إمامة موسى بن جعفر ، فإذا كان لكل واحد من هؤلاء الأئمة أتباع ومؤيدون ، فإن النزاع يكون قد وصل إلى ذروته والشقاق قد وصل إلى غايته .

- الإمام الثامن : أبو الحسن علي بن موسى «الرضا» . ولد عام ١٤٨هـ وتوفي عام ٢٠٣هـ . وعند وفاة موسى الكاظم ذهب فريق من أتباعه لمبايعة ولده محمد الذي لم يكن له غيره ، وكان عمره وقتئذ سبع سنوات فخرج فريق آخر ورفضوا إمامته ، وتنكروا لمبايعته ، وقالوا إن الإمام لا يكون إلا بالغًا عاقلاً ويتمتع بالعلم والمعرفة ، بينما خرج فريق ثالث وتمسكوا بإمامة موسى الكاظم وقالوا إنه حي ولم يمت وأنه الإمام القائم ، وكفَّروا كل من خالفهم أو عارضهم .

- الإمام التاسع : أبو جعفر محمد بن علي «الجواد» ولد عام ١٩٥هـ وتوفي عام ٢٢٠هـ . ولقد شهدت هذه المرحلة اختلافًا كبيرًا بين الأتباع ، وتفرقًا عظيمًا بين المؤيدين ، فمال فريق ناحية محمد بن علي «الجواد» بينما تحمس فريق آخر لأحمد بن موسى بن جعفر .

- الإمام العاشر : أبو الحسن علي بن محمد «الهادي» ولد عام ٢١٢هـ وتوفي عام ٢٥٤هـ ، وكان الصراع قائمًا بين فريق يؤيد علي بن محمد ، وفريق آخر يؤيد موسى بن محمد الذي أطلقوا عليه لقب «المبرقع» غير أن موسى كان زاهدًا فيما عندهم ، منكرًا أفعالهم ، فتبرأ من عملهم ، وانصرف عن طريقتهم وابتعد عن سبيلهم ، ورفض بيعتهم .
- الإمام الحادي عشر : أبو محمد الحسن بن علي «العسكري» ، أو «صاحب العسكر» ولد عام ٢٣٢هـ وتوفي عام ٢٦٠هـ . وفي هذه المرحلة وصلت الخلافات المذهبية إلى ذروتها ، ووصلت المنازعات إلى قوتها ، وخلا القوم من وجود إمام فكل مجموعة منهم تُنصب إمامًا وتدعو إليه ، وتحارب من أجله ، ثم تخرج مجموعة أخرى بالاعتراف بإمام جديد ويشككوا في الإمام الأول ... وهكذا إلى أن جاء «الحسن العسكري» الذي التف البعض حوله ، وبايعوه إمامًا لهم ، فخرجت مجموعة أخرى وبايعوا أخوه جعفر ، وزاد الطين بلة أن الحسن العسكري لم ينجب ولم يخلف عقبًا له ، ووصلت الاختلافات والاضطرابات إلى درجة عظيمة واحتدام منقطع النظير لم تشهده السنوات السابقة عليه مثله ، وفي وسط هذه الأزمات المتتابعة والتي لا تنتهي يسقط الحسن العسكري ميتًا ، فبحث أتباعه والملتفون حوله عمن يخلفه أو يأتي من بعده ويتسلم الإمامة ويرفع لواء الريادة فلم يجدوا أحدًا ، فسقط في أيديهم وتفتقت أذهانهم أن الإمامة قد توقفت عند هذه المرحلة الفاصلة ، وبدأت أذهانهم المريضة وعقولهم القاصرة على اختراع فكرة قديمة المنبت ، يهودية الأصل ، وهي فكرة الإمام الغائب .
- وواضح من سرد تاريخ وتطور مسألة الإمامة نجد أنها لم تكن في يوم من الأيام مسألة دينية من أساسها كما لم يأت بها نص أو وصية كما يزعمون ، ولا هي اتفاق وإجماع بين الناس ، ولكنها كانت فكرة تكتمل بها حلقات الأطماع الشيعية التي توافقت مع فكرة تعظيم أهل البيت ووضعهم في درجة كسروية تعود عليها القوم في ماضيهم وعلى طول تاريخهم .

كما لم تكن الإمامة عند الطوائف الشيعية كما ذكر فنظروها على أنهم هم ولاة أمورهم ، وهم حماة بلادهم وهم المسئولون عنهم في الداخل والخارج ، والحقيقة أن مسئولية البلاد والعباد كانت في أيدي أناس آخرين لا علاقة لهم بهذه الأسماء التي ذكروها وتمسكوا بها وأقاموا حولها القداسات والهالات العظيمة ، وهم في الحقيقة لا يمتون إلى الواقع الفعلي بشيء .

- وهكذا توالت مسألة الإمامة عند طوائف الشيعة وتسلسلت يتوارثها الأبناء عن الآباء من ذرية علي بن أبي طالب ، ثم خص بها الحسن والحسين أبناء فاطمة الزهراء ، ثم خص بها الحسين دون سواه ، إلى أن جاء الإمام الحادي عشر وشاءت قدرة الله تعالى أن تتوقف سلسلة الإنجاب عند هذه المرحلة ، ويتوقف معها التواصل ، ويجد القوم أنفسهم في ورطة كبيرة ولم يعدوا لها عدتها أو يعملوا لها حسابها ، فاختلفت الآراء ، وارتبكت الأمور ، واختلطت الأحداث ، ولم يتفق القوم على رأي واحد أو موقف محدد .

* * *

الفصل الثاني

الأصول والجذور

من الممكن القول بأن طائفة النصيرية قد خرجت من رحم الطائفة الأكبر والأقدم من طوائف الشيعة المختلفة وهي الإمامية الجعفرية الاثنى عشرية ، لأن ابن نصير نفسه كان ملازمًا للإمام الحادي عشر وهو الحسن العسكري ، معنى ذلك أنه كان يؤمن بما هم عليه ، ويسير على المبادئ التي أقروها وساروا عليها . غير أن هناك بعض المؤرخين من ينسب محمد بن نصير إلى الفارسية ، فإن أصوله تعود إليهم ، وتنتمي لهم ، وهؤلاء يؤكدون على أنه من إقليم خوذستان من بلاد فارس ولا علاقة له بالعرب ، بل إن كل الذين التفوا حوله في غلوه وشطحاته كانوا إما يهود وإما من بلاد فارس ، وأما نسبته إلى قبيلة بني نمير العربية فالبعض شكك في صحتها ، والبعض الآخر جعلها من ناحية الانتساب وليست من ناحية الأصل ، فهو أحد موالي هذه القبيلة التي نسب نفسه لها دون أن يكون من أبنائها .

وبذلك يكون محمد بن نصير مؤسس هذه الفرقة مجهول الأصل والنسب ، ولا يعرف على وجه التحديد أصله ونسبه .

* * *

الفصل الثالث

أسماؤهم

ليس لهذه الطائفة اسم واحد تعرف به ، بل لها عدة أسماء متعددة ، ومن أهم هذه الأسماء : –

١ – النصيرية :

وهو الاسم الغالب عليهم ، والمعروف لهم ، وهو يرجع إلى مؤسسهم الأول ، وزعيم طائفتهم محمد بن نصير ، ولذلك فهم ينتسبون إليه ، ويتسمون به ، ولكن هذه التسمية لا تروق لهم ولا يحبونها بل يكرهون من يطلقها عليهم ، ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها : –

أ– أن هذه التسمية أطلقت عليهم بسبب العصبية المذهبية داخل الطوائف الشيعية ، وبدافع من العداوة والكراهية التي ذاقوها من كل الناس من حولهم على مدى تاريخهم ، فلم تكن علاقتهم بجيرانهم وبأقرب الناس من حولهم على شكل طيب أو على صورة مقبولة ، بل ارتبطت هذه التسمية عندهم بحالة الاضطهاد التي تعرضوا لها ، فهي التي تميزهم على غيرهم من الطوائف الشيعية الأخرى الأكثر اعتدالاً والأقل غلوًّا وتطرفًا، وهي التي تعرف عدوهم بهم .

ب ـ يزعمون أن الأتراك (السنيين) هم الذين أطلقوا عليهم هذه التسمية ، وهي في حقيقتها لا تدل على فرقة معينة أو طريقة محددة ، ولكنها ترجع ـ هذه التسمية ـ إلى المنطقة الجبلية التي يسكنونها ، فهي في الأصل تسمى بـ« جبال النصيرية » فعرفوا بها ، وهناك أيضًا بعض المؤرخين من يؤكد أن

هذه التسمية يقصد بها النكاية بهم ، والاحتقار لهم ، لأن هذه المنطقة جبلية وعرة لا يستطيع أحد العيش فيها ، أو يحتمل العيش في أرجائها ، ولا يوجد فيها إلا الأعمال الشاقة التي لا يقوى أحد على تحملها أو القيام بها ، ولذلك فلا يسكن هذه المنطقة إلا المستويات الدنيا من المجتمع »[١].

ج ـ هناك مستشرق اسمه « ريسو » يرجع هذه التسمية إلى وجود صلة قوية بين أبناء هذه الطائفة وملة النصارى ، وهناك تشابه واضح في كثير من العقائد والعبادات معهم ، بل وفي العادات والتقاليد أيضًا وسبل العيش والحياة ، فهناك تأثير واضح وتشابه ظاهر في الطقوس الدينية ، وهناك اتفاق بينهم في مظاهر الاحتفالات والأعياد وتقديسهم للخمر ، ولقد ظهر أيضًا توافق جلي بين الفريقين ليس في النواحي الدينية فقط بل والمشاركة الوجدانية والعملية في أوقات الأزمات والشدائد وأثناء الحروب والمواقف الصعبة والساعات الحرجة ، فلقد ساعد أبناء الطائفة إخوانهم من النصارى في كل مناسبة تسمح لهم بذلك . ولذلك فإن هذا المستشرق يرجح أن التسمية التي أطلقت عليهم ترجع إلى النصرانية ، وإن كانت الاشتقاقات اللغوية تتأبى على ذلك إلا أن الباحثين والدارسين يؤكدون على أن أبناء هذه الطائفة منذ قديم أزلهم لا يولون للغة العربية أدنى اهتمام[٢].

٢- العلوية :

وهذه هي التسمية الثانية التي أطلقت على هذه الطائفة ، وعرفت بذلك لأنها تغالي في شخص علي بن أبي طالب أكثر من غيرها من الفرق التي تنتسب إلى المذهب الشيعي ، إلى أن وصلت إلى التأليه والتقرب إليه بالطاعة والعبادة ، وهذا لون من التطرف والغلو الذي لم يقل به أحد غيرهم ، وإن كان هذا

---

(١) تاريخ العلويين ص ٣٩١

(٢) تاريخ الإسلام السياسي ٤/٢٦٥ ـ تاريخ العرب ٢/٥٣٩

التعريف وهذه التسمية شديدة الوقع ، عظيمة الأثر إلا أنهم يحبونها ويفضلونها على بقية الأسماء ، وذلك يرجع إلى عدة أسباب أهمها : -

أ- أن هناك غيرهم ممن يتسمون بهذه التسمية متواجدون في أماكن أخرى مختلفة ، وسيرتهم وسمعتهم تختلف عند عامة الناس عن هؤلاء القوم ، فأرادوا أن يتسموا بهذه التسمية حتى يختبئوا وسط هؤلاء الناس ولا يتميزون عنهم حتى لا يتعرضوا لأعمال الاضطهاد والعداوة التي قوبلوا بها من جموع الناس المحيطين بهم ، وهذه التسمية جعلت الأوراق تختلط بين من يتسمون بالعلوية ، فهناك علوية تركية ، وهم الذين يطلق عليهم القزلباشية (ذوي الطاقيات الحمراء) وكانت أول نشأتهم في أذربيجان ثم انتشر أمرهم في جنوب تركيا ، ومن هذا الفريق نشأت الدولة الصفوية الشيعية في إيران في القرن السادس عشر الميلادي وتعصبت للمذهب الجعفرى الإمامي الاثنى عشري وأقامت له دولة وأصبح له وجود وكيان ، وهناك أيضًا علويِّ المغرب الذين هم أحسن منهم حالاً وأكثر أمنا واستقرارًا .

بل إن صفحات التاريخ الحديث تؤكد أن أصحاب هذه الطائفة يدينون بالفضل والجميل ويلهجون بالثناء الحسن إلى المحتلين الفرنسيين فهم الذين ألصقوا بهم وأعادوا إليهم التسمية الحقيقية لهم التي هي « العلوية » والتي يحبونها ويحرصون عليها ، وأعطوا لها الصبغة الرسمية والصورة القانونية في المحافل المحلية والدولية ، بعد أكثر من ٤١٢ سنة حرموا منها ، فقد كان مناوئيهم ومعارضيهم يحرصون على تسميتهم « بالنصيرية »، ولا يحبون أن يطلق عليهم اسم العلوية تمييزاً لهم عن غيرهم ، إذ أصدرت (القومسيرية العليا في بيروت) بتاريخ ١٩٢٠/٩/١م فرمانًا يقضي بتسمية جبال النصيريين المعروفة بشمال سوريا باسم أراضي « العلويين » ، ثم أعلنوها دولة مستقلة[١] .

---

(١) تاريخ العلويين ص ٣٩١ .

وبذلك ألحقت الحكومة الفرنسية هذه الطائفة وأدرجتهم تحت مسمى «العلويون» الذين ينتشرون في أماكن متعددة من العالم الإسلامي .

ب ـ وهناك من يرجح أن الذي أطلق هذه التسمية فى الأصل هم الفرنسيون وأعوانهم ، من أجل تحقيق أهداف وأغراض خاصة بالمستعمر ، ولضم أبناء هذه الطائفة إلى صفهم ، ولتحقيق أغراضهم ، ولذلك فإن أصحاب هذه الطائفة يعتزون بذلك ، ويتمسكون بها ، بل ويعترفون بها ، وهم يدينون للغرب عامة ولفرنسا خاصة بالكثير من الأفضال والإنعام والأيادي عليهم لاهتمامهم بهم والعمل على مصلحتهم والسعى على حل مشاكلهم ، ورفع شأنهم ، وإعلاء مكانتهم ، ولذلك فإنهم يدينون لهم بالولاء والتقدير على ما قدموه لهم .

ج ـ مع أنهم عرفوا عبر التاريخ باسم «النصيرية» غير أنهم عندما دخلوا المعترك السياسي ، بعد نهاية فترة الاحتلال بتشكيل حزب سياسي تحت مسمى «الكتلة الوطنية» فقد أراد هذا الحزب أن يستقطب أبناء الطائفة فى تكتل واحد ، أو أرادت هذه الطائفة أن تحتوي هذا الحزب وتخرج على الناس بوجه جديد غير ذلك الوجه الكالح والقبيح الذي كرهه القوم ومقتوه ، فأطلق عليهم شركاؤهم فى الحزب اسم «العلويين» كفصيل من فصائل المجتمع ، أو كاتجاه فكري موجود داخل البلاد ، فصادفت هذه التسمية هوى في نفوسهم وترحيباً من الفرنسيين الذين كانوا يحركونهم ويتلاعبون بهم .

ولقد استمرت هذه المنظومة السياسية ، ولعب هذا الدور من خلال «حزب البعث العربي الاشتراكي» الذى رفع راية القومية العربية ، التى لا يعرف عنها شيئا ، بل ويُكِنُّ لها كل ألوان العداء والكراهية ، وانضوى تحت رايته كل أبناء الطائفة النصيرية ، تحت مسمى «العلويين».

٣- سوراك :

أطلق الأتراك على هؤلاء القوم اسم (سوراك) وهي تسمية تركية قديمة غير معروفة الآن ، وهي تعني : المنفيون أو المساقون ، ويذكر أن هناك بعض الطوائف القليلة التي مازالت تنتسب إلى هذه التسمية توجد إلى الآن في أقضية صهيون ومنطقة العمرانية وصافيتا ويطلق عليهم هذا الاسم وإن لم يكن معروفا أو مشهورا .

٤- أسماء أخرى :

كما أن هناك بعض الأسماء الأخرى التي تطلق على هذه الطائفة منها التختجية ـ الحطابون ـ العلى الإلهية .

٥- يعلل واحد من النصيريين وهو «محمد أمين غالب الطويل» سبب تسمية هذه الطائفة بالنصيرية فيقول : (لما فتحت جهات حمص وبعلبك ، استمد أبو عبيدة نجدة ، فأتاه من العراق خالد بن الوليد ، ومن مصر عمرو بن العاص ، وأتاه من المدينة جماعة من العلويين ، وهم من حضروا بيعة غديرخم ، وهم من الأنصار ، وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين مجاهداً ، ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئيًّا ، فسميت هذه القوة الصغيرة «نصيرة» وإذ كان من قواعد الجهاد تمليك الأراضي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه ، فقد سميت الأراضي التي امتلكتها جماعة النصيرة ، جبل النصيرة ، وهو عبارة عن جهات : جبل الحلو ، وبعض قضاء العمرانية المعروف الآن ، ثم أصبح هذا الاسم علماً خاصًّا لكل جبال العلويين من جبال لبنان إلى أنطاكية) [١] .

---

(١) تاريخ العلويين ص ٩٨

وهذا لون آخر من تجميل الصورة وتحسين الهيئة ، وتغيير الشكل العام لهذه الطائفة وإرجاع أصولها إلى العصور الأولى المباركة وإلى الصدر الأول المشهود لهم بالخيرية والصلاح والتقوى ، وإن كان ما يقوله مؤرخهم صحيحا فلماذا يتبرأون منه ، ويبتعدون عنه ؟

* * *

الفصل الرابع

أماكن تواجدهم

عرف عبر التاريخ أن هذه الطائفة تسكن في منطقة الجبال المحاذية للساحل السوري شرق البحر المتوسط ، ويمتد التواجد النصيري في منطقة الجبال باللاذقية ، وبذلك فإن تجمعات هذه الطائفة يظهر بوضوح في سلسلة الجبال التي تمتد من عكار جنوباً إلى جبال طوروس شمالاً ، وفي لواء الإسكندرونة وقليقية في تركيا . غير أنهم في السنوات الأخيرة انتقلوا من سكنى الجبال إلى حياة التحضر وسكنوا المدن الكبيرة ، بل أصبحوا من أصحاب القصورالعالية والأحياء الراقية ، وخاصة بعد وصولهم إلى سدة الحكم في سوريا وأصبحت لهم الكلمة العليا في تسيير الأمور ، وفي تصريف الأحوال ، ومع كل ذلك ظلت النظرة الطائفية هي المسيطرة على كل أفكارهم وتصوراتهم ونظراتهم إلى المستقبل ، فكانت لهم مخططات على المدى القريب والبعيد فى تطوير المناطق التقليدية التى عاشوا فيها وعمروها منذ زمن قديم ، فأقاموا فيها المشروعات الكبيرة والاستثمارات الاقتصادية والعسكرية ، وأيضا فى مجال استصلاح الأراضى وتوفير المياه العذبة ومد شبكات الطرق وتوسيع وتطوير وإدخال تنمية شاملة على موانئ البحر المتوسط الواقعة فى هذه المنطقة مثل طرسوس وجبلة واللاذقية وجعلوا من محافظة حمص عاصمة لدولتهم المزعومة وكذلك في أماكن معينة يعدونها لأسوأ الظروف التي من الممكن أن يتعرضوا لها في حال اضطرارهم وابتعادهم عن الحكم وانتزاع السلطة من تحت أيديهم ، وإزاحتهم عن دور القيادة في البلاد ، فأقاموا تجمعات سكانية

لهم في مدينة حمص لاكتساب صفة الأغلبية ، وتجمعات أخرى في مدينة حلب وفي هضبة الجولان ، وهم بطبعهم يميلون إلى التجمع في أماكن خاصة بهم ، لعدم رغبتهم في مخالطة غيرهم ، وإن كان الظاهر من حالهم أنهم يفضلون التقرب من النصارى المسيحيين ومجاورتهم والعيش في كنفهم عن غيرهم من بقية السكان المسلمين .

ومنذ وصولهم إلى سدة الحكم في سوريا حدث تعديل جوهري في توزيعة السكان داخل البلاد ، فقد انتقلت كثير من العائلات النصيرية إلى السكن في العاصمة دمشق وبقية المدن الكبرى ، وأقاموا تجمعات سكانية خاصة بهم حول مدينة دمشق في دمر وبرزة والقدم ومخيم اليرموك والست زينب ، كما أقدم فريق منهم على التزاوج والتصاهر مع العائلات السنية العريقة من أجل التقرب إليهم وإذابة الفوارق بينهم ، في حين يبقى الجبل النصيري ، موطنهم الأصلي ، والمستقر الأساسي لهم ، وفيه تتكدس ثرواتهم وتنتشر مشاريعهم واستثماراتهم الاقتصادية والإعمارية .

كما تشير بعض الإحصاءات إلى أن عدد النصيريين يصل إلى حوالي١٠٪ من إجمالي عدد السكان ، أي ما يقارب من مليون وسبعمائة ألف نسمة . ويتواجد عدد منهم في لبنان في منطقة سهل عكار شمال لبنان ، وفي بعض ضواحي طرابلس ويرجع أصلهم إلى تلك المجموعات التى نزحت من سوريا ، وسكنت هذه المناطق إبان فترة القلاقل والاضطرابات التى تعرضت لها هذه الطائفة ، ويقدر عددهم في لبنان بحوالي أربعين ألف نسمة .

كما تشير بعض الجهات البحثية والمتخصصة فى هذا الشأن أن النصيريين يركزون في الفترة الحالية على التمركز فى المناطق التقليدية المعروف عنهم تواجدهم فيها بعد أن أقاموا فيها المشروعات التنموية والاقتصادية والعسكرية الهامة ، لجعلها عاصمة لدولتهم في حال انهزامهم فى الحرب الدائرة الآن وتمت إزاحتهم عن كراسي السلطة والحكم .

يحــدث هذا المخطط الرهيب تحت سمــع وبصر الجميع ولا تجد واحدا من المسلمين يسأل عن حقيقة هذه الطائفــة ؟ وما هي عقائدهم ؟ ومدى خطورتهم ؟ والدور الذي يقومون به ، ويخططون له في المنطقة بأسرها .

يقول البغدادي : « إن ضرر الباطنية على فـرق المسـلمين أعظـم مـن ضـرر اليهود والنصارى والمجـوس علـيهم ، بـل أعظـم مـن مضـرة الدهريـة وسـائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقـت ظهـوره ، لأن فتنـة الـدجال لا تزيـد مدتها على أربعين يوما ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر »[(١)]

لقد لعبت الفرق الباطنية فى فترات كثيرة من التاريخ دورا واضـحًا وظـاهرًا ومؤثرًا فى ضرب وحدة العالم الإسلامي بكل قوتها ، وصفحات التـاريخ خـير شاهد على ما فعلته فرقة القرامطة والحشاشين وفرقة الإسماعيلية والنصـيريين والدروز ، وتكمن خطورة هذه الفرق أنها تعمل فى السر وتتحرك فى الظـلام ، وتعتمد على التقية ، واستباحــة الكذب فى كل خطواتها وتحركاتها .

* * *

---

(١) الفرق بين الفرق . البغدادي طبعة القاهرة ص ٢٨٢ .

الفصل الخامس

طوائفهـــم

يتكون النصيريون من حيث أصل نسبهم إلى عدة عشائر متعددة عربية الأصل ، جاءت إلى منطقة جبال اللاذقية ، التى كانت تعرف من قبل باسم ـ جبال بهراء- الوعرة والقاسية والتي تسمت بعد ذلك باسمهم وعرفت بهم ، ومنذ أن وطئوها وسكنوا فيها ، فرضوا على سكانها عاداتهم وتقاليدهم وسائر أعرافهم ؛ لأنهم كانوا هم الأغلبية العظمى الذين يسكنون هذه المنطقة وليس فيها ـ تقريبًا ـ أحد سواهم ، جاءوا إلى هذه المنطقة على شكل هجرات جماعية وفردية على مدى سنوات طويلة وخاصة في القرنين الرابع والخامس الهجري ، فقد قدموا من منطقة العراق وما حولها ، نتيجة الاضطهاد والصراع الذي تعرض له أفراد هذه الطائفة ، ولم يجدوا أفضل من ذلك المكان الذي يحميهم ويصد عنهم المهاجمين لهم والكارهين لوجودهم ، فقد كانت هذه السلسلة الجبلية مكانًا موحشًا وعرًا لايستطيع أحد أن يسكن فيه .

لم ينتسب أبناء هذه الطائفة إلى عشيرة معروفة محددة لها أصولها المعروفة وفروعها المشهورة ، بل تجمعت هذه المجموعات القادمة مـن أمـاكن متفرقـة ومن أراضي متباعدة ، ثم شكلت فيما بينها روابط جديدة ، وكونـت عشـائر لم تكن موجودة من قبل ، فقد كانوا مجرد مجموعات من المضـطهدين ، وأفـراد نازحين ، لم يجمعهم نسب ولا قرابـة ، ولكـن يجمعهـم فكـر وعقيـدة ، ومـن أشهر هذه الطوائف :

١- الخياطين : وهم ينتسبون إلى زعيم كبير منهم يسمى (علي الخياط) ، وقد اندمجت في هذه العشيرة عائلات أخرى كثيرة لاترتبط معها برابط الدم القريب ، أو حتى مجرد النسب ، ولكن الظروف القاسية هي التي جمعتهم ، وهى التى قربتهم ، وقد تفرع من هذه العشيرة فرع ذاع صيته بينهم في السنوات الأخيرة يطلق عليه (الغسانية) وهو الفرع الذي خرج منه (سليمان المرشد) الذي ذاع صيته بين أبناء الطائفة وكانت له نهاية مأساوية حيث ألقي القبض عليه وأعدم . وهي نفسها التي يطلق عليها البناوية أو الماخوسية .

٢- الحدادين : وهم من أبناء محمد العاني المنتخب ، ويرجع نسبهم إلى جدهم الأكبر محمد المعلم الحدادي ، وتتجمع عدة فروع مختلفة معهم ، ومن أشهرهم : بنو علي ــ المهالبة ــ البشالوة (نسبة إلى قرية بشيلا) ـ الركانوة (نسبة إلى جدهم الأكبر الشيخ محمد الركن) ـ العتارية (نسبة إلى جدهم الشيخ إبراهيم عتار) ـ بيت الحداد ـ الشماسنة .

٣- المشاورة : وتنتسب إلى قرية (مثور) وهي من قضاء جبلة ، وأهم فروعها : الجواهرة ـ الصوارمة ـ النميلانية ـ الدراوسة ـ البشارغة ـ العراجنة ـ المحارزة .

٤- الكلبية : وهي القبيلة التي تنتمي إليها أسرة الأسد ، ويبدو أن التسمية الأصلية المرتبطة بالقبيلة هي الكلب فلما وصلوا إلى كراسي الحكم ، وجلسوا في قصور السلطة تحولت فجأة إلى الأسد ، ومن أهم فروع هذه العشيرة : الرشاونة (نسبة إلى قرية رشة بقضاء مصياف) الرسالنة (نسبة إلى جدهم الأكبر رسلان) ـ القراحنة ـ الجلقية ـ النواصرة .

٥- الجرانة : نسبة إلى القرية التي نشأوا فيها وخرجوا منها وهي قرية جرانة في جبال بشراغي ويقال إنهم سموا بذلك لأنهم كانوا يحفرون الصخور ويجعلونها كالأجران ليضعوا فيها الماء الذي يشربونه أثناء عزلتهم ، وهذه

الطائفة عرفت بعد عام ١٠١١هجري باسم الكلازية ، ويقال أيضاً القمرية ، لأنهم يعتقدون أن علي بن أبي طالب حل في القمر فهم يعبدونه ، ويتصورون أن الإنسان عندما يشرب الخمر الصافية فإنه يقترب من القمر الإله .

٦- الغيبية : وهي الطائفة التي ارتضت ما قدر لها في الغيب فتركوا التوسل والدعاء ، ومنذ القرن التاسع الهجري وهذه القبيلة تسمى بالحيدرية ، نسبة إلى أحد رجالها الذي ذاع صيته وشاع ذكره ، وانتشر أمره ، وعلا قدره ، وكان يسمى (علي حيدر) وهم الذين يقولون : إن الله تجلى في علي ثم غاب عن البشر واختفى ، والزمان الحالي هو زمان الغيبة ، ويقرر أن الذي غاب هو الله ، والبعض الآخر منهم يقول إن الذي غاب هو إمام العصر .

٧- النياصفة : وهم الذين ينتسبون لقرية نيصاف بلبنان ، ومنهم الشيخ ناصر الحاصوري .

٨- الماخوسية : نسبة إلى الشيخ علي الماخوس الذي انشق عن فرقة الكلازية ، وانشقت هذه المجموعة أيضاً فسار فريق منهم مع سليمان المرشد ، بينما ظل الباقي على تعاليم علي الماخوس .

٩- الظهوراتية : وهم أتباع الشيخ يوسف إبراهيم العبيدي المسمى بالظهور .

١٠- البناوية : وهم ضمن الذين التفوا حول سليمان المرشد وابنه مجيب ، ومنهم من يقدس الشمس ، وذلك يرجع إلى اعتقادهم فى أن عليًّا يقع فيه ، ومنهم من يقدس القمر زاعمين أن عليًّا يقع فيه ، ومنهم من يقدس الهواء لأنه لايوجد مكان يخلو منه ، فالهواء هو الله عندهم . كما يوجد عدد منهم في غرب الأناضول ، ويعرفون هناك باسم التختجية أو الحطابون ، بينما يطلق عليهم في شرق الأناضول اسم (القزلباشية) أو أصحاب الطاقيات الحمر ، وإن كان بعض الدارسين يفرق بينهم .

كما توجد أعداد متناثرة منهم في بلاد فارس وتركستان وكردستان ويعرفون هناك باسم (العلى الإلهية) أي الذين يؤلهون علي بن أبي طالب وكذلك فرقة البكتاشية في تركيا وألبانيا .

وهناك أعداد متناثرة منهم في مدينة الخليل بفلسطين ، وأعداد أخرى في العراق في منطقة تسمى (عانة) قرب الحدود السورية ، وهذه المنطقة كانت في القديم إحدى أهم معاقلهم ومخابئهم ، ويبدو أن هذه المجموعة هى من البقايا المتبقية فى هذه المنطقة ولم تستطع الخروج منها ، أو الفرار إلى أي منطقة أخرى .

وهناك من المؤرخين من يؤكد أن هذه الجماعات المذكورة وإن كانت تتفق معهم في مسمى (العلوية) إلا أنهم يختلفون عن العلويين السوريين الذين ينتسبون إلى محمد بن نصير سواء في الأفكار والمعتقدات ، أو في الأنساب والأعراف ، بل إن كل واحدة منهم تعد كيانا مستقلا بذاته ، لايرتبط بغيره بأي رابط ، أو يتفق معه في أي مرحلة من مراحل التاريخ ، ولذلك فإن من الأفضل أن تظل تسمية هذه الطائفة بالنصيرية الذي هو الأصل ، وهو الذي يميزهم عن غيرهم ، وهو الذي يمنع اختلاطهم في طوائف أخرى ، يخفى على الكثير رؤية الفوارق بينهم ، أو الفواصل الكبيرة التي تفصل بينهم .

* * *

الفصل السادس

أهم الشخصيات

نظرًا لأن هذه الطائفة ترتبط وتنتسب منذ بدايتها بشخص منشئها فإن الفردية لها تأثير كبير في تاريخها ، وفي إثبات وجودها ، وفي تطور حركاتها على مدى تاريخها ، ومن أهم الشخصيات التي لعبت دورًا بارزًا ، وكان لها بصمتها الواضحة وتأثيرها الجلي الآتي : -

١- محمد بن نصير : وهو منشئ هذه الفرقة ومؤسسها وواضع أولى جذورها ، ومشيد أهم أركانها ، وإليه تنتسب وبه تسمت ، توفي عام ٢٧٠هـ ودفن بالبصرة ، عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم : الإمام العاشر (علي الهادي) ، والحادي عشر (الحسن العسكري) ، وكان له دور واضح في فتنة الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن) ، وهذا الإمام هو الذي تطلق عليه باقي فرق الشيعة وخاصة الإمامية لقب (المهدي المنتظر) ، ولكن الحقيقة التي علمها محمد بن نصير ، وكذلك كل المعاصرين لهذه المرحلة ، والقريبين من دائرة الأحداث يعلمون جيدًا أن الإمام الحسن العسكري لم ينجب أصلاً ، ولم يكن له ذرية ولا أبناء ، ولم يترك من يخلفه في الإمامة ، ويرثه في المذهب ، وبذلك أسقط في أيديهم ، ووجدوا أنفسهم في مأزق كبير ومشكلة عويصة ، فالأصل الأول الذي تقوم عليه الديانة ، والمبدأ الأهم الذي ينبني عليه المذهب ، أصبح مهددًا بالخطر المحدق ، وبالإبادة الكاملة ، والنهاية الشاملة ، هنا ظهر محمد بن نصير وخالف أقوال المحيطين به

جميعًا ، والذين حاولوا معالجة الموقف ، وإيجاد حل لهذه المشكلة ، وادعى قولاً جديدًا لم يسبقه من قبل أحد ، وما انتبه إليه أحد من قبل ، ولفت أنظار الجميع إليه ، وزعم أنه هو «الباب» الذي يوصل لعلم الأئمة ، وهو الذي ورث علمه ، وأخذ حجته ، وأصبح دليلاً عليه لمن حوله، ومرجعًا إليه لمن بعده ، ونظرًا لأن المنتمين لهذا المسلك كلهم يبحث عن الغريب ، ويهوى كل شيء عجيب ، فقد التفوا حوله ، وأيدوا ما زعمه ، وناصروا دعوته ، فلما وجد الناس قد أعجبوا بقوله ، تمادى في غيه ، وادعى النبوة والرسالة ، وقال في الأئمة قولاً غاليًا ، ووصفهم بما لا يليق ببشر بل وصفهم بالألوهية ، وأسدى عليهم صفات الربوبية ، وانطلق بعد ذلك ينشر تخاريفه وشطحاته بين مجموعة من المؤيدين له والمقتنعين به ، إلى أن أصبح له فرقة خاصة به تنتمي إليه وتنتسب له ، وقد اختلف في أصل محمد بن نصير فالبعض ينسبه إلى البصرة التي تسمى بها وإلى بعض قبائلها العربية وقد يكون من الكوفة في العراق ، كما أشار إلى ذلك ابن العبري في تاريخه السرياني ، بينما نرى الشهرستاني ينفي عنه صلته بالعرب والقبائل العربية كلها وينسبه إلى بلاد فارس وإلى إقليم خوذستان التي تأثر بها وحاول نقل أفكاره وبعض من عقائده إليها ، وخاصة الغلو في علي والأئمة والقول بالحلول والتناسخ والابتهاج بأعياء الفرس ومناسباتهم ، وأما نسبته إلى (البكري) فتعود إلى كونه قد حصلها فيما بعد فيكون بالتالي من الموالي لبعض القبائل العربية .

٢- محمد بن جندب : بعد موت محمد بن نصير جاء من بعده رجل يسمى محمد بن جندب ، لا تكاد تذكر عنه المصادر شيئًا يذكر ، فلم يكن له أثر ، ولم يكن عنده جديد ، غير أنه حافظ على الأتباع ، وجمع حوله أبناء المذهب ، وكان من بلاد فارس .

٣- محمــد الجنبلاني : ثم جاء من بعــده رجل آخر يسمى أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني ويرجع أصله إلى قرية جنبلا في بلاد فـارس ، وكان الأتباع يكنونه بالعابد الزاهد الفارسي ، سافر إلى بلاد كثيرة ، وتوجه إلى مصر ، وفيها عرض دعوته على رجـل مـن أهلـها يـدعى الخصـيبي ، تولى إمامة الطريقة من عام ٢٨٧ إلى عام ٢٣٥هـ .

٤- حسين الخصيبي : وهو الحسين بن علي بن الحسين ابن حمدان الخصـيبي المولود عام ٢٦٠هـ وهو مصري الأصل غير أنه رحل منها مع الجنبلانـي إلى بلاد فارس وخلفه في رئاسة الطائفة وهو أول من تقلد رئاسة الطائفـة من غير أهل فارس الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى والسواد الأكبر من الأتباع ،عاش هذا الرجل حياته في ظل الدولة الحمدانية الشيعية في حلب، وفي كنف سيف الدولة الحمداني ، وتمرغ في نعيمها ، وذاق أحلى ثمراتها ، وكان لذلك الرجل الفضل في إرساء دعائم النصيرية سواء كان من الناحية الفكرية والعقائدية ، أو من الناحية التنظيمية ، فقـد أنشـأ مركـزان كـبيران أحدهما في حلب ، وجعل على رأسه محمد بن علي الجبلي ، والآخر في بغداد وجعل على رأسه علي الجسـري ، ولقـد تطـورت الفرقـة في عهـده تطورًا كبيرًا ، وأخذت شكلاً تنظيميًا خطيرًا ، ونظرًا لطول مكثه علـى رأس الفرقة ، وقدرته على التأليف والشرح ، وتميزه بالذكاء والنشـاط والحركـة فقـد أصـبح حجـة في الطريقـة ، ومرجعـًا في المـذهب ، وهـو الشـارح والمرسخ لكل مبادئ الفرقة ومعتقداتها ، كما أنه هو الواضع للشكل العام لسائر العقائد والصلوات والأدعية ، ولذلك كانوا يطلقون عليه لقب « شيخ الـدين » ، كـان للخصـيبي وكـلاء في كـل مكـان ، وكـان يكاتـب الأمـراء والملوك من بني حمدان والديلم ، وضـع كتبًـا عديـدة في المـذهب تعتـبر مرجعًـا في العقيـدة أهمهـا : كتـاب « المجمـوع » ويسـمى أيضًـا بكتـاب « الدستور » ، وكتاب « راست باش » أي « كن مستقيمًا » ، أهداه إلى تلميذه

عضد الدولة الديلمي ، وكتاب « الهداية الكبرى » أهداه إلى سيف الدولة الحمداني أمير حلب .

مات الخصيبي ودفن في حلب ، وقبره معروف فيها ، وله أيضًا مؤلفات عدة في إيضاح طريقته ، كما أنه له أشعارًا ومدائح في آل البيت ، ويعتبر الخصيبي هو المؤسس الثاني للنصيرية ، وهو الذي انتقل بها من العراق إلى الشام ، وكان يقصد بذلك الانتقال هو الانسلاخ الكامل عن الإسلام ، والاستقلال بمن معه عن باقي المجتمعات الإسلامية ، جاء في كتاب « تعليم الديانة النصيرية » هذا السؤال : من هو شيخنا الذي شرع لنا الأديان إلى سائر البلدان ؟ الجواب : هو سيدنا أبو عبد الله الحسين بن حمدان عليه وعلى تلاميذه من الله أفضل الصلاة والسلام . وفي سؤال آخر : لماذا تدعى الطائفة الخصيبية ؟ الجواب : لأننا تابعين لتعاليم شيخنا ابن عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدس الله سره ، وجاء في كتاب « الباكورة السليمانية » أن النصيرية تدعى (ديانة الخصيبي) عندما كان في بغداد فسمع الوالي بعضًا من مقولاته فألقى القبض عليه وأودع السجن ، إلا أنه استطاع الهروب وترك العراق بأكملها وتوجه إلى الشام ، ويقول أيضًا عنه سليمان الأذني صاحب الباكورة (هذا عندهم أعظم من كل من كان بعده ، هو الذي أكمل صلواتهم ، وأذاع تعليمه في البلدان ، ونفخ في أنصاره الروح والنشاط ، ورتب أنظمتهم ، ودبر أمورهم وهم يذكرونه في صلواتهم ويبجلونه بقولهم : (شيخنا وسيدنا وتاج رؤوسنا وقدوة ديننا وقرة أعيننا السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدس الله روحه ، لأن مقامه الصفا ، ومحله محل الصدق والوفا ، باسم الله وبالله سر السيد أبي عبد الله العارف معرفة الله ، سر تذكاره الصالح سره ، أسعده الله) [1] .

٥- أبو سعيد الطبراني : اختير زعيما للطائفة بعد موت الخصيبى، غير أن

---

(١) الباكورة السليمانية ص ٦٢

الفارق بينهما كان كبيرا ، والبون بينهما كان شاسعا ، ولذلك فلم يكن له دور واضح ولم يترك أثراً ظاهراً .

٦- الأمير حسن المكزون السنجاري : وبعد وفاة أبي سعيد الطبراني لم يستقر الحال لواحد بعينه ، بل تناوب على زعامة الطائفة عدة مشايخ ، وعندما دب الضعف فيها ، وتزايدت حملات المعارضين لهم والرافضين لعقائدهم ، خرج اثنان من شيوخهم وهما : الشيخ محمد البانياسي والشيخ علي الخياط ، وذهبا إلى الأمير حسن المكزون السنجاري ، وعرضا عليه حالة النصيريين البائسة وما وصلوا إليه من سوء حال جراء مضايقة الأكراد والأتراك لهم ، فأخذت الأمير حسن الحمية وذهب بجيش قوامه خمسة وعشرون ألف مقاتل ، ونصب خيامه على (عين الكلاب) بقرب قلعة (أبي قبيس) وعلى سطح (جبل الكلبية) ونشر جنوده في المنطقة ، وظن أن الأمر قد استتب له ، غير أن الأكراد والأتراك اتحدا فيما بينهما ، وتجمعوا سراً قبل مجيئه إلى منطقة (مصياف) وشنوا غارة ليلية على جنوده وأخذوه على غرة فغلبوه وهزموه شر هزيمة ، فرجع الأمير إلى منطقة (سنجار) وهو يجر أذيال الهزيمة من ورائه ، ويتجرع كئوس الذل والمهانة .

ظل الأمير حسن السنجاري يعد جيشه ، ويعيد ترتيبه وتدريبه وتكوينه مدة ثلاثين سنة ، ونجح في مضاعفة عدد الجنود المقاتلين إلى ما يزيد عن خمسين ألف مقاتل ، غير النساء والأطفال الذين أصروا على الانضمام إلى الجيش ، والإصرار على المشاركة في أخذ الثأر وتعويض الهزيمة ، فلما اطمأن على جيشه ، واستقر على خططه ، زحف الأمير حسن من منطقة (سنجار) وتوجه بجيشه إلى منطقة النصيريين عن طريق حلب ، فالتحق به جموع النصيريين المقيمين فيها ، وظل يتقدم ويقاتل إلى أن استولى على منطقة جبال النصيريين بكاملها وأعادها إليهم ، واتخذ من قلعة (أبي قبيس) مقراً له بعد أن استولى عليها بعد قتال مستميت ، واستولى أيضاً على (جبل الكلبية) إلى أن

وصل إلى قمة جبال النصيريين التي تسمى (شعراً) ، ولقد نجح الأمير حسن فى جمع كل الطوائف المتفقة معه فى الفكر ، والمتشابهة معه فى الرأى ، فقد تعاون معه ووقف بجانبه طائفة الإسماعيلية الأغاخانية ، الذين ساعدوه على طرد الأكراد والأتراك إلى جهة (عكار) في لبنان ، وجعل قلعة (أبي قبيس) مركزاً دائماً له ، كما اتخذ قرية (سيانو) المجاورة إلى (خربة جبلة) مقرًّا ثانياً له يؤِّمن من خلالهما المنطقة بكاملها التي دانت له بالولاء والطاعة .

ظل على هذا الوضع إلى أن وافته المنية وهلك في عام ٦٣٨هـ ودفن في قرية (كفرسوسة) ، وبذلك يعتبر الأمير حسن هو أول من رفع سلاح الحرب والقتال من أبناء الطائفة النصيرية ، وهو الذي شجعهم بعد ذلك على المواجهة العسكرية ، والدخول في سلسلة من الحروب والقتال ضد من حولهم من أهل السنة والجماعة ، كما أنه ثبت أقدامهم فى هذه المنطقة التى طردوا منها وتركوها مدة من الزمن ، وأصبحت مقرًّا دائمًا ، ومسكنًا ثابتًا .

٧- أبو سعيد الميمون : عندما توالت هجمات التتار على العالم الإسلامي أغار هولاكو على الدولة العباسية في بغداد ، ووقف بجانبه النصيريون في فرع بغداد ، وساعدوه على البطش والتنكيل ، بل إنهم هم الذين جرأوه وشجعوه على قتل الخليفة العباسي وحرضوه أيضا على البطش به وبجميع أسرته ، وهذا هو الذي يبرر إسراف التتار في القتل ، وفي سفك الدماء ، والقضاء التام على أفراد الأسرة العباسية ، صغيرها وكبيرها .

ومع كل هذه الخدمات الجليلة التي قدمها النصيريون للغزاة التتار ، إلا أنه سرعان ما انكشف أمرهم ، وافتضح سرهم ، وانقلبت الدائرة عليهم، وعرف هولاكو غدر هؤلاء القوم وخستهم، فقام بملاحقتهم ومطاردتهم ، ولم يترك أحدًا منهم وقع تحت قبضته إلا قتله وتخلص منه ، فانتقل من تبقى منهم إلى منطقة الساحل واختبئوا في اللاذقية ، ونصَّبوا على أنفسهم زعيمًا منهم وهو أبو سعيد الميمون : سرور بن قاسم الطبراني المولود في مدينة طبرية شمالي

فلسطين عام ٣٥٨هـ ومات ٤٢٦هـ ، وبطبرية التي انتسب إليها وحفظ فيها القرآن الكريم منذ صغر سنه ، وسافر إلى حلب سنة ٣٧٦هـ وفيها تعرف على هذه الطائفة وألف فيها كتبًا كثيرة ، وعند انتقال الطائفة إلى اللاذقية كان أول رئيس لها ، وكان من أكبر وأغزر مؤلف في الطائفة على الإطلاق ، فقد كتب في العقائد ، وسن القوانين ، ورتب الأعياد ، وأدار شئون الدين ، وفي مقدمة مؤلفاته كتاب (مجموع الأعياد) وكتاب (الحاوي) وكتاب (الدلائل في معرفة المسائل) وكتاب (رسالة التوحيد) .

وبعد القضاء على التتار ، عاد الأتراك والأكراد وهاجموا أماكن تواجدهم ، فقد أرادوا تصفية الحساب معهم ومعاقبتهم على أفعالهم الشنيعة ، وتصرفاتهم المخزية التي ارتكبوها ، فاستنجدوا مرة ثانية بالأمير حسن المكزون السنجاري الذي لم يجد أمامه سبيلا غير أنه جمع كل أبناء الطائفة في منطقة اللاذقية وفي جبالها الممتدة من هذه المنطقة ، وكون لهم تجمعات سكنية خاصة بهم لا يدخلها أحد غيرهم ، حفاظاً عليهم من هجمات المعارضين لهم أو من خطر الذوبان في المجتمعات المحيطة بهم ، كما ظهر أيضًا في هذه الفترة الشاعر القمري محمد يونس الكلازي الذي عرف في منطقة أنطاكية وما حولها .

ولقد مات أبو سعيد الميمون عام ٤٢٦هـ.

٨- سليمان المرشد : كان يعمل في رعي الأبقار ، غير أنه كان شعلة من الدهاء والخبث ، واحتضنه المستعمر الفرنسي عندما تعرفوا على ملكاته الشخصية ، وإمكاناته العقلية ، وكان من مصلحة الفرنسيين تجميع أبناء هذه الطائفة تحت قيادة لهم تابعة لسيطرتهم ، وليجعلوهم شوكة فى ظهر المخالفين لهم ، فلم يجدوا أفضل من هذا الرجل لتحقيق أهدافهم ، ولقد لعب سليمان المرشد الدور الذي رسم له بإجادة أثارت انتباه الجميع ، واتخذ له مساعداً يسمى سليمان الميدة وكان يعمل في رعي الغنم ، وفي بداية الأمر ادعى النبوة والرسالة ـ على وفق طريقتهم المعهودة ـ ثم تطور

الأمر بعد أن استقرت له الأمور ، فترك وظيفة النبوة والرسالة لمساعده ، بينما هو تفرغ إلى درجة أعلى وإلى وظيفة أرقى وهي مرتبة الألوهية ، ولقد ساعده الفرنسيون على الاضطلاع بهذه المهام ، وتزويده بكل ما يؤهله للقيام بهذا الدور ، فقد كان يظهر أمام أتباعه وهو يلبس ثياباً فيها أزرارًا كهربائية مضيئة ، ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار عن طريق أسلاك يخفيها بعناية في ثنايا ثيابه ، ولم يكن القوم قد وصل إلى علمهم وهم من ساكني الجبال ما يعرف باسم الكهرباء أو البطاريات ، ولكن الفرنسيون هم الذين زودوه بكل هذه الألاعيب ، وهم الذين رسموا له هذه المخططات ، فإذا أوصل التيار الكهربائي أضاءت الأنوار في الأزرار المتناثرة على صدره فى وسط الظلام الدامس ، فيخر له الأنصار ساجدين وهم يقسمون بأغلظ الأيمان أنه لايستطيع أن يفعل ذلك إلا الإله ، والطريف في الأمر أن المستشار الفرنسي الذي أخرج هذه المسرحيات كان يسجد أيضًا مع الأتباع ويخاطب سليمان المرشد ويقول له : (يا إلهي) . وقد سئل سليمان المرشد مرة فقالوا له : أنت إله؟! وآغاخان (زعيم طائفة الإسماعيلية) هو الآخر إله؟! فكيف تتسع الأرض لإلهين؟ فأجاب : إن الخالق يبث روحه فيمن يشاء ، وقد يبثها في مائة من مخلوقاته فيصبحون أرباباً مثلي[1] .

وكان سليمان المرشد جباراً ظالمًا ، لا يلين ولا يتسامح ، وكان ينكل بكل من يعارض أو يعصى أمره ، فقد كان من المغرمين بالقتل وسفك الدماء والنهب والتعذيب والتشريد بكل وحشية وقسوة (وهذه هي طريقة المتقدمين منهم والمتأخرين) وكان الفرنسيون يباركون عمله ويؤيدون تصرفه ، حتى تظل الأمور في يده وتحت تصرفه ، ولا ينفلت العيار بعيداً عن تصرفه ، ويفعل كل واحد ما يحلو له أو يراه صوابًا ، وبذلك ينفرط عقدهم ، ويتفرق شملهم

---

(١) الأعلام ٣/١٧٠ الزركلي

ويسهل القضاء عليهم . وعندما قامت ثورة الاستقلال عام ١٩٤٦م ، كان أول ما قام به قادة البلاد الجدد من المواطنين الأحرار والشرفاء أنهم قدموه للمحاكمة واتهموه بالفساد والقتل والعمالة للمستعمر الأجنبي ، وقد أدين في قضايا متعددة وثبت ارتكابه لجرائم كثيرة ، وصدر في حقه حكمًا قاسيًا ، ونفذوا فيه حكم الإعدام[١] .

ولكن الأتباع الذين يدينون له بالولاء والطاعة جاءوا بولده مجيب ليكمل لهم المسيرة ، ويواصل معهم المشوار وعلى نفس خطى والده جعلوا منه إلهًا ودانوا له بالولاء والطاعة ، وجمع حوله أبناء الطائفة ، فقام رئيس المخابرات السورية بقتله عام ١٩٥١م ، ولا يزال أبناء قومه من قبيلة الماخوسية يذكرونه على ذبائحهم إلى اليوم ويقولون عند الذبح : (باسم المجيب الأكبر ، ومد يدي لرقبة أبي بكر وعمر) ولم تنقطع هذه السلسلة الشيطانية بل جاءوا بعد مقتل مجيب بابنه مغيث ووضعوه كما وضعوا آباءه من قبله ، واتخذوه إلهًا ولكنه سار في طريق مخالف لما سار عليه من سبقه ، وترك أسلوب القوة والصرامة والقهر ، وابتعد عن سلوك العنف والبطش ، واتخذ لنفسه أسلوبًا جديدًا يتسم بالدهاء والمكر ، فلم يشجع الأتباع على الاحتماء بقمم الجبال والابتعاد عن الناس ، والانزواء في الأعمال الصعبة ، والمهن الدنيئة ، والقيام بالتصرفات الغريبة ، بل شجعهم على ترك أماكنهم التقليدية في الهضاب الوعرة وقمم الجبال الصعبة ، وطلب منهم أن يتسللوا إلى سكنى المدن الكبيرة ، والزحف إلى المناصب الهامة والمواقع المؤثرة ، وأخذ في تقوية نفوذهم وبسط سلطانهم في أماكن مختلفة منذ عام ١٩٦٥م ، ولم يستمر الوضع طويلاً على حسب الخطة الموضوعة ، فقد نجحت هذه المحاولات سريعًا ، واستطاعوا الوصول إلى قمة السلطة في سوريا عن طريق الانقلابات العسكرية ، إلى أن استتب

---

(١) الأعلام ٣/١٧٠ الزركلي

الأمر لواحد منهم وهو حافظ الأسد النصيري الذي سيطر على البلاد في يوم ١٢ مارس ١٩٧١م .

٩- سليمان الأحمد : وكان يشغل منصبًا دينيًّا كبيرًا في دولة العلويين التي أسسها المستعمر الفرنسي عام ١٩٢٠م .

١٠- محمد أمين غالب الطويل : وهو من الشخصيات النصيرية التي عملت بإخلاص وتفاني في بلاط المحتل الفرنسي ، وقدمت لهم خدمات جليلة ، وهو مؤلف كتاب (تاريخ العلويين) الذي أراد به تحسين صورة هذه الطائفة أمام أعين الباحثين والدارسين وأمام المستشرقين ، وفي عيون المعارضين ، ليأمن مكرهم ، ويبعد شرهم ، ويخفف السخط عليهم .

- وهناك شخصيات نصيرية عرفت في الآونة الأخيرة واشتهرت في المجال الفني والأدبي منهم : الشاعر أدونيس ، والشاعر بدوي الجبل ، والشاعر سليمان العيسى ، والشاعر المسرحي ممدوح عدوان وسعد الله ونوس .

* * *

الباب الثاني

أركان الدين النصيري
العقائد

الفصل الأول : الألوهية

الفصل الثاني : اعتقادهم في الأئمة

الفصل الثالث : التقمص ـ التناسخ ـ التجايل

الفصل الرابع : التثليث

الفصل الخامس : الأيتام الخمسة

الفصل السادس : التجلي

الفصل السابع : الحلول

الفصل الثامن : معاداة الصحابة

النصيرية من الفرق الباطنية التي تخفى عقيدتها وتجعلها سرًّا من الأسرار ، فهي تتكتم على أمورها وتخفي معتقداتها ، ولذلك فهم يعتبرونها من الأسرار العميقة التي لا يجوز لأحد أن ينشرها أو يعلنها أو يفشى منها شيئاً ، ومن تسول له نفسه فعل ذلك ، أو يتجرأ على فعل شيء من هذا ، فالجزاء الذي يستحقه هو القتل والتنكيل به ولذلك ظلت هذه الطائفة زمناً طويلاً لا يجرؤ واحد على إظهار حرف واحد من معتقداتها ، ولايعرف الناس عنها شيئاً إلا ما سمحوا به وأعلنوه على الملأ ، وهو قدر ضئيل ونذر يسير .

جاء في كتاب « الهفت الشريف » : « يا مفضل : لقد أعطيت فضلاً كثيراً ، وتعلمت علماً باطناً ، فعليك بكتمان سر الله ، ولا تطلع عليه إلا وليًّا مخلصاً ، فإن أفشيته إلى أعدائنا ، فقد أعنت على قتل نفسك »[1] .

ومن مكان آخر من نفس الكتاب :

« وأوصيك يا أخي ونفسي بكتمان سر الله تعالى ، وباطن مكنونه ، إلا من إخوانك الموحدين ، المقرين بمعرفة على الأعلى »[2] .

وفي إحدى رسائلهم : « وقد كشفت لك في هذه الجوابات مالم يجب كشفه ، إلا من لسان إلى أذن ، لمن يوثق به ، وهو عندك أمانة ، لاتوقف عليه أحداً »[3] .

ظلت الأحوال على ذلك زمناً طويلاً ، والتزم الجميع بهذه السرية وذلك الكتمان ، وحافظ عليه أبناء الطائفة وتوارثوه جيلاً بعد جيل ، ولذلك حافظوا على كيانهم وعلى وجودهم وسط العواصف التي تشتد من حولهم تارة وتهدأ بعد ذلك تارة أخرى .....

---

(١) الهفت الشريف ص ١٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٧٨

(٣) خمس رسائل وأجوبتها (بدون مؤلف) ص٦٥ ، ضمن رسائل حققها المستشرق الألماني شتروطمان

إلى أن جاء سليمان الأذني (الأضنى) وهو رجل من أبناء قبائلهم المعروفين، ومن أبناء مشايخهم المبجلين، وتربى في بيت رجال دينهم المشهورين، وكانت له عقلية متطلعة، ونفس متسلقة، فتعرف على بعض المنصرين الأمريكيين الذين كانوا يجوبون المنطقة ويدعون إلى العقيدة النصرانية، فتعلق بهم واستطاعوا إقناعه، ونجحوا في التغلب عليه، ومساعدته على الارتداد عن هذه العقيدة وأعلن تنصره، وساعدوه على الفرار من بلادهم حتى يكون في مأمن بعيد عنهم، ووفروا له الظروف الملائمة لإقامة مريحة، وحياة سعيدة وطلبوا منه أن يفصح على ما عليه القوم من أسرار، ويجلى الحقائق التي داوموا على كتمانها، وحافظوا على إخفائها، فبدأ ذلك الرجل ولأول مرة على مدى تاريخهم الطويل في فضح أسرارهم، وإعلان جملة من عقائدهم على الملأ وتعريتها أمام الناس أجمعين.

جمع المنصرون هذه الأفكار وتلك الاعترافات ونشروها في كتاب أطلقوا عليه اسم (الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية) وبالفعل تم نشره في بيروت عام ١٨٦٣ميلادي، وبذلك انفضح أمرهم وانكشف سرهم وخرجت هذه العقائد إلى الأضواء، وتسلطت عليها الأنوار، وتعرف عليها الكبار والصغار، ووقعت عليها الأنظار، وتعاقب على نشرها الليل والنهار، فلما وقعت هذه الكارثة أرادوا الانتقام منه، وجعله عبرة لغيره، ولكى يحافظوا على البقية المتبقية عندهم، فبدأ أهله وأقرب الناس إليه ومن لهم تأثير عليه في التودد إليه ومراسلته والتقرب منه، فلما أنس منهم وحشتهم، وزالت عنه غمتهم، طلبوا منه العودة إلى وطنه، والرجوع إلى أهله، وأعلنوا الصفح عنه ومسامحته، فنجحوا في ذلك وصدقهم، فلما حضر عندهم، ووقع بين أيديهم، حاكموه على فعلته، وأرادوا عقابه على جريمته، فأقاموا له مكاناً في ساحةٍ كبيرة، وأشعلوا فيه النار، وسط صيحات المتشفين، وآهات المعجبين، وهلوسات المتعصبين، وبعد قتله بهذه الطريقة البشعة وبهذا الأسلوب الهمجى

والبربرى ، حاولوا سحب الكتاب من الأسواق ومن كل المكتبات والمطابع ، وبالفعل استطاعوا جمع كل نسخه الموجودة فى المكتبات ، وكل ما وقع تحت أيديهم ، ولم يتركوا وراءهم نسخة واحدة ، غير أن هذه الأمور عندما تظهر لا يستطيع أحد إخفاءها أو طمس معالمها أو إعادتها إلى الحال التي كانت عليها . . . . فقد انكشف السر ، وظهر الأمر للقاصي والداني .

ويعلل أصحاب الطائفة اعتمادهم على السرية ومحافظتهم على الكتمان ، واتخاذهم طريقة الفرق الباطنية فى التخفى وعدم الظهور ، وإقامة حاجز حديدي على معتقداتهم وعباداتهم وسائر أعمالهم ، إلى أسباب سياسية وأمنية ، وليس لها علاقة بالأمور الدينية أو الاعتقادية ، وذلك لحمايتهم من الأخطار المحيطة بهم ، والتي تعرضوا لكثير من الأذى والاضطهاد والإبادة الجماعية بسببها من المخالفين لهم والمعترضين عليهم ، والتي حدثت معهم على طول تاريخهم ومنذ زمن نشأتهم وظهورهم الكثير من المشاكل ، والعديد من الاضطرابات ، وتعرضوا للقتل والتعذيب ، ومحاولات الإبادة والتطهير العرقى ، والتهجير الجماعى .

غير أنهم سلكوا ذلك المسلك مثل غيرهم من بقية الفرق الباطنية لأنهم لم يجدوا من البراهين والحجج والاستدلالات ما يدافعون به عن معتقداتهم ، أو عن مسلكهم إلا السير في الطرق المظلمة ، والحديث في الغرف المغلقة والعمل بعيداً عن أنظار الناس ، وأسئلتهم التي لايجدون لها جواباً ، واستفساراتهم التي يعرفون مسبقاً أنهم لايستطيعون الرد عليها ، ولذلك فليس أمامهم إلا طريق الغموض والاختفاء ، وعدم الوضوح وعدم الصراحة ، وهذا ما يجر عليهم الريب والشك وسوء الظن ، وهم دوماً موضع التهم من الجميع على السواء ، وإخوانهم من الشيعة يتهمونهم بالضلال ، ويصفونهم بالغلو والانحراف ، وأهل السنة يحكمون عليهم بالكفر والزندقة .

الكفر ملة واحدة :

إن الفترة التي ظهرت فيها دعوة محمد بن نصير بكل ما تحتويه من أفكار غريبة ، ومعتقدات عجيبة ، ودعاوى تصطدم بصورة مباشرة وصريحة مع تعاليم الدين الإسلامي ، وتقع في كفة المواجهة مع العقيدة الصحيحة ، شهدت هذه الفترة الزمنية أيضاً ظهور عدة دعاوى أخرى تعتمد على نفس الأفكار ، تسير في نفس الطريق ، وتتمسك بذات المنهج ، وتنتهج الأسلوب المعادي لأهل السنة والجماعة ، ففي أقصى الشرق ظهرت دعوة القرامطة (الحشاشين) أتباع عبدالله بن ميمون القداح ، وفي أقصى الغرب ظهرت دعوة العبيديين الذين انتشروا فى منطقة شمال أفريقيا ، ونجحوا في تأسيس دولة الخلافة الفاطمية ، وتمركزوا بعد ذلك في مدينة القاهرة ، وجعلوها عاصمة لهم ، ومنطلقا لأفكارهم ، ومحضنا لمعتقداتهم ، ومركزا لانطلاقاتهم .

وإن كان القرامطة قد هلكوا جميعاً ولم يبق منهم أحد ، وكذلك العبيديين قد تفرقوا أشتاتا متناثرة ، إلى غير رجعة ، وصاروا أثراً بعد عين ، ولم يبق من هذه الطوائف غير النصيريين ، فإن ذلك يرجع إلى أن النصيريين لم يدخلوا خلال مدة طويلة من تاريخهم في حروب عسكرية ، ومواجهات حربية مباشرة مع غيرهم ، كما فعل الآخرون الذين انهزموا وانكسروا وتلاشوا من الوجود ، وتاهوا بين الناس ، واندثروا بين الأمم ، بل فضل النصيريون الانزواء بعيداً عن الأنظار ، والاختباء في الأماكن الوعرة وفي وسط الجبال الصعبة ، عندما تشتد الخطوب ، وتتزاحم الهموم ، وإن كانت هناك بعض المواجهات التي حدثت معهم ، ودخلوا في حروب ضد معارضيهم ومناوئيهم من أهل الإسلام إلا أن ذلك كان فى فترات متأخرة ، وفى أزمنة قريبة ، ومع ذلك فقد كانوا دائماً ذيلاً لغيرهم وخدماً لأسيادهم من أهل الكفر والشرك ، وكانوا يشكلون الطابور الأخير في صفوف المحاربين ، ولم تكن لديهم إرادة مستقلة ، أو موقف منفرد .

الفصل الأول

الألوهـية

فهم يؤلهون عليًّا من حيث المبدأ ، ولكن عند الدخول إلى التفاصيل تجد أن فريقًا منهم يقولون إن عليًّا إلهًا في ذاته بينما نجد فريقًا آخر يقول بأن الألوهية هي التي حلت فيه ، وهناك منهم من يقول إن محمدًا بعضًا من مخلوقات علي ، فعلي هو الأصل وهوالذي خلق ، ومحمد فرع منه ، بينما يرى فريق آخر أن محمدًا هو أيضًا إله لا يقل بحال عن على ، فهما متساويان في الحقيقة والأصل،وعندما اتسعت المسألة أصبح هناك ازدواجية في الألوهية، وصار هناك إلهان ، وهذه مشكلة ثانية قد وقع فيها القوم دون أن يدركوا مغبة ذلك على وضع الطائفة وسط غيرها من المشابهين لها ، وحتى يخرج القوم من هذه الورطة خرجت طائفة الكلازية منهم ليوفقوا بين الأقوال المتناقضة والأفكار المتعارضة ، فخرجوا برأي آخر جديد ، فقالوا إنهم يرون أنه لا يصح أن يكون هناك إلهان : علي ومحمد ، فتفتقت أذهانهم العبقرية ، وأفكارهم الجهنمية وقالوا بأنهما في الحقيقة إله واحد وهو علي! وعندما طرحوا هذه الأفكار لم تعجب فريقًا آخر منهم وهم فرقة الشمالية فقالوا : إن محمدًا وعليًّا شيئًا واحدًا لا يفترقان وليسا منفصلين ، وإن كانت الغاية الكبرى هي علي وليس محمد ، مع أن محمدًا هو الآخر إله ومن اختصاصه الخلق واعتقدوا أيضًا بربوبيته .

وإن كانت كل هذه الترهات والأباطيل التي يقولون بها إنما تقوم على الثنائية بين على ومحمد ، فهناك فريق آخر منهم فتح الباب على مصراعيه

وانتقل إلى مرحلة أوسع من ذلك في مجال عقائدهم وأفكارهم يقوم على التثليث وليس على الثنائية فقط .

وبذلك تكون العقيدة عند الطائفة النصيرية قد ظهرت فيها الآثار الوثنية واليهودية والنصرانية الواضحة والظاهرة والتي لا تخفى على أحد ، إلا إنها ليس فيها أي آثار من العقيدة الإسلامية ولو إشارة من بعيد والشيء الوحيد الذي يربطهم ليس بالعقيدة الإسلامية ، بل بالإسلام من أصله ، أنهم يستخدمون الألفاظ الإسلامية فقط دون الدخول إلى حقائق الأمور ، فلو حذفنا من أقوالهم ألفاظ علي ومحمد والإسلام والقرآن ، فسوف نجد مسخًا قبيحًا لا ينتمي إلى عقل سليم ، أو إلى فكر مستقيم أو منطق سوي ، فضلاً عن الانتماء إلى أفضل دين وأرقى عقيدة ، سوف نجد أنفسنا أمام مسخ مشوه ، وسقط مموه ، ليس له معالم واضحة أو أشكال ظاهرة .

* * *

الفصل الثاني

اعتقادهم في الأئمة

نظرًا لأن النصيرية خرجت من رحم فرقة الإمامية الاثنى عشرية ، فهم يتفقون معهم في الاعتقاد في الأئمة الاثنى عشر على حسب الترتيب المتفق عليه عندهم ، دون النظر إلى كل الاختلافات والصراعات والاعتراضات على هذا الترتيب ، أو الطعن في أصحابه .

غير أن الأئمة عند النصيريين لهم ميزات مستقلة عن غيرهم ، ولهم خصوصيات يمتازون بها ، ويقولون إن أفعالهم وأقوالهم ونوايا قلوبهم منطبقة على الإرادة الإلهية انطباقًا تامًّا ، وهم معصومون من الخطأ لأن الخطايا رجس وقد نص القرآن الكريم على أنهم بعيدون عن الرجس في قوله تعالى : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب:٣٣) . ولذلك فهم مصدر الإرادة الإلهية في كل التصرفات .

- والإمام عندهم في درجة أعلى من درجة النبوة ، وفي منزلة أسمى من منزلة الرسالة ، ولأن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة أمين الوحي جبريل ، والأئمة يكلمون الله تعالى بغير واسطة ، ويأتيهم الإلهام الرباني مباشرة فضلاً على أن لهم شرائع مستقلة غير تلك الشرائع الأخرى المعروفة التي جاء بها الأنبياء والرسل ، فهم يمثلون عصرهم الذي يعيشون فيه ، والبيئات التي نشأوا فيها وعاشوا في ربوعها .
- ولقد تعرضت مسألة الإمامة إلى عدة طعنات نافذة ، ففي المرة الأولى : عندما أوصى الإمام السادس جعفر الصادق بالإمامة لولده الأكبر إسماعيل ،

غير أن إسماعيل مات في حياة أبيه فاختلف الأتباع وانقسموا إلى فريقين ، فأما الفريق الأول فقد تمسك بهذه البيعة ونقلها بدوره إلى محمد بن إسماعيل ، ثم تسلسلت الإمامة في ولده من بعده ، وأما الفريق الثاني فقد أعاد هذه الوصية إلى صاحبها مرة ثانية ، الذي أوصى بدوره إلى ابنه الثاني وهو موسى الذي أطلقوا عليه لقب (الكاظم) ثم تسلسلت الإمامة من بعده في ولده وذريته ، ويعرف أصحاب الفريق الأول باسم (الإسماعيلية) بينما يعرف أصحاب الفريق الثاني باسم (الجعفرية) .

وفي المرة الثانية : عندما مات الإمام الحادي عشر (حسن العسكري) ولم يترك له عقبًا ولا ذرية يرثون من بعده الإمامة ويحملون من بعده الأمانة ، فوجد القوم أنفسهم في ورطة كبيرة ، واختلفوا فيما بينهم اختلافًا كبيرًا ، فذهب فريق منهم إلى أن عهد الإمامة قد انتهى أمره وأصبح لا وجود له على أرض الواقع ، وانحسرت المصداقية في أقوالهم إلى أدنى مستوياتها حتى قال البعض منهم إن المذهب الشيعي نفسه قد انتهى برمته عند هذه النقطة التي لا يوجد ما يبررها ، قال المسعودي : « إن فرق الشيعة تفرقت ـ في هذه المرحلة ، وحول هذه المسألة ـ إلى عشرين فرقة » ، بينما قال القمي : « إنها تفرقت إلى خمس عشرة فرقة ، وأن إرادة الله هي التي أرادت ذلك ، لأن أمر الإمامة موكول إلى الله »[1] .

- وليس من أصحاب هذه الطائفة (النصيرية) تفسير للقرآن الكريم متداول بين الأتباع أو منتشر بين الأصحاب ، بل إنهم يزعمون أنه لا توجد تفاسير للقرآن الكريم إلا عند الأئمة فقط دون سواهم فيكون عند الإمام أساس المعرفة ، وعالمًا بعلوم الأولين والآخرين ، لأن الجهل منقصة ، وليس في الإمام منقصة ، والجهل ضلالة وليس عند الإمام ضلالة ، وإنما هم

---

(١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. دكتور ناصر القفاري ١/٣٥٠ ، منهاج السنة لابن تيمية ٤/٨٧ .

مصـــدر الهداية ، ومع كل ذلك لم نجد واحداً من أئمة النصيرية على طول تاريخهم قد أخرج تفسيراً للقرآن الكـريم ، ونشـره علـى النـاس ، وأظهـره على الخلق ، ووقف الجميع على مدى علمه ، وعلى واسع معرفته[(١)] .

- وكذلك علم الفقه الذي يحتوي على الأفعال التكليفية والأحكـام العمليـة ، لا يوجـد له أي أثر عند هؤلاء النـاس ، ولا توجـد أي مؤلفـات في هـذا المجال عند أئمتهم ومشايخهم ، ومن هـذا المنطلـق فـإن طائفـة النصـيرية يجعلون من وصل إلى مرتبة « الشيخ » عنـدهم فإنـه قـد وصـل إلى مرتبـة الإمام كما عند طائفة الاثنى عشـرية غـير أن هـؤلاء يرفعـونهم فـوق هـذه الدرجة بمراحل أكبر ، ويعطونهم مزايا أعظم ، فهم يقدسونهم ويعظمـونهم ويحيطونهم بهالة عظيمة من التكريم والاحترام ، ويعمدون إلى استشـارتهم في كل كبيرة وصغيرة لأنهم يعتقدون بأنهم يعلمون الغيب وما سيحصل في المستقبـل ، وأنـه مكشـوف عنهم الحجاب ، وعندما يصدر الشيخ حكمًـا أو قولاً فإن هذا القول لا يرد ، وهذا الحكم لا يصد ، ويكون مبرمًا نافـذًا لا يقبل الجدل سواء كان ظاهره على حق أم على باطل .
- ونظرًا لأن عهدة الطائفة بكاملها موضوعة عند شـيوخهم ومتروكـة عنـدهم يفعلون فيها ما يشاءون لذلك لم تستقر طائفة النصيرية من أول عهدها إلى آخره على مقولة واضحة ، أو اعتقاد ثابت لا يتغير ، بـل ظهـر الاضـطراب والتناقض بين الأقوال بعضها مع بعض ، في كل مراحلها وتطورها .
- والأئمـة عنـدهـم ليسوا كالبشر فـي مولدهم ومماتهم ولكـن لهـم خاصـية لا يزاحمهم فيها غيرهم، يقول كتاب الهفت الشريف : « فإن أراد الله إظهـار الإمام في الظاهر ، تأديبًا لهذا الخلق ، أرسـل روحًـا مـن عنـده فتـدخل في المولود الذي قد يتطهر من كل دنس ولم يزاحمه رحم ، ولكن تدخل الروح فيه تأديبًا للناس ، أتدري يا مفضل ما مثل ذلك ؟ قلت : لا يا مولاي قال :

---

(١) تاريخ العلويين ص ١٨٣ ، الهفت الشريف ص ١٧

إن ميلاد الإمام وموته ليس بميلاد ولا موت ، إنما مثله كمثل رجل لبس قميصًا ونزعه حينما شاء»[1] .

وأورد صاحب كتاب الهفت الشريف قولاً جرى على لسان جعفر الصادق ما نصه : «نحن الأئمة أولياء الله ، لا يفتر علينا من علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء ، نحن يد الله وجنبه ، ونحن وجه الله ويمينه ، وأينما نظر المؤمن (النصيري) يرانا ، أين شئنا شاء الله ، ولا تلقه إلا لأهله (أي هذا السر وذلك القول) والحمد لله الذي اصطفانا من طينة من نور قدرته ، ووهبنا سر علم مشيئته ، وأمرنا بأن نعرف شيعتنا حق حقيقة معرفة أمانته ، وتخلص نفوسه من كدر العذاب بولايته»[2] .

جاء في سورة الفتح الخامسة كما تقول طائفة النصيرية : (أشهد أن السيد سلمان خلق الأيتام الخمسة الكرام ، فأولهم القيم الأكبر والكوكب الأزهر ، والمسك الأذخر والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر المقداد بن أسود الكندي وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحة الأنصارى وعثمان بن مظعون النجاشي وقنبر بن كادان الدوسى هم عبيد مولانا أمير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم وهم خلقوا هذا العالم من مشارق الشمس إلى مغاربها وقبلتها وشمالها ، وبرها وبحرها ، وسهلها وجبالها .

* * *

---

(١) الهفت الشريف ص ١١٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٢١

الفصل الثالث

التقمص (التناسخ) ، (التجايل)

تأثرت عقيدة النصيريين بالمجوسية وعقائد اليهود والبوذيين وبالأفكار الفلسفية الإغريقية القديمة التي كانت تهيم فى فضاء الوهم والخرافة ، وتسبح فى ثنايا الجهل والضلالة ، ويظهر ذلك بوضوح فى انتشار الحكايات الغريبة والأساطير العجيبة ، وكانوا يتعاملون معها على أنها حقائق لا تقبل الجدل أو النقاش ، ولا يخالطها العقل ولا يطرأ عليها التفكير ، ومن جملة هذه التأثيرات ظهرت عندهم فكرة التقمص ، فهم يتصورون أن البشر كانوا في الأصل من مجموعة الكواكب التي تسير في الفلك الخارجي ، غير أنهم ألقي بهم إلى الأرض الصحراء جراء ارتكابهم للخطايا واقترافهم للذنوب ، وإن الأرواح لا تستقر على حال واحدة ، ولكنها تنتقل من جسد إلى جسد آخر سبع مرات قبل إعادته مرة ثانية إلى السماء بعد أن تكون الروح قد انصقلت وتهذبت ، وبعد أن تكون روح المتوفى قد انتقلت من جسد إلى آخر .

ويحاول أصحاب هذا الباطل أن يرفعوا ذلك الإفك الذي لايحتاج إلى دليل أو برهان لإظهار فساده وشططه ، ولكن زيادة منهم في طمس حقائق الإيمان الناصعة ، وتشويه صورة الإسلام النقية ، أرادوا الاستدلال من القرآن الكريم على أن هذه العقيدة جاء ذكرها في قوله تعالى : ﴿ **فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ** ﴾ (الانفطار:٨) وكأنهم فهموا بعقولهم المريضة ، وأفكارهم السقيمة أن الآية تدل على أن الهيئة التي خلق عليها الإنسان ، جاءت على صور مختلفة ، وأنماط متعددة ، والأشكال التي ينتقل إليها الجسد البشرى متباينة.

والتناسخ عندهم يكون على أربعة أنواع :

١- النسخ : وهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر .

٢- المسخ : هو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى جسد حيوان .

٣- الفسخ : وهو خروج الروح من جسم الآدمي إلى جسد حشرة في الأرض .

٤- الرسخ : وهو انتقـال الروح من جسم الآدمي إلى الشجـر أو نبات أو جماد.

- وهناك اعتقاد عند فريق منهم أن هذه المراحل لا تصيب صاحب الملة النصيرية ، بل تصيب غيرهم وهي خاصة بمن عداهم من الناس من الكفرة ، الذين يمرون بمراحل من العقاب والجزاء في الدنيا ، أما صاحب العقيدة النصيرية فله شأن آخر ودرجة مختلفة عن بقية البشر .

يزعم هؤلاء القوم أن علي بن أبي طالب وقف يخطب يوماً كما هو معروف عندهم بخطبة البيان فقال : (أنا سر الأسرار ، أنا شجرة الأنوار أنا الأول والآخر ، أنا الظاهر والباطن) ويقولون أن اسم علي بن أبي طالب سماه العرب علي ، وهو سمى نفسه أرسطوطاليس ، وفي الإنجيل اسمه (إيليا ـ أبي إلياس) ومعناه علي ، والهنود يسمونه ابن كنكرا ، وهو أمير النحل ، لأنهم يأخذون منه أحسن الأزهار .

- ولقد انقسم القوم إلى أقوال متعددة في المكان الذي حل فيه علي ابن أبي طالب بعد أن خلع ثوبه الآدمي ، أي صورته الإنسية ، فمنهم من اتجه إلى القمر في عبادته وتوجهه ، لاعتقادهم أن علي حل فيه ، بل القمر نفسه هو علي ، وهذه الطائفة يطلق عليها اسم (الشمالية) ، والفريق الثاني يتجه إلى الشمس في عبادته لاعتقادهم أن عليًّ حل فيها ، بل الشمس هي علي ، وهؤلاء يسمون الكلازية .

إنكار البعث والقيامة :

وهذا الاعتقاد يرجع إلى أصل الوثنية الذي توجهوا إليه في عباداتهم سواء إلى الشمس أو القمر أو الكواكب والبروج وعبدوها ظنًّا منهم أنها تفيد وتنفع

أو أنها تعين وتشفع ، والتناسخ الذي يؤمن به القوم ويجعلونه أصلاً لعقيدتهم ، ويعتبرونه أيضًا بديلاً عن البعث والقيامة ، فالأرواح ـ على حسب زعمهم ـ تنتقل من جسد إلى جسد ، ومن مكان إلى آخر ، هكذا دائماً وبلا نهاية وفي هذه الحالة فلا محل للبعث والنشور والقيامة .

إنكار الجنة والنار :

وهو كذلك بديلاً عن الثواب والعقاب الأخروي ، لأن الروح عندما تحل في جسد طاهر شريف فهذا نوع من التكريم ، وإذا حلت الروح في نفس خبيثة فهذا نوع من أنواع العقاب والتعذيب .

ويعتقدون أن المؤمن بعقيدتهم ، والذي يسير على منهجهم ، يتحول عندهم ويمر بسبع مراحل قبل أن يأخذ مكانه بين النجوم ، ولذلك فإنهم يعتقدون أن النجوم المتناثرة في السماء ما هي إلا أرواح الصالحين الطيبين منهم ، تنظر إليهم وتتطلع عليهم ، وأما علي بن أبي طالب فإنه أمير النجوم والكواكب .

وأما الأرواح الشريرة فإنها تحل في المخلوقات الشريرة ، كالكلاب والذئاب والخنازير والقرود ، وهناك أرواح أخرى تنسخ من الأحجار والصخور وهي الأرواح القاسية ، والجبال هم الجبابرة والطواغيت .

وأما مرتكبي الآثام والفواحش والرذايا وأصحاب المعاصي ومن تعودوا على ارتكاب الكبائر والموبقات فإنهم ينسخون في الدنيا على شكل اليهود والنصارى والمسلمين السنيين!!؟

أما إذا وصل إلى درجة الكفر فإنه يصبح إبليساً على سبيل الحقيقة ، وليس على سبيل المجاز أو التشبيه ، وعلى هذا فأي واحد ليس بنصيري هو إبليس في الحقيقة لكنه لبس جسد بشر وعاش بين الآدميين .

يقول صاحب الباكورة : (إن النصيرية كافة تعتقد بأن شرفاء المسلمين الراسخين في العلم إذا ماتوا تحل أرواحهم في هياكل الحمير ، وأما علماء

النصارى فإن أرواحهم تحل في أجساد الخنازير ، وعلماء اليهود في هياكل القرود ، وأما الأشرار من طائفتهم تحل أرواحهم في المواشي التي تؤكل ، ولكن الخاصة المشكون في الديانة فبعد موتهم يصيرون قروداً ، وأما الممتزجون إما ذو الخير والشر يتقمصون إلى هياكل بشرية عند الطوائف الخارجة عنهم) [١] .

- يقول الشهرستاني : « كان التناسخ مقالة لفرقة في كل ملة من المجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصائبة »[٢].
- فلم يكن القول بالتناسخ ببدع من القول أو اختراع حديث عرفه النصيريين ، ولكنها أفكار وثنية جاؤوا بها من عند الأقوام القدامى الذين عاشوا قبل الإسلام ، وأرادوا أن يحيوا فكرهم ، وينشروا أثرهم . ويقال أيضًا : إن اليهود يقولون بالتناسخ كما ذكر في سفر دانيال : « أن الله فسخ بخت نصر من سبع صور من صور البهائم والسباع وهذا هو قول النصيريين »[٣] .

مع أن الحرب مستعرة على أشدها بين النصيريين وأشباههم من الدروز ، إلا أنهم اتفقوا فيما بينهم على عقيدة انتقال الروح من جسد إلى جسد ، غير أن النصيريين يصرون على تسميتها بالتناسخ حتى لا يتفقوا مع الدروز الذين يعبرون عنها بالتقمص ، وكأن الجسد البشري ثوب أو قميص ترتديه الروح ، وتتقمص به عند الولادة ، ويظل الجسد ملازماً لهذه الروح طوال فترة الحياة ، فإذا حدثت الوفاة وخرجت هذه الروح من ذلك الجسد البالي القديم فإنها ترتدي جسداً آخر جديداً وأكثر نضرة . . . . وهكذا بلا انقطاع .

ومن الغريب أن تنتشر فكرة تناسخ الأرواح بصورة واضحة وملحوظة بين فرق الشيعة منها فرقة المعمرية والخطابية « وكان أبو الخطاب خادماً عند

---

(١) الباكورة السليمانية ص ٩٦

(٢) الملل والنحل . الشهرستاني ١٢/٢

(٣) الفرق بين الفرق ـ البغدادي ـ ص ١٦٢

جعفر الصادق ، فادعى استحلال الخمر والزنا وسائر المحرمات وأنكر القيامة وقال بتناسخ الأرواح ، وأنهم لا يموتون بل يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت »[1].

وكذلك فرقة الجناحية الذين قالوا بألوهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر ، وأيضاً فرقة البيانية أتباع بيان بن كعان الهندي ، بل إن العلامة الشهرستاني يذكر في كتابه الملل والنحل أن القول بالتناسخ والحلول « سمة مشتركة لفرق الغلاة جميعاً »[2] .

إن علماء الأمة الإسلامية وفقهاءها قديما وحديثا ، أنكروا على كل من قال بعقيدة التناسخ ، وكفروا القائلين بها ، إذ أنها تتضمن رد أصول العقيدة الإسلامية في أساسها الأول إلى عقائد الوثنيين الأوائل ، وهو إنكار يوم القيامة والبعث والحساب والنشر والثواب والعقاب ، والقول بما قالته الأمم السابقة عن الإسلام ، وبما يتضح مناقضته لعقائد المسلمين ومـاورد في صريح الكتاب ، وصحيح السنة .

- ومن أظرف الحكايات وأطرفها ، والتي تظهر لأول وهلة أنها تشبه تلك القصص الخرافية التي كانت تحكى للأطفال الصغار من أجل بث الرعب في نفوسهم ، وإجبارهم على النوم من شدة الخوف ، تردد النصيرية هذه الحكاية التي يقولون فيها :

« إن رجلاً نصيريًّا كان له كرم ، وكان يعمل في ذلك الكرم زماناً مع أبيه إلى أن مات أبوه ، وكان ذلك في موسم العنب ، فتسلط على الكرم ذئب ، كلما أتى الرجل يجده يأكل من عنبه ، فيطرده ، ومازال الأمر كذلك حتى ضجر منه ، فعزم على قتله ، ولما أراد أن يرميه بالسلاح قال له : يافلان !! أتقتل أباك إذا تناول شيئا من الكرم الذي أفنى عمره بالعمل فيه؟ فبهت الرجل لما رأى الذئب

(١) الألوهية في المعتقدات الإسلامية ص ١١٥ ، الملل والنحل ٢١٥/١

(٢) الملل والنحل ـ الشهرستاني ١٢/٢ .

ناطقاً؟!! فقال له : من أبي؟ قال : أنا ، لقد انتقلت نفسي إلى هذه الصورة وهذا كرمي الذي كنت تحرث معي فيه ، فقال : فذكر الرجل أن أباه كان قد خبأ منجلاً في الكرم عند انصرافه في المرة الأخيرة ، فأضاعها بعد موت أبيه ، ولم يعلم أين وضعها ، فقال للذئب إن كنت صادقاً فقل لي أين المنجل الذي كنا نقطع به أغصان الكرم؟ فقال الذئب : اتبعني ، ومشى إلى المكان الذي وضعها فيه ، وقال : هذه هي ، فأخذها الرجل ، وأباح الكرم بعد ذلك للذئب يرتع فيه كما يشاء !!؟

- ويبرهن النصيريون على مسألة التقمص بما يحس به بعض من الناس من حالة الارتياح والانسجام بين بعض البشر وبعض الحيوانات ، فترى بعض الناس يرتاح إلى مصاحبة القطط أو الكلاب أو بعضاً من الطيور أو غير ذلك ، لأن الإنسان يميل دوماً إلى النوع الذي يولد منه أو يذهب إليه ، أو ينتمي إليه ، كما جاء في كتاب الهفت : « يا مفضل اعلم أن في العالم أموراً وأحوالاً وبواطن ، ظاهره بشري وباطنه مسخ . . . وشرح ذلك أنك تجد في العالم من يلعب بهدير الحمام ، وينهق نهيق الحمير ، ويصهل صهيل الخيل ، ويشج شجيج البغال ، وينبح نبيح الكلاب ، ويعج عجيج البقر ، ويضج ضجيج الثعالب ، ويصيح صياح القطط ، ويشقشق شقشقة الفأر ، وصياح القرد ، وترى في العالم من يعني بتربية الكلاب ، وتربية الحمام ، وتربية القطط ، وتربية جنس من أجناس المسوخ ، وكل ذلك لألفه بذلك الجنس ترتاح روحه إلى الأجناس التي قد حل قبل ذلك الوقت فيها ».

ومن المسوخية أيضاً يمتزج الناس بعضهم ببعض امتزاج تشابه على اختلاف أجناسهم والناس لا يعلمون ذلك العلم ، وربما أكل معك كلب وأنت تظن أنه إنسان ....؟!!

ولذلك فمن الواجب على كل واحد إذا جلس مع أبنائه على مائدة الطعام فعليه أن يتفرس في وجوههم ويتأكد منهم إن كانوا أولاده حقًّا أم أنهـــم أشياء أخرى جـــاءوا من العـــوالم السفلية أو العلوية ، فمن الممكن أن يقفز هذا الولد في وجهك لأنه في الأصل قرد ، أو ينبح هذا الطفل في وجه أمه لأنه في الأصل كلب ، أم أن البنت الصغرى ربما تكون هى الأخرى حمامة أو حتى معزة!!!! .

والأدهى من ذلك أن زوجتك التي تعيش معك في بيت واحد ، وتشاركك الحياة صغيرها وكبيرها لا تأمن إليها هي الأخرى فإنك إذا نظرت إليها وأعجبك جمالها وتفحصت رشاقتها وحسن حديثها ، فكل ذلك أعراض زائلة ، وصفات ذاهبة ، ولكنها في الأصل شيء آخر ، وفي الحقيقة أمر مختلف ، فمن الممكن أن تكون ذئبة مفترسة أو كلبة مسعورة .

هذا ما يقوله النصيريون : فقد يمر الرجل على الكلب فيتبعه ، ثم إنه يعض رجلـه ، أو يثب عـلـى ظـهــره فيعـضـه ، وإن الرجــل حينما يمــر بالكـلب لا يعــرفه ولا يكـــون قد رآه من قبل ذلـك ، أو ربمـا يكـون الرجـل متزوجـاً امرأة هذا الكلب ، فيعرفه الكلب في مسوخيته ، ربما تعرف الكلـب وهـو فـى حالة مسوخيته على من اعتدى عليه وأخذ زوجته منه عنوة ، وتزوجهـا رغمـاً عنه ، ولم يستطع فعل شيء إلا أن ينبح في وجهه أو يعض رجله أو يثب على ظهره ، انتقاماً منـه لـذلك الرجـل ، ولـذلك فـأي إنسـان يتعـرض لمثـل هـذه الحالات فعليه قبل أن يفعل شيئًا ، أن يذهب سريعاً إلى بيته ، وينظر مليًّـا في وجه زوجته ويتفرس أحوالها ، ويطمئن إلى طباعهـا ، إن كانـت هـي الأخـرى لديها ميول عدوانية من الصــراخ أو القفــز في الوجـــوه ، أم أنهـــا مـن نـوع آخـــر يرفس أو ينطح !!؟ فكل ذلك يعود فى المقـام الأول إلى موقفهـا منـك بالمقارنة مع زوجها السابق الذى تزوجته قبلك !!!؟؟ أو إلى أصلها الأول الذى جاءت منه وترتبط به .

وبعد أن تأخذ الأرواح دورتها السبعة التي تخرج من حال إلى حال مختلفة ، فإن كانوا من أهل الصلاح والتقوى يذهبون إلى النعـيم حيـث الكواكـب ، وإن كـانوا مـن الكـافرين فـإنهم يبقـون في العـذاب المقـيم إلى الأبـد متمـثلين في المخلوقات التي كتب عليها الشقاء الأبدي .

* * *

الفصل الرابع

التثليث

لم تكن عقيدة التثليث بدعة مستحدثة جاء بها النصيريون من عند أنفسهم ، أو كانت من بنات أفكارهم ، بل قالت بها كثير من الفرق الضالة والنحل المبتدعة والوثنيات القديمة عند الهنود والصينيين القدماء وعند أتباع بوذا الذين كانوا يرمزون إلى الإله بالرمز (فاو) أو (تاو) وكما أنه مؤلف من ثلاثة حروف فإنه له أيضًا ثلاثة أقانيم وأنه واحد في ذاته وله ثلاثة أشكال .

- تظهر تأثيرات العقيدة النصرانية واضحة على هذه الطائفة وخاصة فيما يعرف عندهم بلفظ الشهادة التي يتلفظون بها وشعارهم الذي يجمعهم تحت لوائه وهو الثالوث المقدس الذي يجمع ثلاثة حروف وهي (ع م س) أو ما يسمى عند سدنتهم (سر عقد (ع م س) وهذه الحروف تفسر عندهم على أنها تتكون منها الثلاثة ألفاظ التي تحوي العقيدة من أولها إلى آخرها وهي المعنى والاسم والباب) ، فالمعنى : هو الغيب المطلق ، أي الإله الذي يرمز إليه بحرف ع ، والاسم : هو صورة المعنى الظاهر ويرمز إليه بحرف م ، والباب : هو الطريق الذي يوصل للمعنى ، ويرمز إليه بحرف السين . وحرف العين وهو على ، وأما الحرف الثاني وهو حرف الميم فهو محمد ، وأما الحرف الثالث وهو حرف س فهو سلمان الفارسي .
- تظهر العقيدة عند النصيريين على أنها خليط من الأفكار والأقوال التي عرفت في أزمان مختلفة ، وعهود غابرة ، وتأثروا بها بصورة واضحة ، وأهم ذلك الآتي :

١- الوثنية القديمة : حيث قدسوا الكواكب والنجوم والشمس والقمر .

٢- الأفلاطونية الحديثة : فقد نقلوا عنهم طريقة الفيض النوراني على الأشياء .

٣- الفلاسفة المجوس : حيث ظهرت تأثيراتهم الواضحة في العديد من الأقوال والمعتقدات المنتشرة بينهم مثل أفكار «أزدشير»، «سابور» اللذين يعدان في نظر الفرس تجسيداً للآلهة.

٤- النصرانية : ويظهر هذا التأثير بوضوح في مسائل : الغنوصية ـ التثليث ـ القداس ـ إباحة الخمور .

٥- المعتقدات الهندية القديمة : ونقلوا منهم مسائل واضحة مثل : الحلول والاتحاد ـ التناسخ ـ التقمص .

٦- اليهود : لم يغب اليهود عن المشهد النصيري في أي يوم من الأيام ، لا في الماضي البعيد ، ولا في الحاضر القريب ، بل كانوا دوماً الطليعة الأولى ، والصفوف المتقدمة في حالة السلم ، وفي حالة الحرب .

إن معظم النصيريين الأوائل الذين شجعوا محمد بن نصير على غلوه وفجوره كانوا من اليهود[1] .

ويقول مؤرخ النصيرية كما جاء في كتاب تاريخ العلويين : «ترك إبراهيم بن أدهم (وهو من رجال الصوفية وله منزلة رفيعة ومقدسة بين النصيريين) مقر الإمارة لأبيه ليلاً فسار فوصل إلى حلب وأنطاكية ، ومكث مدة طويلة في طرطوس التي كان معظم أهلها علويين ويهود ، وقد أسلم على يده العدد الأغلب من اليهود؟!»[2] .

(وبالطبع فإن المقصود من العبارة التي ذكرت من أنه استطاع أن يسلموا بأنهم أصبحوا نصيريين) ، ومعلوم أن اليهود لا يدخلون في شيء إلا ليفسدوه ،

---

(١) طائفة النصيرية ص ١٠٢

(٢) تاريخ العلويين ص ٢٣٤

أو يحطموه ، أو ليقضوا عليه ، وهكذا فعلوا مع هؤلاء القوم ، ومع أفراد هذه الفرقة .

وعقيدة غيبة الإمام ، هي في الأصل عقيدة يهودية تأثرت بها الشيعة ، من عقائد اليهود ، فموسى غاب عن قومه أربعين ليلة ثم عاد إليهم بعد ذلك سالمًا غانمًا ، وعندما وقعت الشيعة في مأزق الإمام الثاني عشر المزعوم ، الذي لم يكن له وجود في الحقيقة ، واختلف القوم في شأنه مذاهب شتى ، وأقوال مختلفة ، لم يجدوا قولاً يتناسب مع توجهاتهم وسائر أقوالهم إلا ما قالته اليهود في موسى ، أنه ذهب للقاء ربه وسوف يعود مرة أخرى ، وحتى تزداد الصورة قتامة وغموضًا وعدم معقولية فقد اخترعوا أن الإمام له غيبتان وليست غيبة واحدة ، فالغيبة الأولى صغرى والأخرى كبرى ، أو قصيرة وطويلة ، وظلت هذه الفكرة تتطور إلى أن وصلت إلى أن تكون ركنًا من أركان العقيدة الشيعية ، مع أنها في حقيقة أمرها أمرًا غامضًا وليس مفهومًا ولا معقولاً ، فالغيبة الصغرى على حسب زعمهم لا يعلم بمكانها إلا خاصة شيعته ، وأما الغيبة الكبرى : لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه .

ومع أن القوم لم يصدقوا الغيبة الأولى ، التي هي الصغرى ، وبدلاً من أن يتخلوا عن الفكرة من أصلها إذا هم يخترعون غيبة أكبر وأطول وأكثر غلوًّا ، وكيف يتصور هذا القول وهذا الاعتقاد على من غاب منذ زمن طويل ، وقد انقطعت أخباره ، وطالت غيبته ، وخاصة أنهم يبررون سبب هذه الغيبة بخوفه من القتل ، والأحوال قد تغيرت ، والأمور قد تبدلت ، وأصبح في مأمن من أمره ، بل إن أتباع الأئمة الآن يعيشون في رغد من العيش ، ولديهم جميع النعم والمتع التي لم يكن يحلم بها سابقوها ، وإذا لم يخرج في هذا الوقت ففي أي وقت آخر سوف يخرج .

وكيف يخاف القتل وهو ـ كما يزعمون ـ في مأمن من ذلك لأنه كبقية

المعصومين يعلم متى موته ، بل إنهم لا يموتون إلا باختيار منهم ؟!! فكيف إذًا يتحججون بخوف الموت ، وأمر الموت بيده؟![1] .

والدين عندهم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : القرآن ـ السنة ـ الإمامة . وجميع معارف هذه الأقسام الثلاثة نزلت على عليّ بن أبي طالب ، وهو الذي تكفل بتعليمها للناس من حيث الفروع والأصول ، فالطريق الوحيد الموصل لمعرفة كل أحكام الدين هو عليّ ومن جاء من بعده من الأئمة .

- ولا تعتمد هذه الطائفة على ما سارت عليه طوائف الشيعة من المرجعيات الدينية المعروفة عندهم ودور الأئمة المعروفين منهم في ذلك ، كما أنها لا تعتمد على كتب ومراجع ثابتة يرجع إليها الجميع وخاصة في الأحكام والمعاملات ، ولكنهم يكتفون بما يعرف بالكتب الأربعة المشهورة عند فرقة الإمامية ، ومع ذلك فإنهم يضفون على الأئمة الأوصاف الإلهية ، بل إن لهم مكانة مقدسة تفوق مكانة الآلهة . وهم ينكرون عقيدة البعث والحساب ، والجنة والنار في الدنيا وحدها ، والشياطين مخلوقات من معاصي وذنوب البشر ، والناس خلقت من معاصي الشياطين .

يتكون الثالوث الإلهي في العقيدة النصرانية من ثلاثة أشخاص هم : علي ـ محمد ـ سلمان الفارسي ، وأخذوا الحرف الأول من كل اسم من الثلاثة وشكلوا منه كلمة (عمس) وهي التي ترمز إلى الذات الإلهية ، فعلي هو المعنى ، ومحمد هو الاسم ، وسلمان هو الباب ، والكل غير متصل بعضه ببعض اتصالاً حقيقيًّا ولا منفصلاً عنه ويشهد على حقيقة هذا القول ما جاء في السورة الخامسة بقولها : (أشهد بأن مولاي أمير النحل عليّ اخترع السيد محمد من نور ذاته ، وسماه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته ، متصل به ولا منفصل عنه ولا متصل به بحقيق الاتصال ، ولا منفصلاً عنه في مباعدة الانفصال ،

---

(١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة دكتور ناصر القفاري ١/ ٣٥٠ ، بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود للأستاذ عبد الله الجميلي .

متصل به بالنور ، منفصل عنه بمشاهدة الظهور ، فهو منه كحسن النفس من النفس ، أو كشعاع الشمس من القرص ، وأشهد بأن السيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره ، وجعله بابه وحامل كتابه فهو سلسل وسلسبيل ، وهو بالحقيقة رب العالمين) .

وبذلك تكون النصيرية قد نقلت العقيدة النصرانية بكل حذافيرها إلى عقيدتهم غير أنهم ـ كعادتهم ـ يستخدمون فقط الأسماء الإسلامية ، فما هو إذن الفرق بين علي والآب ، وبين محمد والابن ، وبين سلمان وروح القدس ، إن وظيفة كل ركن في الثالوث معروفة واضحة ، فعلي هو المعنى الإلهي ، أو هو المعنوية ، أي أن عليًّا هو ذات الإله ، والإله في ذاته ، منه يأخذ الوجود معناه ، وهو يضفي على الكون الوجود من معناه .

أما محمد فهو يمثل الاسم الإلهي ، أي أنه هو الذي أظهر المعنى إلى الوجود ، كما يظهر نور الشمس قرصها ، وكما يظهر البرق علامته في السماء ، وهو الحجاب والمكان ، والمقام ، حيث يظهر المعنى ويغيب في آن معًا وأما سلمان الفارسي : فهو الباب الإلهي ، أي المدخل إلى المعنى بواسطة الاسم ، وسلمان هو الباب الناطق والشيخ اللاصق ، الذي لا يصل إليه ـ إلى الإله ـ إلا به ، ولا يدخل إليه إلا منه ، متصل غير منفصل ، وهؤلاء الثلاثة شيء واحد ونور واحد ، والجميع يظهرون من بعضهم بعضًا ، وكل ينبثق من الآخر ، فليس من فرق أو فصل أو خلاف بين الأشخاص الإلهية الثلاثة .

غير أن الإيمان بهم جميعًا بقدر واحد وبمستوى بعضهم بعضًا شيء واجب ، فالكفر والشرك والجهل والإلحاد أن تجعل بينهم فرقًا ، ولكن يكون المؤمن نصيريًّا طيبًا إن لم يعرف العلاقة الحقة التي تربط بينهم فالمعنى والاسم والباب ثلاثة أقانيم في إله واحد ، إلا أن هناك فرقًا بين الثلاثة من حيث المصدر والفعل .

القسم والأيمان :

ومن أعظم الأيمان عند النصيري أن يقسم باسم (عمس) ، فلا يمكن القسم به كاذبًا ، ولا يصح اليمين إلا به ، وكل يمين مغلظة لا تكون إلا به .

جاء في الباكورة السليمانية : « وأما اليمين الثابت عند النصيرية كافة فهي أن تضع يدك في يده وتقول : أحلفك بأمانتك عقد على أمير المؤمنين وبعقد ع م س ، فلا يمكنه بعد هذا اليمين أن يكذب ، وأيضًا بلَّ أصبعك بريقك واجعلها في عنقك وتقول : تبرأت من خطاياي وأوضعتها في عنقك وأحلفك أيضًا بأساس دينك سر عقلي ع م س أن تخبرني عن صحة أمر كذا ، فلا يمكن الكذب بعدها »[1] .

وهم يعتقدون أيضًا أن الشيطان له ثلاثة أقانيم وهو واحد ، وهذه الأقانيم الثلاثة التي ظهر بها الشيطان للناس كانت أشخاص أبو بكر وعمر وعثمان .

* * *

(١) الباكورة السليمانية ص ٤٢

الفصل الخامس

الأيتام الخمسة

وذكر الأيتام هنا بمعنى : الذي لا نظير لهم ولا مثيل ، لأن اليتيم هو الذي مات أبواه ، أي أنهم لا يستطيعون إنجاب ذرية بعد ذلك ، وهكذا الأيتام الخمسة ، فهم الذين لا نظير لهم ولا مثيل ، فالإله علي بن أبي طالب هو الذي خلق محمداً ، ومحمد هو الذي خلق سلمان الفارسي ، وسلمان الفارسي هو الذي خلق الأيتام الخمسة الذين يتملكون مقاليد السموات والأرض ، وبيدهم مقاليد كل شيء وهم :

١- المقداد بن الأسود : رب الناس وخالقهم ، وهو الموكل بالرعد والصواعق والزلازل .

٢- أبو ذر الغفاري : الموكل بدوران النجوم والكواكب .

٣- عبد الله بن رواحة الأنصاري : وهو الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

٤- عثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسم وأمراض الإنسان .

٥- قنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام .

ومن هؤلاء الأيتام الخمسة يأتي بعدهم النقباء الاثنى عشر ، وأن هؤلاء جميعًا لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبدًا سرمدًا على الدوام والاستمرار[١] .

إن أصحاب هذه الطائفة لم يكونوا في الأصل من الأسوياء الطبيعيين ، بل

---

(١) إسلام بلا مذاهب . مصطفى الشكعة ص ٣٠٧

كانوا في السابق قبل أن يدخلوا في هذه النحلة الغريبة والباطنية ، كانوا عبَّاد أوثان وعبَّاد بقر وفروج ، وكانوا على طريقة شاذة في التفكير والاعتقاد ، فلما فرض الإسلام سيطرته على البلاد والعباد ، ولم يجد هؤلاء بدًّا من الدخول فيه حملوا معهم كل هذه الأرجاس ، وفهموا الأمور بنفس الطريقة التي دانوا عليها سنوات طويلة من أعمارهم ومن حياتهم .

- وذكر هذه الأسماء من صحابة النبي ﷺ لا لشيء إلا لأنهم هم الذين لازموا علي بن أبي طالب في خلافه مع معاوية ابن أبي سفيان ، وأما قنبر بن كادان فهو : أبو حمدان مولى علي ابن أبي طالب وخادمه وكان مجهول النسب ، ولكنه أخلص في حب علي في تلك الظروف القاسية التي أحاطت بهم . وظل ملازمًا له لا يفارقه ولا يتركه ، تولى إدارة بيت المال في الكوفة زمن علي بن أبي طالب ، ووقف بجانبه في المحن والشدائد والصعاب وكان ملتصقًا به في يوم صفين، كان عابدًا زاهدًا ، غير أن الحجاج قتله لإسرافه في حب علي والجهر بذلك .

* * *

الفصل السادس

التجلي

يقولون بأن الإنسان ليس في مقدوره أن يتعرف على الإله إلا إذا وفر الإله الطريقة الصالحة لهذه المعرفة ، وكانت الطريقة المثلى لذلك هي أن يتجلى الإله في صورة البشر ، أو ظهوره فيما بينهم على شكلهم وعلى صورتهم .

وقد نقل الشهرستاني مبدأ النصيرية من مسألة التجلي الإلهي بقوله : « قالوا ظهور الروحاني بالجسد الإنساني أمر لا ينكره عاقل ، أما في جانب الخير كظهور جبريل ببعض الأشخاص ، وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه ، وكذلك نقول : إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله شخص أفضل من علي،وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية، فظهر الحق بصورهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم » ....

« عليّ كان مخصوصًا بتأييد إلهي من عند الله تعالى في ما يتعلق بباطن الأسرار، وربما أثبتوا له شركة في الرسالة ، فعلم التأويل ، وقاتل المنافقين ، ومكالمة الجن ، وقلع باب خيبر ، لا بقوة جسمانية من أول الدليل على أن فيه جزءًا إلهيًّا ، وقوى ربانية ، ويكون هو الذي ظهر الإله بصورته ، وخلق بيده وأمر بلسانه ، وعن هذا قالوا : كان موجودًا قبل خلق السموات والأرض »[1].

---

(١) الملل والنحل . الشهرستاني ص ٢٦٣ – ٣١٧

ولقد تجلى الإله كما تزعم النصيرية في الصورة البشرية سبع مرات ، ففي المرة الأولى : تجلى في آدم في كوره ودوره وتسمى هابيلاً ، وفي الثانية : في نوح وتسمى شيثًا ، وفي الثالثة : في يعقوب وتسمى يوسفًا ، وفي الرابعة : بموسى وتسمى يوشعًا ، وفي الخامسة : بسليمان وتسمى آصفًا ، وفي السادسة : بعيسى وتسمى شمعون ، وفي المرة السابعة والأخيرة : بمحمد وتسمى عليًّا ، غير أن التجلي الأخير لم يكن كغيره من المرات السابقة بل كان نورانية مقام على ساطعة باهرة لا يقدر الإنسان النظر إليها دون حجاب .

ولذلك لما قتل علي بن أبي طالب زعم عبد الله بن سبأ أن المقتول لم يكن عليًّا ، وإنما كان الشيطان تصور للناس في صورة علي ، وأن عليًّا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم وأنه سينزل إلى الدنيا مرة ثانية وينتقم من أعدائه .

وزيادة في التضليل يقول ابن سبأ : « إن جئتمونا بدمائه في صرة لم نصدق بموته »[1] .

هذه الأفكار كلها ليست جديدة أيضًا ولكنها نقلت من العقيدة النصرانية نقلاً نصيًّا ، فما قالته النصارى في عيسى ابن مريم هو نفسه الذي تقول به النصيرية في علي بن أبي طالب ، وهذا هو الرابط الذي قام به عبد الله بن سبأ عندما أراد أن يتقمص شخصية بولس الرسول الذي استطاع تحريف دين التوحيد الذي جاء به عيسى ابن مريم وحوله إلى دين الكفر والشرك ، وبذلك حاول ابن سبأ إحياء مقولات النصارى التي محاها الإسلام ووضحها القرآن وأعاد الأمور إلى نصابها .

* * *

(١) العلويون النصيريون . أبو موسى الحريري ط بيروت ١٩٨٠م ص٤٥

الفصل السابع

الحــلول

إن عقيدة النصيرية التي يحاولون جاهدين إخفاءها ، وعدم إعلانها على الملأ ، تقوم أول ما تقوم بتأليه علي بن أبي طالب ، وأنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وعلى كل واحد منهم أن يتعرف على ربه وإمامه بظهوره في أنواره وأدواره وهذا الإله ينتقل إلى كل جيل فيظهر في الاسم والمعنى ، فالاسم أول ما ظهر على الأرض كان آدم ، بينما ظهر المعنى في شيث ، وهكذا ... بينما ظهر في زمن آخر والاسم كان يعقوب بينما المعنى كان يوسف ، ويستدلون على هذه الصورة ـ كما يزعمون ـ بما في القرآن الكريم حكاية عن يعقوب ويوسف ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فيقولون أما يعقوب فإنه كان الاسم فما قرر أن يتعدى منزلته فقال : ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ** ﴾ (يوسف:٩٨) ، بينما يوسف كان المعنى المطلوب فقال : ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ** ﴾ (يوسف:٩٢) ، فلم يعلق الأمر على غيره لأنه علم أنه الإله المتصرف ، ويجعلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى ، ويقولون : يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره ، فهل الشمس ما أطاعت إلا ربها ؟ ويجعلون كذلك سليمان هو الاسم ، وآصف هو المعنى القادر المقتدر ، ويقولون : سليمان عجز عن إحضار بلقيس ، وقدر عليه آصف لأن سليمان كان الصورة ، وآصف كان المعنى القادر المقتدر .

ووفق هذا المعنى يقول شاعرهم :

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون والصفا حيدر

وهكذا تتوالى عندهم سلسلة الأنبياء والمرسلين على هذا النحو الغريب ، ولكن عندما تتعرف على خاتمة هذه السلسلة يتضح المعنى المقصود من كل هذه الخلطات العجيبة ، وذلك التخبط المريب ، عندما يفضلون آصف على سليمان ويوشع على موسى ، فإنهم في النهاية يقولون إن محمداً هو الاسم وعلي بن أبي طالب هو المعنى ، ويظل الأمر على هذا الحال في كل وقت وزمان ، فمن حقيقة الخطاب عندهم يتضح أن عليًّا هو الرب ، وأن محمداً هو الحجاب ، وأن سلمان هو الباب .

وفي ذلك ينشد شاعرهم :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين

ولاحجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين

ولاطريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين

ويقولون أيضاً إن هذه الطريقة من التسلسل والتوالي والترتيب مازالت تجري إلى نهاية العالم ، فالنبي عندهم مختص بالظاهر فقط بينما يختص علي بن أبي طالب بالباطن والأسرار المدفونة والحقائق الخفية ، والنبي مختص بحرب الكفار والمشركين ، وعلي يختص بقتال المنافقين ، وأنه معه تأييد إلهي خاص به ، ويتميز به عن سائر الناس ، بل إن علي هو الذي اختار محمداً واتصل به وعاش في صورته ، محمد متصل بعلي ليلاً ، فإذا جاء الصباح انفصل عنه ، فالإله الذي هو علي بن أبي طالب له ظهور روحاني وآخر جسدي ، كما كان يظهر جبريل حين ينزل إلى الأرض .

والدليل عندهم على ذلك ما قاله الرسول ﷺ : « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » .

وعلى هذا فالنبي ﷺ عليه أن يقاتل المشركين لأن كفرهم ظاهر ، غير أنه لا يستطيع قتال المنافقين لأن النفاق محله القلب ، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله ، لذلك وكل قتال المنافقين إلى على بن أبي طالب»[١] .

- ويحتج النصيريون على عقيدتهم في الحلول بقولهم : (إن الإله معبود ومقدس ، يحل في الأجسام متى يشاء وله التصرف المطلق ، وإله ترجع الأمور ، فالإله حل في علي بن أبي طالب ، فهو إمام في الظاهر وإله في الباطن ، لا يأكل ولا يشرب ، ولم يلد ولم يولد ، فأما الظاهر فهو القسم البشري منه قسم (الناسوت) الذي يأكل ويشرب ويلد ويولد .
وأما الباطن منه فهو قسم (اللاهوت) الذي لا يأكل ولا يشرب .

والإله لم يحل في علي بن أبي طالب فقط ، بل حل في الأئمة من بعده ، جاء ذلك في كتاب الهفت الشريف عن قصة مقتل الحسين بن علي ما نصه : « وإن الحسين لما خرج إلى العراق ، وكان الله محتجبًا به ، وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبريل فيحدثه ، حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفت الخيول لديه ، وقامت الحرب ، حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل وقال له : يا أخي من أنا ؟ قال : أنت الذي تأمر السماء فتطيعك ، والأرض فتنتهي لأمرك ، والجبال فتجيبك ، والبحار فتسارع إلى طاعتك وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار ، قال الحسين : أفترى هذا الخلق المنكوس تحدثهم أنفسهم أن يقتلوا سيدهم لضعفهم ، ولكنهم لن يصلوا إلى ذلك ؟ ولا إلى أحد من أولياء الله كما أنهم لم يصلوا إلى عيسى ولا إلى أمير المؤمنين ـ علي ـ ولكنهم عملوا ذلك ليحل عليهم العذاب بعد الحجة والبيان»[٢] .

* * *

---

(١) الفرق الإسلامية ص ٤٩

(٢) الهفت الشريف ص ١٢١

الفصل الثامن

معاداة الصحابة

ونظرًا لأن النصيرية ليس عندهم ما يعرف بيوم القيامة أو البعث أو النشور ، ولا تجد في كتبهم ولا في مراجعهم ـ إن وجدت ـ ما يشير من قريب أو بعيد عن أحوال الآخرة ، غير أنهم يصفون عليًّا بأنه سوف يظهر مرة ثانية ويعلن امتلاكه للعالم بأسره ، ويكون هو سيد الكل ورب العالمين ، ولن يكون بعد هذا الظهور أي ظهور آخر لأنه لن تكون بعده غيبة ، وسوف يظهر دون احتجاب في آخر الزمان بمجد وبهاء عظيم ، ويخلص أرواح المؤمنين من قبورها التي هي قمصانها اللحمية الدموية ، ويجعلها تسكن بالأنوار الأبدية ، في هذا اليوم يجتمع ملوك الأرض وسلاطينها بين يدي علي أمير النحل ، وقد أصبح اسمه ولقبه في اليوم الأخير (الدبور) الي يقمع الخوارج ويستولى على الأقاليم ، ويخضع المخالفين بالسيف ، ويهلك الظالمين ، يكون هذا بعد اضطراب في الكون العظيم وارتباك بين جميع الأديان والمذاهب والشرائع التي كرهها العالم ، وعليّ سيخلص الكل ليصبح الكل فيه .

ولا أدري ما هو المبرر من تغيير الاسم من (أمير النحل) الذي هو اسم الإله الأعظم في الدنيا!! إلى أن يصير في الآخرة (دبورًا) مع العلم بأن عالم النحل لا يتوافق على الإطلاق مع عالم الدبابير ، مع مشاركة كل منهما في صفة واحدة وهي القرص ؟! .

تقف النصيرية في صف واحد مع أعداء الإسلام وجميع فرق الشيعة والروافض في بغضهم الشديد وكراهيتهم لأصحاب النبي ﷺ ، بل يقفوا في

مقدمة الصفوف ، ووصلوا في هذه الناحية إلى درجة غالية حيث تغالوا في البغض والكراهية إلى أن وصلت عندهم إلى درجة عظيمة ، وكان في مقدمة من حظي بنصيب وافر من هذا الحقد وتلك الكراهية الصحابي الجليل أبو بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب ، والذي يعرف هؤلاء القوم عن قرب يجد أنهم يسمون أبناءهم بأسماء متنوعة من كل ملة ومن كل دين وخاصة الأسماء النصرانية إلا أنهم يتشددون في تسمية أحد أبناءهم باسم أبي بكر أو عمر ، بل بلغ السفه والحقد الدفين عندهم أن عمدوا إلى بعض الحيوانات البرية وتفننوا في إيذائها وتعذيبها ظنًّا منهم أن روح أبا بكر أو عمر أو عائشة حلت فيهم عن طريق تناسخ الأرواح الشريرة في الكائنات الشريرة ، ولذلك فهم يظنون أن روح أبا بكر حلت في البغل ، وروح عمر حلت في الحمار ، وروح عائشة حلت في الماعز .

ولقد أرادت هذه الطائفة إحياء الحقد الدفين الذي تركه قادتهم أمثال القائد الفارسي رستم عندما قال : « أكل عمر بن الخطاب كبدي أحرق الله كبده »[(١)] .

والغريب أن هذه الشخصيات التي لا يطيقونها ، ما كانت تحمل في قلوبها إلا الحب والتسامح والتسامي لكل الناس ، المؤيدين لهم والمعارضين ، وعاش الناس جميعًا في كنفهم وتحت رعايتهم حياة المحبة والوئام ، ولكن هؤلاء كانت لهم خطيئة عظيمة لا يغفرها لهم أصحاب هذه الطائفة أنهم نجحوا في إطفاء نار المجوسية ، وإخماد عقيدة الوثنية ، وإخلاء الكرة الأرضية من جميع الأرجاس الكفرية والشركية .

يقول صاحب الباكورة : « إن محمدًا بن نصير قال : (من أراد النجاة من حر النيران فليقل : اللهم العن فئة أسست الظلم والطغيان الذين هم التسعة رهط المفسدين الذين أفسدوا وما أصلحوا بالدين ، الذين هم إلى جهنم سائرين ، وإليها صالين ، أولهم أبو بكر اللعين ، وعمر بن الخطاب الضد الأثيم ، وعثمان

---

(١) الطبري ٤/١١٤ .

ابن عفان الشيطان الرجيم ، وطلحة ، وسعد ، وسعيد ، وخالد بن الوليد صاحب العمود الحديد ، ومعاوية وابنه يزيد ، والحجاج بن يوسف الثقفي النكيد ، وعبد الله بن مروان البليد ، وهارون الرشيد خلد عليهم اللعنة تخليد ، ليوم الوعيد ، يوم يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ، ثم إنك يا علي بن أبي طالب تفعل ما تشاء وتحكم بما تريد[1] .

وقالوا أيضًا : « إن كل من آمن منهم بعد الهجرة لا يعتبر إيمانه كاملاً لأنه من قبيل إيمان اليأس .. حتى ولو فيهم العباس عم الرسول »[2] .

ويستطرد كلامهم : « العباس والباقون من قريش وخصوصًا الأمويين فإنهم لم يهاجروا ولم يؤمنوا حقًّا ، والعباس أيضًا لم يؤمن إلا بعد أن أسره المسلمون ، وهو الذي أنقذ أبا سفيان من الأسر ومن الوقوع في أيدي المسلمين وظل صديقًا له حتى الموت »[3] .

وهذه من المتناقضات التي لا يستطيع أحد تبريرها لأن العباس الذي يشككون في إسلامه ، مع ثبوت الأدلة القاطعة عليه هو رأس أهل البيت وكبيرهم ؟! .

لقد تشابكت مصالح الجميع من أعداء الإسلام لقتل عمر بن الخطاب فاتفق الهرمزان الفارسي مع جفينة النصراني مع كعب الأحبار من اليهود ، اتفقوا جميعًا على إنهاء حياة ذلك الخليفة الذي أذل سلطانهم وقضى على ملكهم ، وشتت جيشهم ، وكانت اليد التي نفذت هذه المؤامرة أبو لؤلؤة المجوسي ، وبذلك اكتملت الصورة فظهرت خيوط المؤامرة من بدايتها ، فهم مجموعة من المجوس ومن الحاقدين على دعوة الإسلام ، ومن تهتكت أوصالهم وأشلاؤهم عندما رأوا راية الإسلام عالية ، وشعار الإسلام في كل مكان ، فأضمروا الشر في نفوسهم ، وأكل الحقد قلوبهم ولم يخرج منها بعد ، ولذلك فهم يصفون

---

(١) الباكورة السليمانية ص ٥٤

(٢) تاريخ العلويين ص ٦٥

(٣) المرجع السابق ص ٦٦

الحالة التي يجدون أنفسهم فيها ويصفون بها غيرهم من أهل الملة والإسلام فيقولون : « إن من المسلمين من ظل يعبد الأصنام سرًّا ويتظاهر بالإسلام خشية من سطوة علي ... من هؤلاء أبو سفيان وابن معاوية اللذان أسلما قبل فتح مكة بقليل »[1] .

- يتخذ النصيريون موقفهم المتشدد من الصحابة رضي الله عنهم كي يكونوا طرفًا في الصراع القائم معهم إلى يوم الدين ، بل يطوروا الأمر إلى أن يصل إلى أنهم يعتبرون شتم الصحابة ولعنهم من الفرائض الدينية ، لأنهم ساعدوا على غصب الحقوق الثابتة لأهل البيت .

« وهكذا اتخذ العلويون المسبة لمن خالفوا أهل البيت فريضة إلى يوم الدين ، وهم يشملون بالمسبة كل من عادى الرسول وكل من عادى فاطمة ولو كان صاحب علي ... وكل من عادى الحسين ولو صاحب آباؤهم ، وكل من عادى بقية الأئمة الاثنى عشر ، وآباؤهم معصومون ، فالمخالفة لأحدهم تكون مخالفة العصمة »[2] .

- وهم يتفقون مع بقية فرق الشيعة في سب الصحابة ولعنهم وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد وخالد بن الوليد وخلفاء الدولة الأموية والعباسية ، وكافة العلماء والفقهاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وكل من تبعهم لأنهم يأكلون من خيرات علي ويعبدون غيره .

ويقولون إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب ، ويحتفلون بيوم مقتله ويجعلونه عيدًا ، ويطلقون عليه اسم « عيد دلام » ويقع في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول ، ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر الصديق ، وهو عندهم هو أب الشر ، بل هو أب لكل الشرور ، وهو أشد الناس نفاقًا وعداء للنبي وضرراً بالإسلام ، وأنه لم يسم صديقًا بالمعنى الذي يردده عنه الناس ، بل إنه لما كان

---

(١) تاريخ العلويين ص ٦٨

(٢) تاريخ العلويين ص ١١٦

مع النبي في الغار ، ووجد من العجائب والمعجزات ، ما أدهشه وأذهله وحيره ، فدخل الحقد إلى قلبه ، والكراهية إلى نفسه ، ثم قال : « الآن صدقت يا محمد إنك ساحر ، فسمي من وقتها بالصديق ، فهو صديق بهذا المعنى »[1] .

ثم يأتي عثمان بن عفان ، والصحابة كلهم أبالسة لأنهم ظلموا علي ابن أبي طالب ، وخاصة الخلفاء الثلاثة الأول ، ولذلك فهم يصبون عليهم جام غضبهم ، ويكررون عليهم اللعنات صباح مساء، ويطلقون عليهم الشتائم والسباب ، ويكرهونهم ويبغضونهم .

- والجهاد عندهم ليس مقاتلة أعداء الإسلام بالسيف والقتال ، والدخول معهم في ساحات الوغى والكفاح ، ورفع راية التوحيد ، أو مقاتلة أهل الكفر ومواجهتهم بالقوة وبحد السيف ، ولكن الجهاد عندهم هو سب الصحابة وشتمهم ولعنهم وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان .

ومن أهم المبادئ المنتشرة بينهم فكرة فصل الدين عن السياسة وعن المجتمع من أساسه وعن الدولة إن كان هناك دولة ، فلا مكان فيها للشريعة ولا لغيرها ، فالدين عندهم مجرد علاقة بين الفرد وربه .

والقيامة عندهم هي قيامة الإمام المتحجب صاحب الزمان علي ابن أبي طالب ، ليحكم بين أتباعه ، ويحقق لهم السيادة وحدهم ضد خصومهم أتباع الخليفتين الأول والثاني يعني أبو بكر وعمر ، وينتظرون ظهور علي ابن أبي طالب الذي سيكون من الشمس قابضًا كل نفس ، والأسد من تحته ، وذو الفقار بيديه ، والملائكة من خلفه ، والسيد سلمان الفارسي بين يديه ، والماء ينبع من قدميه ، والسيد محمد ـ يعني رسول الله ﷺ ـ ينادي ويقول : هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه ، هذا رازقكم وخالقكم فلا تنكروه .

* * *

---

(١) الحركات الباطنية ص ٢٦٥

الباب الثالث

العبـــادات

الفصل الأول : الطهارة

الفصل الثاني : الصلاة

الفصل الثالث : الزكاة

الفصل الرابع : الصيام

الفصل الخامس : الحج

تمهيد

يبدو من أول وهلة عند النظر في مسألة العبادات عند النصيريين ، نجد أنها لاتمثل عندهم أدنى أهمية في حياتهم ، ويرجع ذلك إلى التشويش الواضح والخلط المقصود ، وعدم وضوح الرؤية بل والاختلاط المتعمد سواء في العقائد أو العبادات ، فهم يخالفون المسلمين في كل شيء مع المحافظة على الأسماء الإسلامية فقط ، كالصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك ، فلو محيت هذه الأسماء واستعضنا عنها بأسماء أخرى غيرها ، لوجدنا شيئًا لا يقره أحد ، ولا يتصوره بشر ، فهي مجموعة من الأفكار الغريبة ، والتصورات العجيبة ، التي يتندر بها السكارى أثناء نشوتهم ، ويهزى بها المرضى أثناء غفوتهم .

والتكاليف عند النصيرية ليست على درجة واحدة ، والناس فيها ليسوا سواء ، بل على درجات متباينة ومتفاوتة ، فالطبقة العليا عندهم هم رجال الدين ومن يطلق عليهم (أصحاب العهد) فهؤلاء مكلفون بجميع أنواع العبادات بصورة جبرية ، وأما عامة الناس والدهماء ، فإنهم يطلقون عليهم صفة (الجهال) وهؤلاء جميعهم ليسوا مكلفين بأي شيء ، وليس عليهم أعمال تعبدية يقومون بها وهناك منهم من يقول بعكس ذلك فإن العبادات ـ على حد قول هذا الفريق ـ خاصة بالجهال والعامة من الناس ، أما رجال الدين وأصحاب العهد فهم يعرفون باطن الأمر وسره ، ووصلوا إلى الذروة والهدف المطلوب ، ولذلك فإن التكاليف في حقهم سقطت ، وأن القاعدة عندهم تدل على أن العبادات هي من أعمال الجهال والعامة من الناس ، وأما طبقة رجال الدين فهم أرفع من ذلك وأعلى درجة ، ومع شدة العداء بين النصيرية

والإسماعيلية ووصف كل فريق الآخر بأنه على الكفر والضلال وأنهم من الملاحدة ، إلا أن هناك وجوه كثيرة للمشابهة بينهما ، ومنها هذه الناحية[1] .

- والعبادة عند النصيرية شأنها كما عند بقية الطوائف الباطنية ليس المقصود منها ما هو معروف عند عامة المسلمين أو كما وضحتها الشريعة الإسلامية ، ولكن العبادة لها ظاهر وباطن ، والظاهر وإن اختلف في فهمه الناس ، فإن الباطن من اختصاصهم ، وهم الوحيدون الذين يعرفون أصله ، ويفهمون فصله ، ويحفظون سره ، ويكتمون أمره .

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٣١٤ ، الطائفة النصيرية ص ٦٥

الفصل الأول

الطهــارة

ليس المقصود بالطهـارة عنـدهم طهـارة البـدن والثيـاب والمكـان مـن كـل الأرجاس والأوساخ وتهيئة كل هذه الأجواء والاستعداد بهـا للقـاء الله تعـالى ، ولكن الجنابة لها تعريف آخر عندهم ، فهي تعـني : مـوالاة الأضـداد والجهـل بالعلم الباطني ، بينما الطهارة تعني عكس ذلـك أي معـاداة الأضـداد ومعرفـة العلـم البـاطني ، فالـذي يتعـرف علـى الأعـداء ويحـبهم ويـواليهم ولا يعـرف المقصود من بغضهم وكراهيتهم فهذا هو الذي على غـير طهـارة ، بينمـا الـذي يكرههم ويكن لهم الكراهية والسخط ويتمنى زوالهـم مـن علـى سـطح الأرض فهذا هو الطاهر النقي ، دون النظر في الاغتسال أو الوضوء أو غير ذلك ، فهذا كله لا يفيد ولا ينفع وليس له قيمة ، والطهارة عندهم غير ملزمة على الجميع ، فمن أراد الالتزام بها فله ما أراد ، وإلا فلا شيء عليـه ، ومجـرد ذكـر الأسمـاء الخمسة المعظمة عندهم وهم : علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمـة يجـزئ عن الغسل من الجنابة أو الوضوء ، وكذلك عنـدهم أن الإنسـان إذا وصـل إلى سر بواطن النصوص سقطت عنه ما تدل عليه ظواهرها من التكاليف ، والحلال والحرام وكافة الأوامر والنواهي ، وهم يعتقدون أن من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ، ومن عرف درجات ومنازل المؤمن (النصيري) فهـو حينئـذ حر سقطت عنه العبودية ، وخرج من حد المملوكية إلى حد الحرية ، ورفعت عنـه الأغـلال والأصـفاد وإقامـة الظـاهر ، أي العبـادات بأجمعهـا لأن الأغـلال والأصفاد لم توضع إلا على المقصرين .

قال صاحب الهفت : « قلت يا مولاي : أما كان أهله من أهل الصلاة ؟ قال : ويحك أتدري ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (مريم:٥٥)، قلت : يعني أهله المؤمنين من شيعته الذين يخفون إيمانهم وهي الدرجة العالية والمعرفة والإقرار بالتوحيد وأنه العلي الأعلى (أي علي بن أبي طالب) ، وأما معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (مريم:٥٥) فالصلاة أمير المؤمنين ، والزكاة معرفته ، وأما إقامة الصلاة فهي معرفتنا وإقامتنا »[1] .

ويضيف صاحب الهفت الشريف بقوله : (لا يحتجن أحدكم بصومه وصلاته وحجه وجهاده ، فإن الله غني عن ذلك كله ، وهو أعلم بعباده ، البار منهم والفاجر ، ولا يفوز أحدكم من كثرة صلاته وصومه إذا لم يعرف الله وأولياءه وأعداءه وإمامه وحجته فيما بينه وبين ربه) [2] .

ويقول الدكتور سليمان الحلبي : « ومع أن الدكتور مصطفى الشكعة ذكر في كتابه (إسلام بلا مذاهب) : (أن رجال الدين تسري عليهم جبرية التكاليف أما غيرهم من الجهال النصيريين فليسوا بمكلفين) إلا أنني أخالفه الرأي في ذلك ، فالتكاليف ومنها الصلاة قد تكون جبرية على النصيري المتدرج في مراحل التعليم المختلفة (الجهال ـ التعليق ـ السماع) إلى أن يصل إلى مرحلة (الشيخ) فحين ذاك يكون قد عرف (الباطن) ومن عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ، أي العبادات بأنواعها ، ورفعت عنه الأغلال والأصفاد ، لأن الأغلال والأصفاد لم توضع إلا على المقصرين الذين لم يتمكنوا من معرفة الباطن بعد ».

وحتى تتضح الحقيقة أكثر من تلك الكلمات التي وردت في العبارة السابقة من موالاة الأضداد وهم الأئمة وشيوخ الفرقة وكبراءها ، وأما معاداة الأضداد

(١) الهفت الشريف ص ٦٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٢١

فهم أهل السنة ، فمن يقبل شيئًا من عندهم ، أو يرضى بما يفعلونه أو يميل قلبه إلى شيء من أفعالهم فهذا هو الذي على غير طهارة ، أو بمعنى أوضح فهذا هو النجس [1].

* * *

(١) الدكتور سليمان الحلبي ـ الطائفة النصيرية ص ٦٥

الفصل الثاني

الصــلاة

والصلاة عندهم خمسة فروض في اليوم والليلة ، وتختلف في طريقة أدائها عما هو معروف عند كافة المسلمين ، فليس فيها سجود ، وأما الركوع فأحياناً يؤدونه وأحياناً يتركونه .

وصلاة المغرب من أهم الصلوات ، ولا سبيل إلى تركها وإهمالها أو التكاسل عنها ، فذلك جريمة كبرى لا تغتفر ، بينما صلاة الجمعة لايعترفون بها ولا يؤدونها ، والصلاة لايؤدونها في المساجد وإنما في البيوت ، والمساجد لا وجود لها عندهم ، فلا يحبون إقامتها ولا رؤيتها ، وهم لايشترطون التوجه إلى القبلة باستثناء الإمام فقط فهو وحده المكلف بالتوجه إلى القبلة .

وينسبون كل فرض من الفرائض الخمسة إلى واحد من بيت النبوة ، وهناك رابط بين عدد ركعات الفرض مع عدد حروف اسم من تصلي له ، لأنهم يتوجهون بالصلاة إلى أهل البيت ولا يتوجهون بها إلى الله . . فالظهر أربع ركعات تصلى باسم محمد ، والعصر أربع ركعات تصلى باسم فاطم (أي فاطمة) ولكنهم لو ذكروها باسم فاطمة لكانت خمسة حروف ، ولكنهم حذفوا الحرف الأخير ليتناسب مع المعنى العقيم الذي يدعونه ، فهم الذين وضعوا القاعدة ولكنهم ما استطاعوا تطبيقها ، والمغرب ثلاث ركعات عند فريق ، وأربع عند فريق آخر ، وهي تصلى باسم (الحسن) ، والعشاء أربع ركعات وتصلى باسم (الحسين) ، وأما الصبح فهو ركعتان وتصليان باسم (محسن)

أو (السر الخفي) وقد جعلت له هذه الصلاة التي هي ركعتان فقط بدلاً من أربع لأنه سقط ، أي كان جنينا ولم يكتمل ، وهم يزعمون أن فاطمة الزهـراء كانـت حاملاً في ولد ، ولكنها أسقطت ولم يكتمل هذا الحمل ، فـأطلقوا علـى ذلـك السقط اسم (محسن) ، ويزعمون أن السبب في سقوطه هو عمـر بـن الخطـاب الذي ضرب فاطمة على ظهرها بعصى غليظة فـأجهض مـا في بطنهـا وأسـقط حملها ، وهذا هو السبب فى أن صلاة الصبح أصبحت ركعتان بدلاً من أصـلها الأول وهو أربع ركعات ، الذى يرجع إلى اسم (محسن) !

ويسبق الصلاة الأذان المعروف ، وصلاة العيدين عندهم من أهم الصلوات ، غير أن التوجه إلى القبلة ليس شرطاً .

والصلاة عندهم مصحوبة بالتراتيل والترانيم التي تشبه قداسات النصارى في كنائسهم ، ومن أشهر القداسات التي دائماً ما يرددونها : قداس الطيب لك أخ الحبيب ، قداس البخور في روح مايدور في محل الفرح والسرور ، قداس الأذان وبالله المستعان . وعند أداء الصلاة يجتمع النصيريون في فترات معينة متفق عليها مسبقاً وفي بيوت معلومة ، وهذا الاجتماع يسمونه (عيداً) وفيه يجتمع شيوخهم بهم فيتلون على مسامعهم بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم ، ولابد لكل واحد منهم أن يكون له (عيد) خاص به ، وعند الاجتماع يقوم صاحب (العيد) في ذلك اليوم بتقديم ما يطلب منه ، ويقال إن في هذه المناسبات يختلط الحابل بالنابل ، والرجال بالنساء ، ويكون فيه الصخب والضجيج والرقص والغناء والشرب واقتراف كل الآثام والخطايا .

وفي هذا الاجتماع ، وبعد سماعهم مايتلى عليهم من قصص خرافية، وأساطير وهمية ، يقومون بأداء بعض الطقوس والقداسات والصلوات التي تشبه إلى حد بعيد قداسات وصلوات النصارى .

من هذه القداسات ما يسمونه عندهم بقداس الطيب لكل أخ حبيب ، يقولون فيه : (أيها المؤمنون اسمعوا وأطيعوا وانظروا إلى مقامي وهذا الذي فيه نحن

مجتمعون ، انزعوا الغل والحسد من قلوبكم ، يكمل لكم دينكم ويستجيب الله لدعائكم ، واعلموا أن الله حاضر موجود بينكم يسمع ويرى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴾ (آل عمران:١١٩) إياكم يا مؤمنين من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال فإنها تحبط الأعمال وتغير الأحوال ، لأنها من طريق إبليس اللعين لعنه الله تعالى .

اسمعوا مايقول لكم الإمام لأنه قائم فيكم في طاعة العلي العلام ... وإن هذا قداس الطيب بعد عقد النية على الصلاة الحقيقية التي خص بها السيد المسيح إلى سين عطاء كل نفس هواها) .

(قال في القداس المبارك : سبحان من جعل من الماء كل شيء حي ، سبحان من يحيي الموتى في صرصر بقدرته العلي الكبير ، الله أكبر! أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الطيب ، بحق السيد محمد الحبيب ، الذي اخضر في يده القضيب ، أن تحل في دياركم البركة ، ياأصحاب هذا الفضل ، وهذا الطيب ، ونقدح أرواح إخواننا المؤمنين ، البعيد منهم والقريب ، يا مولاي ، يا أمير النحل يا علي . . . يا عظيم) [(١)]

- وقد أورد الإسماعيلي (مصطفى غالب) هذا القداس بصيغة أخرى أوردها في مقدمة كتابه (الهفت الشريف) وهي كالآتي :

(قداس الطيب لكل أخ حبيب :

أيها المؤمنون . . . اسمعوا وادعوا وانظروا إلى مقامكم الذي أنتم فيه مجتمعون ، وانزعوا الغل والحقد من قلوبكم ، والحسد من صدوركم ، ليكتمل لكم دينكم في معرفة معينكم ، واعلموا أن الله حاضر معنا يسمع ويرى عليم بذات الصدور ، العزيز الغفور ، إياكم يا مؤمنين من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال ، فإنها تحبط الأعمال وتغير الأحوال ، لأنها طريق

---

(١) مذاهب الإسلاميين ص ٤٩٠

إبليس لعنه الله .... الله أكبر قد قامت الصلاة لأربابها ، وثبتت الحجة على أصحابها .

أقمها ياربي وأدمها ، واجعل السيد محمد خاتمها ، والسيد سلمان زكاتها ، والمؤمنين دليلها ، والعاملين سبيلها ، وأبا ذر شمالها ، والشيخ علي الصوري جبينها)[1].

وهناك قداس آخر اسمه قداس البخور وروائح تدور فى البيت المعمور فى محل الهنا والفرح والسرور ، وهناك قداس اسمه قداس الأذان وبالله المستعان ، وهناك قداس اسمه قداس الإشارة ، وهناك قداس آخر اسمه سورة التبرى أو الشتائم ، ويقصد بها التبرى من أعداء على بن أبى طالب ، والذين اغتصبوا حقه ، وسلبوا منه الولاية ، ثم يصبوا جام غضبهم على هذه الفئة الباغية والظالمة ، ويرددون عليهم السب والقذف والشتائم ، كما أن عندهم دعاء اليمين ، ودعاء الشمال .

- قداس الأذان : هو قولهم (الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيرًا ، وجهت وجهي إلى محمد المحمود طالبًا سره المقصود ، المتقرب بتجلي الصفات ، وعين الذات ، وفاطر الفطر ذو الجلال ، والحسن ذو الكمال اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل ، هو الذي سماكم مسلمين ، حنيفًا مسلمًا ولا أنا من المشركين ، ديني سلسل ، طاعة إلى القديم الأزل ، أقر كما أقر السيد سلمان ، حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول شهدت أنه لا إله إلا هو العلي المعبود ، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي ، ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام ، ولا رب إلا ربي ، شيخنا وسيدنا الحسين ابن حمدان الخصيب ، سفينة النجاة ، وعين الحياة ، حي على الصلاة، حي على الفلاح تفلحوا يا مؤمنون حي على خير العمل ، يعينه الأجل ، الله أكبر ، الله أكبر .

---

(١) الهفت الشريف ص ١٦٢

● قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور :

يقول : كان سيدنا محمد بن سنان الزهرية يقوم بالصلاة مرة ومرتين ، في يده ياقوتة حمراء ، وقيل مرجانة صفراء ، يبخر بها عبد النور ويقول : يا أيها المؤمنون ، بخروا أقداحكم ، أنجزوا أعمالكم ، تنالوا بها الآمال ، ويقول بأجمعكم : الحمد لله الذي جعل نوره تامًّا ، وفضله عامًّا ، علينا وعلى سائر إخواننا براح وريحان وجنة الله والنعيم ، أسألك اللهم مولاي ، بحق هذا قداس البخور ، وبحق البراء بن معرور وبحق المدني وتلميذه أبي الطاهر سابور ، تحل في دياركم البركة ، يا أصحاب هذا الفضل وهذه البخور ، يا أمير النحل ... يا علي يا عظيم»[1] «قد قامت الصلاة على أربابها ، وثبتت الحجة على أصحابها ، الله مولاي يا علي ، أسألك أن تقيمها وتديمها ما دامت السموات والأرض ، وتجعل السيد محمد خاتمها ، والسيد سلمان زكاتها ، والمقداد يمينها ، وأبا ذر شمالها ، نحمد الله بحمد الحامدين ، ونشكر الله بشكر الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الأذان ، وبحق متى وسمعان والتواريخ والأعوام ، بحق موسى بن ما كان ، بحق الأحد عشر كوكبًا الذين رآهم يوسف في المنام ، أن تحل في دياركم البركة بالتمام»[2] .

* * *

(١) عبد الرحمن بدوي ـ مذاهب الإسلاميين ص ٤٩٢

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٣

الفصل الثالث

الزكـــاة

لا تختلف الزكاة في مفهومها العـام عمـا هـو معـروف عنـد عامـة الأئمـة المسلمين ، عما هو معروف عند عامة طائفة النصـيريين ويضـاف إليهـا زكـاة الخمس المعروفة عند فرق الشيعة ، والتي تعطى لشيوخهم الذين ينوبـون عـن الإمام الغائب ، والتي من المفـروض أن يوزعهـا هـؤلاء الشـيوخ علـى الفقـراء والمساكين ، غير أن شيوخهم تعودوا على الاستئثار بها لأنفسـهم ، ويسـتكثروا بها من أموالهم ، ويساعدهم على بسط نفوذهم وسـيطرتهم ، ويكـون الخمـس عادة من حصص الإبل والغنم ومن بقية الحيوانـات ومـن المحاصـيل الزراعيـة المختلفة ومن مهور الزواج . وغير ذلك كثير ... ولعل هذا الجانـب هـو الـذي يدفع بهؤلاء الشيوخ إلى الحرص على مزيد من فرض السرية والكتمـان علـى أمـور الطائفة ، وأن يظل جمهورهم وعامة شعبهم على جهلهم وعـدم علمهـم لكي يسـهل اسـتغلالهم والحصـول علـى أمـوالهم . والزكـاة تـدل علـى معنـى شخصية سلمان الفارسي خالق الأيتام الخمسة .

وفى حـالة عدم القـدرة على إخراج الزكاة ، كأن يكون فقيرا أو مسكينا ، فيكفيه فى هذه الحالة أن يذكر اسم سلمان الفارسى ، فيغنيه بذلك عن إخراج الزكاة[١] .

* * *

---

(١) النصيرية دكتورة سهير الفيل ص ٨٩

الفصل الرابع

الصيام

والمقصود عندهم من الصيام هو الابتعاد عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان ليلاً ونهاراً ، وليس المقصود منه الامتناع عن الطعام والشراب ، كما أنهم يوزعون ساعات الصيام على الملائكة المذكورين في القرآن الكريم ، كل ملك له نصيب ساعة صيام كل يوم .

وللصيام عندهم معنى باطني ، فهو يعني حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة .

* * *

الفصل الخامس

الحـــج

الحج عندهم لا يعترفون به ، ولا يشاركون فيه ، بل إنهم يعتبرون ذلك الحج الذي يقوم به المسلمون اليوم وهو الذهاب إلى المناسك المعروفة عند بيت الله الحرام وفي مكة المكرمة كفر وعودة إلى عبادة الأوثان والأصنام .

الجهاد : معناه : صب الغضب واللعنات على الأعداء والخصوم الذين أفشوا الأسرار ودمروا الديار .

الولاية : هي الإخلاص للأسرة الشيعية ، والتعاليم النصيرية وكراهية أعدائهم .

ومن الواضح أن العبادة عند النصيرية قريبة الشبه عند طائفة الدروز ، وإن أنكرت كل واحدة منهما ذلك التشابه ، لما بينهما من الشقاق والنزاع .

* * *

الباب الرابع

العادات والتقاليد

الفصل الأول : المظاهر الاجتماعية
الفصل الثاني : كيفية تعلم الدين
الفصل الثالث : المناسبات والأعياد

تمهيد

نظراً لكون طائفة النصيرية من الطوائف الباطنية التي تقوم قواعدها وأسسها على السرية والكتمان ، ولا تسمح بالاختلاط والاندماج مع أفراد المجتمع ، لذلك فإنها طائفة مغلقة على من فيها ولا تقبل للآخرين أن يدخلوا فيها ، إلا بشروط قاسية واختبارات صعبة شاقة وشائكة ، وبعد الاطمئنان والوثوق فيمن يرغب الانضمام إليهم ، ويصبح واحدا منهم ، خوفاً من انكشاف أمرهم ، وافتضاح سرهم ... ومن أجل هذا الغرض لايسمح بتعليم النساء أصول وقواعد العقيدة ، كما لايسمح للأولاد الصغار حتى يصل إلى مايقرب من التاسعة عشرة من عمره.

ومن العادات المشهورة بينهم ، والتقاليد المعروفة عندهم أنهم لايأكلون لحوم أنثى الحيوانات التي تحيض ، ولا يعرف عندهم أكل لحوم الجمال ولا الأرانب ولا الغزلان ، وإن كان ذلك يرجع إلى العادات والتقاليد التي تعارف عليها القوم فيما بينهم ، ولايعود إلى النصوص التى يرجعون إليها ، أو أقوال مأثورة يتداولونها فيما بينهم ولا إلى شرائع وأحكام ، ولكن بطول الزمان ، وكثرة الاستعمال ، أصبحت هذه العادات والتقاليد والأعراف أعلى من مقام التشريع .

الفصل الأول

المظاهر الاجتماعية

الزواج :

الزواج عندهم فيه العديد من الآثار الإسلامية الواضحة ، وذلك يرجع إلى تأثير البيئة المحيطة بهم ، والمجتمعات التي اختلطوا معهم ، كما أن فيه الكثير من الأهواء والبدع التي لا يخفى علمها على أحد فالتعدد عندهم معروف ويقرون به ، ولكنهم لا يعترفون بزواج المتعة الذي ينتشر بين غيرهم من الطوائف الشيعية كما أنهم لا يسمحون بالزواج من غير المسلمة ، أو يتزوج غير المسلم من بناتهم .

ومن عاداتهم المعروفة عندهم والمنتشرة بينهم حرمة الزواج بين العيدين الفطر والأضحى ، ويعتقدون أن هناك أيام سعيدة يستحب فيها الزواج ، وأيام أخرى تعيسة لا يستحب فيها الزواج ، فإذا أراد واحد منهم أن يتزوج ذهب إلى واحد من رجال الدين عندهم يسأله عن الأيام السعيدة حتى يرتبط فيها ويبتعد عن الأيام الأخرى التي ينصحه بالابتعاد عنها ، وهذا هو ما يعرف بعلم الكواكب والنجوم ، وحساب الجمل وكل ذلك من آثار الدجل والشعوذة والاتصال بالجن والشياطين .

المرأة :

تتعرض المرأة عند هؤلاء القوم إلى أسوأ معاملة وكأنهم يعيشون الجاهلية الأولى ، فهم يحتقرونها ويعتبرونها رجس من عمل الشيطان ، ولا تؤتمن على

شيء ، ولذلك فهم يحرمونها من التعليم بصفة عامة ومن التعاليم الدينية النصيرية بصفة خاصة ، لأنها في نظرهم ضعيفة العقل والإرادة ، ولا تقوى على تحمل المسئولية وصيانة الأمانة ، ولأنها أيضًا أكثر شرًّا من الرجل ، وأكثر احتيالاً ومكرًا ، والنساء بصفة عامة سبب كل شر ، وطريق كل هلاك ، والمرأة النصيرية لا دين لها وليست مكلفة بأي عمل ، ولا تتحمل أي مسئولية ، وليس من حقها ممارسة الشعائر الدينية ، ولا القيام بطقوسها .

وفي كتابهم (الهفت الشريف) المقدس بعض الوصايا للاحتراس من المرأة ، وذكروا المساوئ العديدة التي تصدر عنها ، وتتسبب فيها ، وأن الرجل قد يجازى بالتناسخ بأن يتحول إلى صورة امرأة عقابًا له إذا كان في حياته غير مؤمن ـ على الطريقة النصيرية ـ أو لم يحترم المشايخ ويقدم لهم الهدايا وأنواع المأكولات!

وفي الهفت الشريف : (قال المفضل : يا مولاي ، روى عن أبيك أنه قال : النساء شر من الرجال ، وأكثر احتيالاً ومكرًا) ، قال الصادق : يا مفضل ... أي أصل كل شر هو النساء ، وحين أخرج أبونا آدم من الجنة كان ذلك بسبب حواء ، وكذلك قتل قابيل أخاه هابيل بسبب النساء ، ألم تسمع كلام الله عن امرأة نوح ولوط كيف خانتاهما ، وكذلك قتل يحيى بن زكريا بسبب امرأة باغية وقد قال النبي وأبلغ القول وأزجر في المعنى حيث نظر في النار فرأى أكثر أهلها النساء ، وقال منه السلام : (والشياطين من إلا امرأة ، وإن الإنسان إذا ارتقى في كفره وعتوه وتمرده ، وتناهى في ذلك صار إبليسًا ، ويرد في صورة امرأة) [(١)] .

والمرأة عندهم بصفة عامة ليست جديرة بشيء من الاحترام أو التقدير ، فهي ليست ثقة في تعلم الدين ، وليست أهلاً لتحمل المسئولية ولا صيانة

---

(١) الهفت الشريف ص ١٦٨

الأمانة ، لأنهم يعتقدون أنها لا تملك روحًا كما هو الحال عند بقية المخلوقات الأخرى ، ولكنها نوع من المسخ الذي يصيب غير المؤمن ، فهي كالحيوان ، لأنها مجردة من وجود النفس الناطقة ، ولذلك فهم يعتقدون أن نفوس النساء تموت أجسادهن لعدم وجود أرواح خاصة بهن ، ولذلك فهم يستبيحون الزنا بنساء بعضهم بعضًا ، والمرأة عندهم لا يكمل إيمانها إلا إذا أباحت فرجها لأخيها المؤمن ، والمرأة عندهم تقدم لأصحاب الحظوة والمكانة العالية كجزء من كرم الضيافة وكذلك عند الاحتفال بالدخول في مرحلة جديدة من مراحل تعلم أسرار العقيدة النصيرية ، ولا تقام الاحتفالات والأعياد بغير وجود المرأة ، ويقولون عن ذلك أنه « الفرض اللازم ، أو الحق الواجب » .

ويروي سليمان الأذني صاحب كتاب الباكورة في معرض حواره مع أحد مرشدي وشيوخ النصيرية حيث قال له : « سافرت إلى مدينة أنطاكية إلى قرية اسمها (وادي الجرب) فصادفت شيخًا من الخاصة ، أضافني عنده ، ولما أقبل الليل فرشوا لي فراشًا في موضع غرفة خالية ، فلما كانت نحو الساعة الثانية وإذا بطارق يطرق الباب ففتحته ، فإذا بامرأة دخلت عليّ وأغلقت الباب ، واضطجعت بجانبي ، وأنا متحير منها ما أعلم ماذا كان غرضها ؟ ثم بعد قليل جعلت تحادثني وقالت : أما تقبل الفرض اللازم والحق الواجب ؟ حينئذ جالت في عقلي كلمة الإمام المرشد ، وعرفت أن الفرض اللازم والحق الواجب هو تقديم نسائهم لبعضهم . وفي اليوم التالي كنت أفكر في نفسي وأقول : إني خاطب بنت إمامهم ، وكلما أتاني شيخ منهم فأنا ملتزم أن أقدمها له حسب الفرض اللازم والحق الواجب ، فهذا أمر عسير جدًّا ولا أستطيع قبوله أبدًا »[1].

وليس هذا أمرًا جديدًا على هذه الفرقة ، أو غريبًا عنهم ، بل هو متأصل فيهم ومتجذر عندهم منذ نشأتهم وظهورهم ، فقد نادى محمد بن نصير بإباحة

(١) الباكورة السليمانية ص ١٠٨

المحارم من النساء ، بل أباح نكاح الرجال بعضهم بعضًا ، وجعله نوع من التواضع والتذلل[(١)] .

قال شاعرهم علي بن الفضل وهو يخطب على المنبر :

خذى الدف يا هذه واضربى — وغنى هزازيك ثم اطربى

تولى نبى بنى هاشم — وهذا نبى بنى يعرب

لكل نبى مضى شرعة — وهذى شريعة هذا النبى

فقد حط عنا فروض الصلاة — وفرض الصيام فلم نتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضى — وإن صاموا فكلى واشربى

ولاتطلبى السعى عند — ولا زورة القبر فى يثرب

الميراث :

نظام الميراث عندهم يجري وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، ولكن على سبيل الاستحباب ، وليس على سبيل الإلزام والوجوب ، المرأة عندهم مظلومة محرومة من كثير من الحقوق التي كفلها الإسلام ، فهي مثلاً لا ترث إذا كان لها أخوة ذكور ، ولكنها تأخذ شيئًا في بعض الأحيان من تركة والدها ليس على سبيل الميراث والحق الشرعي ولكن على سبيل الترضية ، أو على سبيل الإعانة والمساعدة[(٢)] .

* * *

---

(١) الباكورة السليمانية ص ١٠٨

(٢) الحركات الباطنية ص ٢٧١

الفصل الثاني

كيفية تعلم الدين

- **المراسم والطقوس :** من المعروف عند أبناء هذه الطائفة أنه لا يسمح لأي شخص أن يتعلم أسرارها ، ويتلقى تعاليمها إلا إذا بلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، ولا يؤخذ هذا الأمر على إطلاقه ، فليس كل من وصل إلى هذا السن يبدأون في تعليمه أصول العقيدة ، وكيفية العبادة ، ولكن لايسمح لأي أحد بذلك ، بل يقومون بانتقاء من يصلح لهذا العمل من بين جموع أبناء الطائفة ، والذي يثقون فيه لحمل هذه الأمانة ، وصيانة هذه الرسالة ، فإذا وقع الاختيار على واحد ، واجتمع الرأي على شخص محدد ، اجتمع شيوخ الطائفة في مكان واحد وسمح لذلك الشخص بالدخول عليهم بعد أن يكونوا قد أهدروا كرامته ، وداسوا على رجولته ، وقضوا على مروءته وشهامته ، اختباراً منهم لدرجة تحمله وصبره وكظم غيظه ..... وعندما يدخل عليهم عليه أن يختار واحدا منهم ترتاح له نفسه ، ويطمئن له قلبه ، ويسمى عندهم (الوالد الروحي) أو(الوالد الديني) ويفرضون عليه أن يحترمه ويقدسه ويتواضع له ويذل نفسه إليه ، ويكون معه كما يقول أهل التصوف (كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي مغسله) .

يقف الشاب الذي وقع عليه الاختيار على باب غرفة الاجتماع وهو ساكت لايتكلم ، قد وضع أحذية الشيوخ كلهم على رأسه ، إظهاراً لهم بالتقدير والتقديس ، ويظل شيخه الذي اختاره والداً له في التوسل والتذلل لبقية الشيوخ في قبول هذا الشخص ضمن شيوخ الطائفة ليدخل في زمرتهم ويصبح واحداً

منهم ، فإذا رفض الشيوخ طردوه وحرموه من نعمة الوصول إلى هذه الدرجة !!؟

وإذا وافقوا على طلبه ، واتفقوا على قبوله أنزلوا الأحذية من فوق رأسه ، ثم يبدأ في تقبيل أيديهم وأرجلهم ، ثم يقف في وسطهم ، ويضعون على رأسه قطعة قماش بيضاء ، ويقرأون عليه صيغة العقد الذي يربط بين التلميذ وأستاذه ، وهم يشبهون هذا العقد بعقد الزواج ، وما يقال في هذا الاجتماع أشبه بالخطبة ، ويعتبرون الكلام الذي يسمعه ذلك الشاب بمثابة النكاح ، وما يتحمله من العلم عنهم بمثابة الحمل ، فإذا أتقن ذلك الشاب ماتلقاه من العلم والمعرفة وأصبح في مقام المعلم فإن ذلك يكون بمثابة الوضع .

وبعد أن تتم هذه المراحل من التنصيب وأخذ العهود والمواثيق ، يطلبون من التلميذ تكرار كلمة التوحيد عندهم في اليوم خمسمائة مرة ، وكلمة التوحيد عندهم يقول (بحق ع م س) وهي شعارهم الذي يرفعوه في كل أحوالهم وتقلباتهم .

وبعد هذه المراحل الشاقة والصعبة والعسيرة يعرض الشخص مرة ثانية لعدة اختبارات أخرى أشد قوة وأكثر قسوة ، فإذا نجح فيها انتقل إلى المرحلة التالية ، ويبدأون فى تعليمه الطلاسم الغامضة والأسرار المدفونة التى لايبوحون بها لأحد آخر مهما كان شأنه ، ومهما كانت درجته .

شروط تعلم الدين :

لا يسمح لأي شخص أن يتعلم الدين النصيري ، فليس لأي واحد أن يقدم على ذلك أو يسمحون له به ، فعلم الطريقة ، وأسرار الديانة ليس هكذا من وجهة نظرهم كلاً مباحاً للجميع ، بل لها شروط ولها التزامات ، لا تعطى إلا لمن توفرت فيه هذه الشروط ، ومن أهمها :

١- أن يكون من الرجال وليس من النساء .

٢- أن يكون من الرجال الذين لديهم الاستعداد لتحمل هذه المهمة .

٣- أن يكون ذلك الرجل من أب وأم نصيرية ، فإذا كانت الأم غير نصيرية لا يسمح لأولادها بتعلم الدين .

٤-إن الوالد لايستطيع أن يسلم الدين لولده ، ويعلمه إياه ، بل عليه أن يبحث له عن والد روحيًّا يتولى هذه المهمة .

٥- إن العلم بالدين ينشئ صلة روحية جديدة بين الطالب والعم السيد ، وعلى ذلك فإن الطالب لا يستطيع أن يتزوج من بنات مرشده اللواتي أصبحن أخوته بالروح .

٦- إذا أراد العم السيد أن يسافر ويترك الطالب ، فعليه أن يدبر له سيداً آخر يكمل معه المهمة أو يحله من ذلك ، كما أن الطالب لايصح له أن يتخلى عن سيده إلا بإذنه ، فإن منزلته بمنزلة الزوجة من بعلها ، ولذلك فإن الطلاق عندهم لايكون للنساء فقط ، بل للرجال أيضاً ؟!! .

٧- لايجوز تعليم الدين إلا لمن وصل عمره تسعة عشر عاماً ، وهذا الشرط راجعت فيه عدة كتب ومراجع ولم أصل فيه إلى قول واحد أستند عليه ، فمنهم من يقول إن العمر المطلوب هو خمسة عشر عاماً ، وفي مراجع أخرى ثمانية عشر عاماً ، وعند آخرين تسعة عشر عاماً ، ولا أدري بعد ذلك بأي هذه الأقوال نأخذ ونعتمد؟!! .

مراحل التعليم :

يمر التلميذ الذي وقع عليه اختيار الشيوخ لكى يتعلم أسرار المذهب والطائفة على عدة مراحل أهمها :

١- مرحلة الجهل : وهي المرحلة الأولى التي يبدأ بها التلميذ مراحل تعليمه ، وهي بمثابة تهيئة واستعداد لقبول التعاليم ، ويصاحب جلسات هذه المرحلة خمر ونساء ونوم حتى السحر .

٢- مرحلة التعليق : وهي المرحلة التي تعرف بمرحلة التلقين ، وفيها يعلمونه القشور السطحية لمعارفهم وتعاليمهم ، وتستمر هذه المرحلة لمدة سنة أو سنتين على حسب قدرة التلميذ على التلقي والاستيعاب ، وتكون عادة تحت إشراف أحد شيوخ الطائفة ، فإذا وجدوا منه إقبالاً وحرصاً ونجابة أعدوه للمرحلة التالية وإلا طردوه وحرموه من استكمال بقية المراحل .

٣- مرحلة السماع : وهي الدرجة العليا ، ويعلمونه فيها معظم التعاليم ، ويطلعونه على كثير من الأسرار ، وليس كلها ، فهناك من الأسرار والخبايا التى أعدوها لكى تتناسب مع المرحلة التي يمر بها الطالب .

٤- صاحب العهد : فإذا تجاوز هذه المراحل جميعها بثقة ونجاح ، ولم يحدث منه أي نكوص أو إعراض ، اجتمع الشيوخ الروحيون للطائفة ، وأطلعوه على ما تبقى له من معرفة (سر الأسرار) ، ويأخذون عليه العهود والمواثيق ، وشددوا عليه القول ، وحذروه من البوح بشيء مما تعلمه وعرفه ، ولو تعرض للموت أو القتل أو إراقة الدم ، ويتم هذا الاجتماع في حضور الصفوة من أبناء الطائفة والكفلاء والشهود وأصحاب النفوذ والسلطة لكي يشهدوا عليه ساعة أخذهم العهود والمواثيق وأغلظ الأيمان ... وبعد الانتهاء من مراسم هذه الجلسة يعلنون على الحاضرين منحه درجة « شيخ » أو « صاحب العهد » ، ليصبح بعد ذلك شيخا جديداً لطائفتهم ، وعالماً من علماء دينهم[1] .

- وهذه الطريقة تشبه إلى حد بعيد ما تفعله الجماعات السرية ، والمنظمات الإرهابية الخفية مثل الماسونية مع أتباعهم ، وكذلك يفعله النصارى فيما يعرف عندهم بالتكريس أو التعميد .

ويروى سليمان الأذنى تجربته الشخصية في هذه المرحلة فى كتابه (الباكورة السليمانية) بشكل واضح وتفصيلى ، فيقول : (إني ولدت فى مدينة أنطاكية

---

(١) الهفت الشريف ص ٢٢

سنة ١٢٥٠ هجرية ، وأقمت فيها نحو سبع سنين ، ثم انتقلت الى أذنة ، فلما بلغت السنة الثامنة عشرة من العمر أخذ بنو طائفتى يطلعونى على أسرارهم الباطنية التى لا يكشفونها إلا لمن بلغ هذا السن أو سن العشرين .

وفى ذات يوم اجتمع منهم جمهور من الخاصة والعامة واستدعونى إليهم وناولونى قدح خمر ، ثم وقف النقيب بجانبى ، وقال لى : قل بسر إحسانك يا عمى وسيدى وتاج رأسي ، أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسى ، ولما شربت الكأس التفت الى الإمام قائلا لي : هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراما لسيدك ؟ فقلت كلا ، بل حذاء سيدى فقط ، فضحك الحاضرون لعدم قبولى القانون ، ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيد المذكور ، فكشفوا رأسى ووضعوه عليه ، وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء ، ثم أخذ النقيب يصلى عليّ لكى أقبل السر ، ولما فرغ من الصلاة رفعوا الحذاء عن رأسي وأوصوني بالكتمان وانصرفوا .

فهذه الجمعية يسمونها : المشورة .

ثم بعد أربعين يوما اجتمع جمهور آخر واستدعونى إليهم ووقف السيد بجانبى وبيده كأس خمر ، فسقانى الكأس ، وأمرنى بأن أقول سر ع م س ، أما العين فهى عليّ ويسمونه المعنى ، وأما الميم فهى محمد ويسمونه الاسم والحجاب ، وأما السين فهى سلمان الفارسى ويسمونه الباب ، ثم بعد ذلك قال لى الإمام : إنه فرض عليك أن تتلوا هذه اللفظة ، وهى سر عمس كل يوم خمسمائة مرة ، ثم أوصونى بالكتمان وانصرفوا .

وهذه الجمعية الثانية يسمونها بجمعية المليك .

ثم بعد سبعة أشهر (والمدة العامة تسعة أشهر) اجتمع جمهور آخر أيضا واستدعونى حسب عادتهم وأوقفونى بعيداً عنهم ونهض وكيل من بين الجماعة والنقيب عن يمينه والنجيب عن شماله وبيد كل منهم كأس خمر واستقبلوا

نحو الإمام مترنمين الترنيمة الثالثة التى هى للحسين بن حمدان الخصيبى ... وبعد ذلك توجهوا نحو المرشد الثانى مترنمين له هذه الترنيمة :

سألت عن المكارم أيــن حلــوا بعض النـــاس دلــونى عليكـــا

بحـــق محمـــد مـــع آل بيتـــه ارحم من أتـــى يقبـــل يـــديكا

قصدتك لا يخيب فيـــك ظـــنى نحن اليـــوم محســـوبين عليكـــا

ثم وضعوا أياديهم على رأسه وجلسوا ، فأما هو فنهض قائما ، وأخذ القدح من الوكيل ، وخر ساجدا ، وقرأ سورة السجود ، وهى الفصل السادس ، ورفع رأسه ، وقرأ سورة العين ، وهى الفصل التاسع ، ثم شرب الكأس ، وقرأ سورة السلام ، وهى الفصل السابع .

ثم قام متوجها نحو الإمام قائلا : نعم نعم نعم يا سيدى الإمام ، فقال له الإمام : ينعم عليك وعلى من حواليك ، لقد علمت ما لم تعلمه هذه الجماعة لأنك أخذت القدح بيدك وشربت وسجدت وسلمت ولله السجود ، فما هى حاجتك ، وماذا تريد ؟ فقال : أريد أن أتمسى بوجه مولاى ، ثم أنصرف ، ونظر نحو السماء ورجع إليهم قائلا : نعم نعم نعم يا سيدى فأجابه الإمام كالأول : ما حاجتك وماذا تريد ؟ فقال لى حاجة أريد قضاءها ، فقال اذهب اقضها ، ثم انصرف عنهم ودنا منى لكى أقبل يديه ورجليه فقبلتهما ورجع إليهم أيضًا وقال : نعم نعم نعم يا سيدى الإمام ، فقال له الإمام : ما مرادك وماذا تريد ؟ فأجابه إنه تراءى لى شخص بالطريق فقال : ألم تسمع ما قال سيدنا المنتجب الدين «العانى» : الليل يجزع منه كل صنديد ، فأجاب : لى قلب قوى ولا خوف علىّ ، ثم نظر إليّ أيضًا والتفت إليهم وقال : هذا شخص اسمه فلان ، وهو قد أتى ليتأدب أمامكم ، فقال : من دله علينا ؟ فأجاب : المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم ، وهى لفظة عمس ، فقال الإمام : أئت به لنراه ، فأخذ المرشد بيدى اليمنى وذهب بى إلى الإمام ، فلما دنوت منه

مد لى رجليه فقبلتهما ويديه أيضًا ، وقال لى : ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام ؟ .

ثم نهض النقيب ووقف بجانبي وعلمني أن أقول : بسر الـذي أنـتـم فـيـه ، يا معشر المؤمنين ثم نظر إليّ بعبوسة وقال : ما الذي حملك على أن تطلب منا هذا السر المكلل باللؤلؤ والدر ولم يحمله إلا كل ملاك مقرب أو نبي مرسل ؟ اعلم يا ولدي أن الملائكة كثيرون ولا يحمل هذا السر إلا المقربون والأنبياء كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السر إلا المرسلون ، والمؤمنون كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السر إلا الممتحنون ، أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم ؟ فقلت له : نعم فقال لي : أريد منك مائة كفيل ، فقال الحاضرون : القانون يا سيدنا الإمام ، فقال : إكرامًا لكم ليكن اثنا عشر كفيلاً ، ثم قام المرشد الثاني وقبّل أيدي الاثنى عشر كفيلاً ، وأنا أيضًا قبلت أيديهم ثم نهض الكفلاء وقالوا : نعم نعم نعم يا سيدي الإمام ، فقال الإمام : ما حاجتكم أيها الشرفاء ؟ قالوا : أتينا لنكفل فلانًا ، فقال : إذا أباح بهذا السر أتأتوني به لكي نقطعه تقطيعًا ونشرب دمه ؟ فقالوا : نعم فأجاب وقال : لست أكتفي بكفالتكم فقط بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم ، فجرى واحد من الكفلاء وأنا وراءه وقبّل أيدي الكفيلين المطلوبين وقبلتهما أنا أيضًا ، ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة على صدريهما فالتفت إليهما الإمام وقال : الله يمسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران أهل البرش والكرش فماذا تريدان ؟ فأجابا : إننا قد أتينا لنكفل الاثنى عشر كفيلاً وهذا الشخص أيضًا ، فقال : فإذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلاة ، أو باح بهذا السر ، هل تأتياني به لنعدم حياته ؟ فقالا : نعم ، قال الإمام : إن الكفلاء يفنون وكفلاء الكفلاء يفنون ، وأنا أريد منه شيئًا لا يفنى ، فقالا له : افعل ما شئت ، فالتفت إليَّ وقال : ادن مني يا غلام ، فدنوت منه ، وحينئذ استحلفني بجميع الأجرام السماوية بأني لا أبيح بهذا السر ، ثم ناولني كتاب المجموع في يدي

اليمنى وعلمني النقيب الواقف بجانبي أن أقول : تفضل حلفني يا سيدي الإمام على هذا السر العظيم وأنت بريء من خطيئتي ، فأخذ الكتاب مني وقال : يا ولدي أحلفك ليس لأجل مال ولا جوار بل لأجل سر الله فقط كما حلفنا مشايخنا وسادتنا ، وهكذا تكرر العمل والقول ثلاث مرات ، ثم وضعت يدي على «المجموع» ثلاث مرات حالفًا به له أن لا أبيح بهذا السر ما دمت حيًّا ...

ثم قال الإمام : اعلم يا ولدي أن الأرض لا تقبلك فيها مدفونًا إن أبحت بهذا السر ، ولا تعود تدخل القمصان البشرية ، بل حين وفاتك تدخل قمصان المسوخية وليس لك منها نجاة أبدًا .

ثم أجلسوني بينهم وكشفوا لي رأسي ووضعوا عليه غطاء ، ثم إن الكفلاء وضعوا إيديهم على رأسي ، وأخذوا يصلون فقرأوا أولاً سورة الفتح والسجود والعين ، ثم شربوا خمرًا وقرأوا سورة السلام ، ورفعوا أيديهم عن رأسي وأخذني عمّ الدخول وسلمني إلى مرشدي الأول ، ثم أخذ بيده كأس خمر وسقاني وعلمني أن أقول : بسم الله ، وبالله وسر السيد أبي عبد الله ، العارف بمعرفة الله ، سر تذكاره الصالح سره أسعده الله .

ثم انصرفت الجماعة وأخذني السيد إلى بيته واسمه أحمد أفندي بن رضوان أغا ، من أعيان مدينة أدنة ، والمرشد الثاني اسمه الشيخ صالح الجبلي رئيس الرمالين ، ثم ابتدأ السيد يعلمني أولاً التبري وهو سورة الشتائم ، وحينئذ أطلعني على صلاتهم المشهورة»[1] .

* * *

(١) الباكورة السليمانية ص ٧

الفصل الثالث

المناسبات والأعياد

الأعياد في حياة الأمم دليل على ثقافتهم ومرجعيتهم ، ومظهر من مظاهر حياتهم الاجتماعية والأعياد لها شأن عظيم عند هؤلاء القوم فعندهم عدد كبير من الأعياد ، فلم يتركوا مناسبة ولا ذكرى إلا وجعلوا منها عيدًا ومناسبة وفرحًا ، بل إنهم عندما يجتمعون للصلاة فإنهم يعتبرونها عيدًا يستحق الفرح والابتهاج ، وإن كانت هذه الأعياد في أصلها خليط من الآثار التي تشبثوا بها على مدى تاريخهم الذي عاشوه وعاصروه ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يظهر بوضوح الآثار التي علقت بهم ، ففي المرحلة التي أرادوا أن يقتربوا من الإسلام تمسكوا بالأعياد الإسلامية ، وفي المرحلة التي أرادوا أن يقتـربوا من إخـوانهم الشيعة ، ظهرت الأعياد الشيعية ، كما أن هناك أعيادًا فارسية وأخرى نصرانية .

أ – فأما ما يرتبط منها بالإسلام :

١- **عيد الفطر :** وإذا كانوا يحتفلون بهذا العيد في أول أيام شهر شوال ، وهذا ما يوافق عامة المسلمين ، إلا أن هذه الطائفة لا ترى في صيام رمضان فريضة شرعية ، ومن هنا فهم يختلفون تمامًا في احتفالاتهم بهذه المناسبة التي يتوهم البعض بمشاركتهم أعياد المسلمين .

٢- **عيد الأضحى :** وهم يرون أن الحج نوع من الوثنية والكفر وعبادة الأصنام، وكذلك فإن عيد الأضحى يحتفلون به في اليوم الثاني عشـر مـن شـهر ذي

الحجة لكي يختلفوا عن بقية المسلمين الذين يحتفلون به في العاشر من ذي الحجة .

٣- عيد الغدير : والمقصود بالغدير هو غدير خم ، وهو غدير تجري فيه الماء على بعد ثلاثة أميال من الجحفة على يسار الطريق تصب فيه عين ماء وحوله شجر كثير وهو الغيضة التي تسمى (خمًّا) ، وذلك أن الرسول ﷺ في أثناء عودته من حجة الوداع نزل بالغدير ومكث فيه وآخى بين الصحابة ولما فرغ من ذلك وجد علي بن أبي طالب وحده ولم يجعل له أخًا ، ووجد التأثر باديًا عليه ، وظهر في نفسه انكسارة ، فضمه إلى صدره ، وربت على كتفه ، وقال له : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي ، والتفت إلى الصحابة وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة .

وجميع فرق الشيعة تعتبر أن ما حدث في هذه المناسبة ما هو إلا تصريح واضح بوجوب خلافة علي لرسول الله ﷺ ، وجميع فرق الشيعة تحتفل بهذا اليوم على أنه من أعظم أعيادهم ، فيصلون في صبيحته ركعتين قبل الزوال ـ كما يفعل في صلاة العيدين الفطر والأضحى ـ ويلبسون فيه الجديد ويعتقون فيه العبيد ، ويذبحون فيه الأغنام ويأكلون فيه الثريد ، ويكرمون فيه الأضياف القريب منهم والبعيد والشعراء والمترسلون يهنئون الكبراء منهم بهذا العيد»[(١)].

وتضيف طائفة النصيرية إلى هذه المناسبة بعضًا من أوهامهم وخرافاتهم التي تعودوا عليها فيقولون : إن النبي ﷺ بايع عليّ على خلافته في غديرخم ، وأن هذه البيعة أثبتت مكانة على المقدسة العلوية وأن الآية : ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي** ﴾ (المائدة:٣) نزلت في هذا اليوم ، ويقولون أيضًا : إن كمال الدين هو ولاية علي ، ويقولون أيضًا : إنه لما أعلن كمال

---

(١) صبح الأعشى ص ٤٠٧ .

الدين كان لا يزال بعض العقائد مكتومًا وخفيًّا ، ولذلك بقي إلى هذا اليوم مكتومًا لخصوصيته ، ولذلك فإن بقاء عقيدة النصيريين مكتومة وخفية هو من كمال الدين وإعلانها مضربه ، ويقولون أيضًا : إن بني هاشم كانوا يعرفون في زمن النبي أحكامًا ما كان يعرفها الأمويون !؟ وأن أهل البيت تعلموا علومًا لم يسمعها غيرهم ، وإذا كانت هذه البيعة علنية ، فقد بايع الرسول ﷺ عليًّا ثلاث بيعات خفية وهي بيعة الدار ـ بيعة الخيزرانة ـ وبيعة أم سلمة ولم تكن هذه البيعة العلنية إلا لإنشاء بعض حقوق أهل البيت ، والأمر باتباعها واحترامها[1] .

- واستدلالهم ببيعة الغدير ونزول هذه الآية فيه نظر ، فإن الثابت من الروايات الصحيحة أن الآية المذكورة إنما نزلت في يوم عرفة بعد أن انتهى الرسول ﷺ من خطبته المعروفة بخطبة حجة الوداع والتي قال فيها ثلاث مرات على مسامع الصحابة جميعًا : ألا هل بلغت ؟ والجميع يردد وراءه ويقولون : نعم ، بلغت وأديت ونصحت ، فأين الكتمان ؟ وأين الإخفاء ؟ وأين الخصوصية ؟ .

وأما بالنسبة لبيعة غدير خم ، فإن الروايات التي أوردت هذا الأمر فهي كثيرة ، منها ما جاء في مسند الإمام أحمد ، وهي سبع روايات حققها وخرج أحاديثها المحدث والعلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى والتي انتهى فيها إلى أن النبي ﷺ قال يوم الغدير : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وأما بقية الزيادات التي أضيفت على هذه الرواية فهي غير صحيحة وليست من أقوال الرسول ﷺ ، وسواء كانت كذلك أو أضيفت إليها تلك الزيادات ، فكلها لا يفيد مبايعة الرسول ﷺ لعلي بالإمارة أو الخلافة أو الولاية أو شيء من ذلك ، بل إن هذه الروايات نفسها تؤكد أن علي بن أبي طالب لما طلب من الناس ذكر ما قيل في حقه يوم الغدير لم ينكر ذلك أحد ، بل قالوا ما عرفوه ، ورددوا ما سمعوه ، ونقلوا ما حدث دون زيادة أو نقصان ، مع وجود اختلاف

---

(١) تاريخ العلويين ص ٧٠ – ٧٥

طفيف في الروايات لا تخرجها عن معناها الموجود، ومفهومها المقصود، بل إن علي بن أبي طالب نفسه لم ينكر هذه الروايات.

وأما ما ورد من أن النبي ﷺ آخى بين المسلمين يوم الغدير ولم يبق غير علي، فهذه الرواية فيها خلل كبير، واضطراب واضح، حيث إن مسألة المؤاخاة كانت في أول الهجرة، وانتهى أمرها حيث استقرت الأمور، وتحسنت الأحوال، وفتح الله تعالى على المسلمين جميعًا المهاجرين منهم والأنصار، ولم يكن لأمر المؤاخاة مرة ثانية ضرورة تذكر، أو حاجة ملحة قد طرأت، ومعنى تكرارها على الصورة المذكورة يعطي مفهومًا بعدم جدية المرة السابقة، مما اضطر معها إعادة تكرارها مرة ثانية، وهذا لم يحدث أصلاً.

ثم إن النقطة الأكثر ملاحظة، والأشد تدقيقًا، هي أن النبي ﷺ لم يؤاخي بين مهاجر ومهاجر آخر أو بين أنصاري وأنصاري آخر مثله، فكيف يؤاخي بينه وبين علي بن أبي طالب، وهو الذي لا يحتاج إلى هذه المؤاخاة أصلاً، فهو الذي تربى في كنف رسول الله ﷺ منذ صغره، ونشأ في حجره، وتولى أمره، ثم زوجه ابنته وفلذة كبده، ثم قربه منه، ولم يبتعد عنه لحظة واحدة، وكانت روحه في ولديه الحسن والحسين، وغير ذلك كثير ولا يخفى أحد، وأما استدلالهم بقول الرسول ﷺ لعلي عندما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي». وهذه الرواية في البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد ولا سبيل لإنكارها، والصحيح أنه ما كان يقصد من قولها إثبات دليل توصيته بالخلافة والولاية لعلي كما تقول فرق الشيعة «أنه أنزله منه منزلة هارون من موسى ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة واستثناؤها دليل على العموم»[(١)]، ولكنها قيلت في معرض الترضية وجبر الخاطر، عندما قال علي: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟». أي أن علي بن أبي طالب أخذ على نفسه من

---

(١) المراجعات ص ١٥٢.

هذا العمل ، ولم يفرح به ويغتبط له ، فأراد الرسول ﷺ أن يطيب خاطره ، وقال له هذه المقولة التي لا تحمل أي معنى للاستخلاف أو التوصية ، فلم يكن عليٌّ وحده هو الذي استأثر بهذا العمل ، حتى يفهم منه ذلك ، بل كان من عادة الرسول ﷺ أن يستخلف واحدًا من الصحابة على المدينة مدة غيابه عنها ، فقد استخلف من قبل عبد الله بن أم مكتوم في غزوة الخندق ، وفي غزوة بني النضير ، واستخلف عثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع ، كما استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر في غزوة بدر .

كما أن هارون لم يخلف موسى في حكم بني إسرائيل بعد موته ، ولم يتول الإمارة عليهم من بعده حتى يحتج بذلك فالذي استخلفه موسى من بعده هو يوشع بن نون تلميذه وصاحبه ورفيقه في سفره إلى الرجل الصالح الخضر عليه السلام .

٤- **عيد الفراش :** أي ذكرى مبيت علي بن أبي طالب في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ، وهذا العيد يقابل مناسبة الهجرة عند جمهور المسلمين .

٥- **عيد المباهلة:** وهو ذكرى طرح النبي ﷺ رداءه على أهل بيته وفيهم عليّ ، وصادف ذلك قدوم وفد نجران إلى المدينة ، ويقع يوم ٢١من ذي الحجة .

ب ـ ما يرتبط بالنصرانية :

١- **عيد الميلاد :** ويظهر تأثير النصرانية عليهم واضحًا حيث يتوافقون ويتشابهون مع النصارى في الاحتفال بعيد الميلاد وهو رأس السنة الميلادية على وفق تقويم الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ، ويقدمون فيه النبيذ ولحم البقر .

٢- **عيد الصليب :** وهو العيد الذي جعلوه رمزًا وتاريخًا لقطف الثمار وبدر الزراعة ، ويجعلون منه تاريخًا لبداية معاملاتهم بعضهم مع بعض كدفع أجور الرعي والمساكن والمخازن ، ويتوجهون في هذا العيد إلى المعارض المقامة في الأديرة والكنائس لشراء لوازمهم ومتطلباتهم الضرورية ، وقد

اشتهرت عندهم بعض المعارض والأسواق مثل معرض (دير الحميراء) في تلكلخ ومعرض (دير مار إيلياس) في صافيتا .

٣- **عيد بلر بارا :** وهو عيد تحتفل به الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية .

٤- وهناك أيضًا أعياد أخرى مثل : عيد الغطاس ، عيد السعف ـ عيد العنصرة ـ عيد القديسة .

جـ- ما يرتبط بالشيعة :

١- **عيد المهرجان :** وإن كان عيد الغدير من أعظم المناسبات التي تجتمع عليها فرق الشيعة كلها ، إلا أن عيد المهرجان من أوسعها انتشارًا ، وأكثرها فرحًا وسرورًا ، وكانوا يحتفلون به في أول يوم من فصل الخريف ، وهو في الأصل عيد فارسي ، وبينه وبين عيد النيروز ١٦٧ يوم ، وعندهم ليلة يحددها شيوخهم غير التي يحتفلون فيها بأعيادهم التقليدية ، يكون فيها احتفال كبير ، وصخب عظيم ، يختلط فيه الحابل بالنابل والرجال بالنساء .

تعظيم الخمر :

وهم يعظمون الخمر ، ويحرصون على شربها واحتسائها ، ويعظمون أصل وجودها التي هي شجرة الكرم ، ويحرمون قطعها أو قلعها ، لأنها أصل النور ، ولهم بعد شرب الخمر دعاء يرددونه ويقولون فيه : (إن هذا عبدك عبد النـور ، شخص النار ، حللته وأكرمته وفضلته لأوليائـك العـارفين بـك حـلالاً طلقًـا ، وحرمته على أعدائك ـ يعـني المسـلمين ـ المنكـرين لـك ـ يعـني في القـرآن الكريم ـ ، اللهم مولاي ـ يعني علي بن أبي طالب ـ كما حللتـه لنـا ارزقنـا بـه الأمن والأمان ، والصحة من الأسقام ، وانف به عنا الهم والأحزان) . وهوالهدية العظمى التي تعطـى عنـد سـر النقبـاء والنجبـاء (وهـم الأسـاتذة) عنـد دخـول الجاهل (وهم التلاميذ) في أسرار عقيدتهم ، لذلك يطلقون عليها اسم (عبد النور) باعتبـار أن الخمـر خلـق مـن شجـرة النور وهي العنـب ، وهـي التـي تقـدم

عند ترتيل قداساتهم ، وفي أيام أعيادهم وحفلاتهم وأفراحهم وهذا واحد من زعمائهم وكبرائهم يتغنى في الخمر ويعترف بغرامه وعشقه بالسيدة زينب إذ يقول إبراهيم الطوسي :

اسقياني أحبتي واطرباني … في هوى زينب زين المعاني

اسقياني من الصبوح رحيقًا … عتقت في دنانها الأرجوانى

وهذا واحد آخر منهم اسمه الشيخ محمد بن كلازو يقول :

يا خليلي إن تكون عليلاً … ظامئ القلب والفؤاد غليلا

اشرب الخمر إن فيها شفاء … حيث كان مزاجها زنجبيلا

وإذا ما شربتها وهي صرف … فكل داء يعود عنك رحيلا

وإنها في كؤوسها تتلألأ … في الدياجي كأنها قنديلا

إن موسى الكليم حين رآها … في دجا الليل والركام هطيلا

قال إني آنست جذوة نار … جانب الطور في ضياء شعيلا

ثم نوح النبي لما طغى الماء شربها … فنال خيرًا منيلا

وكذا السيد الرسول احتساها … حين ألقى عليه قولاً ثقيلا

قال يا أيها الزمل … قم الليل طوعًا ورتل الترتيلا

ناشئة الليل أشد وطئًا … وهي للعارفين أقوم قيلا[1]

- «بل يزعمون من شدة إفكهم وضلالهم أن الله تعالى أحلها لهم بصفتهم أولياء الله الصالحين الذين آمنوا به وعرفوه بشخص عليّ ، وحرمها على الجاحدين لله المنكرين له ـ أي الذين لم يؤمنوا بعلي ـ فهي نوع من الأغلال والآصار التي وضعت عليهم لعدم إيمانهم بعلي»[2].

---

(١) الباكورة السليمانية ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) الحركات الباطنية ص ٣٧٠ .

٢- عيد النيروز : ومعناه (اليوم الجديد) وهو عيد الربيع عند الفرس وهو عندهم له شأن كبير واحتفال عظيم وأول من اتخذه جمشيد أحد ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس .

إشارات التعارف :

على طريقة المنظمات السرية والجمعيات الباطنية أخذت هذه الفرقة طريق الإشارات والرموز كوسيلة للتعارف بين أفرادها وأتباعها لكي يتعاملوا فيما بينهم ، ويتعارفوا بعيدًا عن أعين الناظرين ومتابعة المتطفلين ، ولذلك فقد وضع كبار الفرقة بعض الإشارات والرسائل السرية لضمان مزيد من الغموض والكتمان ، ويوضح ذلك صاحب الباكورة فيقول : « وأما العلامة التي بها يعرف بعضهم بعضًا فهي إن أتى غريب إلى بيوت النصيرية يسألهم ويقول : لي قريب يجهل أتعرفونه؟ فيجيبون : ما اسمه؟ الحسين ، فيجيبونه : ابن عمران ، فيقول : الخصيب . وهناك طريقة ثانية ، حيث يقولون للغريب : شاش عمك كام دور؟ فإن أجاب ستة عشر ، يقبلوه . العلامة الثالثة : إن عطش عمك من أين تسقيه؟ الجواب : من عين العلوية . العلامة الرابعة : إن غلط عمك فماذا تهديه ؟ الجواب : لحية معاوية . العلامة الخامسة : إن ضاع عمك فأين تلاقيه ؟ الجواب : بالنسبة . العلامة السادسة : أربعة وأربعين وثلاثة واثنين وقدرهم مرتين في دينك أين ؟ الجواب : بالمسافرة . العلامة السابعة : سؤال : أقسم لي إياهم ، جواب : منهم سبعة عشر عراقي ، وسبعة عشر شامي ، وسبعة عشر مخفي . سؤال : أين يوجدون ؟ جواب : على باب مدينة حران ، سؤال : ما يعملون ؟ جواب : يأخذون بالحق ويعطون بالحق »[١] .

* * *

---

(١) الباكورة السليمانية ص ٩٨ .

الباب الخامس

الصفحات السوداء
في تاريخ النصيرية العلوية

الفصل الأول : تاريخ يقطر عاراً
الفصل الثاني : محاولات الإصلاح
الفصل الثالث : حكم الإسلام فيهم

الفصل الأول

تاريخ يقطر عاراً

يذكر ابن كثير في كتاب «البداية والنهاية» في أحداث عام سبع عشرة وسبعمائة : «وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه «محمد بن المهدي» القائم بأمر الله ، وتارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والأرض ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وتارة يدَّعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين وأن النصيرية على حق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضُّلال ، وعين لكل إنسان منهم تقدمة ألف ، وبلاداً كثيرة ونيابات وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقًا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون : لا إله إلا علي ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان ، وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد واإسلاماه ، وسلطاناه ، واأميراه فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال تلك الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبحهم الله أجمعين .

وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكت البلاد كلها ، ونادى في تلك البلاد إن المقاسمة بالعشر لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين قل : لا إله إلا علي ، واسجد لإلهك المهدي الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهزوا وعملوا أمراً عظيمًا جدًّا ، فجردت إليهم العساكر ، فهزموهم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ،

وجمعًا غفيراً ، وقتل المهدي أضلهم ، وهو يكون يوم القيامة مقدمهم إلى عذاب السعير كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ** ﴾[1]

(الحج:٨-١٠).

إن تاريخ هذه الطائفة سواء في القديم أو في الحديث يندى له جبين الحر ومن لديه مسحة عقل أو ذرة كرامة وشهامة ، فما تركوا موقفًا يؤذي المسلمين إلا فعلوه ، ولا طريقًا يهدم سبيل المؤمنين إلا سلكوه ، ولم يكن لهم موقف مشرف يمكن الاستناد عليه والإشارة إليه بل تاريخ طويل ملؤه الكره والبغض والحقد والخيانة والتآمر .

وعندما تمنع النصيريون في مناطقهم التي عرفوا بها في وسط الجبال الوعرة ، واستطاعوا أن يتأقلموا مع تلك البيئات القاسية ، أبعدوا أنفسهم في هذه الأماكن لكي يحفظوا سرهم ويبتعدوا عن غيرهم حتى لا ينكشف سرهم وينجلي أمرهم وتنفضح خباياهم ، وعندما تركوا العيش وسط الكهوف والمغارات وأرادوا أن يسكنوا القصور والعمارات ، عندئذ فطن الناس إليهم وعرفوا مدى خطورتهم ، ووقفوا على فساد عقائدهم وسوء سلوكهم .

- النصيريون والتتار : في غضون عام ٨٢٢هـ استطاع الزحف التتاري بقيادة تيمورلنك من السيطرة على بغداد عاصمة الخلافة العباسية وفعل فيها الأفاعيل ، وفي الوقت الذي وقفت فيه هذه الطائفة تتباهى على الملأ من أن واحدًا منهم اسمه « السيد بركة » استطاع الوصول إلى الأمير تيمورلنك وأقنعه بالانتقام للطائفة النصيرية من أشد الناس عداءً لهم ، وهم أهل الإسلام ظل هو ومن معه ملازمين له في كل تحركاته وهم يدعون له ، ويبشروه بدوام الفتوحات ومزيد من الانتصارات ، حتى استطاع الاستيلاء

---

(١) البداية والنهاية . ابن كثير ١٤/٨١ .

على الموصل عام ٨٩٦هـ ، وساروا معه إلى أن استولى على ديار بكر وعنتاب ، ووقف عسكره على أبواب حلب التي يسكنها عدد كبير من أبناء هذه الطائفة عندها استصرخ أميرها العالم الإسلامي ليقفوا بجانبه ، ويساعدوه على حماية المدينة ، وصيانة أهلها من بطش التتار ، فأرسلوا جنودًا من كل مكان ليقاتلوا التتار ، ويحموا المسلمين من البطش الشديد الذي يتعرضون له من الغزو التتاري، وجاءت الإمدادات من كل مكان ، وجاء المقاتلون من كل أرجاء العالم الإسلامي ليقفوا صفًّا واحدًا في وجه الأعداء ، وليحموا الديار ، ويحفظوا الأرواح بمن فيهم أطفال ونساء وشيوخ النصيريين ، الذين وقفوا ليحاربوا بجانب التتار ضد الخلافة العباسية ، وليدبروا المكائد ، ويرسموا الخطط ويحيكوا المؤامرات .

يقول صاحب كتاب « تاريخ العلويين » :

« وكان نائب أمير حلب هو الأمير النصيري العلوي ـ « تمورطاش » الذي اتصل بتيمورلنك خفية واتفق معه على أن يداهم تيمورلنك حلب ؟ فهاجمها بالفعل ودخلها عنوة ، فأمعن في القتل والنهب والتعذيب مدة طويلة حتى صنع من رؤوس البشر تلة عظيمة ، وقد قتل جميع القواد المدافعين عن المدينة وانحصرت المصيبة بالسنين فقط ؟ ثم سافر تيمورلنك إلى الشام ، وقبل سفره جاءت إليه العلوية النصيرية (درة الصدف ـ بنت سعد الأنصار) ومعها أربعون بنتًا بكرًا من العلويين وهن ينحن ويبكين ويطلبن الانتقام لأهل البيت وبناتهم اللاتي جيء بهن سبايا إلى الشام ، فوعدها تيمورلنك بأخذ الثأر ، ومشت البنات العلويات مع تيمور وهن ينحن ويبكين وينشدن الأناشيد المتضمنة للتحريض على الأخذ بالثأر ، فكان ذلك سببًا في نزول أفدح المصائب التي لم يسمع بمثلها بأهل الشام ، ولم ينج من بطش تيمورلنك بالشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين وأمر تيمورلنك بقتل أهل السنة واستثناء العلويين ـ النصيريين ـ وبعد الشام ذهب تيمور لبغداد وقتل بها تسعين ألفًا »[١].

---

(١) تاريخ العلويين ص ٣٣٤ .

وعندما أغار التتار بقيادة هولاكو على بغداد ، استعان برجل من النصيريين كان يعمل في بلاط الخليفة العباسي يسمى (نصير الدين الطوسي) ، فلما سقطت بغداد في أيديهم ، وأسروا الخليفة العباسي ، تهيب التتار من الاقتراب منه لمكانته ولهيبته ، وكادوا أن يتفاوضوا معه ويتصالحوا ويصلوا معه إلى حل وسط ، إلا أن الطوسي ظل يغريهم به ويشجعهم عليه ويوغر صدورهم منه حتى قتلوه وتخلصوا منه هو وكل من معه ولم يتركوا صغيراً ولا كبيراً بأبشع صورة وبأقسى طريقة .

● النصيريون والحروب الصليبية :

في أثناء الحروب الصليبية وعندما جاءت جحافل الأوروبيين من جميع أنحاء القارة الأوروبية وهم في غاية التعصب والكره للمسلمين ، ويرفعون راية الصليب للقضاء على الأماكن الإسلامية المقدسة عندها وقفت قوات حرس السواحل في وجههم ، وتمنعت كل الموانئ من السقوط في أيديهم حتى دب اليأس في قلوبهم ، وبدأت أعداء غفيرة منهم في العودة مرة أخرى إلى بلادهم ، وعندما أحس النصيريون أن المحاولة الصليبية من الممكن أن تفشل ، بدأ الزعيم النصيري « فيروز » حاكم منطقة أنطاكية وطرسوس في محاولات مستميتة إلى الوصول إلى قائد الصليبيين « بوهموند » والتفاوض معه والاتفاق على اقتحام منطقة الساحل من منطقته التي سوف يسهل له مسألة الاقتحام والعبور منها ، وبذلك وجد الصليبيون موضع قدم لهم على الساحل فاندفعت جيوشهم الجرارة إلى منطقة الساحل وانطلقوا منها إلى بقية المناطق التي دمرت العالم الإسلامي بأسره ، وأزهقت أرواح الملايين التي لا يمكن عدها ولا حصرها وقضت على نهضة العالم الإسلامي بأكمله[١] .

يعلن النصيريون بكل فخر واعتزاز وقوفهم بجوار الحملات الصليبية ومساعدة القوات الغازية على اقتحام البلاد وقتل العباد ويعدون ذلك مأثرة لهم

---

(١) تاريخ العلويين ص ٢٩٣ .

ومفخـرة يفتخـرون بهـا في المجـالس والمنتـديات ، فقـد رفعـوا مـذكرة إلى الحكومة الفرنسية أثناء الاحتلال بتاريخ ١٩٣٦/٧/٣م أعلنوا فيها : (هل يجهل فرنسيو اليوم بأن حملات الصليبيين ما كان لها أن تنجح ، وما كـان لحصـونها أن تبقى إلا في القسم الشمالي الغربي من سوريا ، أي في بلاد النصيرية ، إننـا أكثر الشعوب إخلاصًا لفرنسا).

• أطماع النصيريون في لبنان :

عندما اشتعلت الحرب الأهلية الخطـيرة الـتي حـدثت في لبنـان ، كـان مـن المفروض على العقلاء أن يتدخلوا لإطفاء النيران المشتعلة التي أحرقـت أبنـاء الوطن الواحد في مشهد مأساوي لا يمكن تصوره أو معايشته ، وعنـدما دخـل الجيش السوري لبنان تصور الجميع أنه دخل لإنهاء هذه المأساة ، ولوضع حد لهذه الفوضى التي عمت البلاد ولكن المفاجـأة ظهـرت سـريعًا ، عنـدما علـم الجميع أن القـوات السـورية دخلـت لبنـان لا لإطفـاء الـنيران ، ولكـن لمزيـد اشتعالها ، وتأجيج أوارها ، وتوسيع نطاق نيرانها ، والأدهى من كل ذلـك أنهـم وقفوا مع الموارنة المسيحيين ضد المسلمين ، ووقفوا مع الشيعة ضد السنيين ، ومع اليهود ضد الفلسطينيين ، ذهب النصيريون إلى منطقة طرابلس وتل الزعتر ذات الأغلبية السنية ليساندوا النصارى الموارنة ضد المسـلمين مـن أهـل السـنة وفعلوا فيهم الأفاعيل التي لا تخطر على بال البشر ، فلم تكن مجرد مناوشات بين فريقين مختلفين بل كانت حرب إبادة وتطهير ، فقد قامت القوات السـورية بالانطلاق من حي (بعل محسن) صاحب الأغلبيـة النصـيرية وكـذلك في حـي باب التبانة الذي يبعـد عنـه قلـيلاً بتحريـك كتيبـة قوامهـا أربعـة آلاف جنـدى وأطلقوا نيران المدفعية الثقيلة المتطـورة علـى أهـل السـنة في مدينـة طـرابلس وكذلك أغار عليهم الطيران الحربي من فوقهم ، ودمـر منطقـة الكـورة وتربـل والتبان وظل العدوان على المدينة عشرين يومًا متواصـلاً ، وقـدرت الصـواريخ التي أطلقت في هذه الفترة ما يقرب من مليون صاروخ وقذيفة ، لمـا أدى إلى

تدمير مدينة طرابلس حتى أصبحت مدينة أشباح يعبث فيها الخراب والدمار، وظلت النيران مشتعلة فيها أيامًا طويلة لا تجد من يطفئها .

وما زالت أيدي النصيريون تعبث في لبنان إلى اليوم ، فلا يمر يوم دون سقوط قتلى وجرحى جراء العمليات الإرهابية التي يقوم بها النظام الطائفي الحاكم في سوريا ، الذي يعتبر نفسه حاميًا وحارسًا للطائفة النصيرية في كل مكان ، وخاصة في سوريا ولبنان ، وهو الآن يحاول تصفية القيادات السنية الموجودة في لبنان ، كما استطاع تصفيتها في سوريا ، وبذلك تكون لهم اليد الطولى في المنطقة بأسرها ، ولا يجرؤ واحد على مواجهتهم أو الوقوف في وجوههم .

يقول كمال جنبلاط الزعيم الدرزي اللبناني : « وهؤلاء النصيريون يتمتعون في غالبيتهم بقسط وافر من الذكاء وقد عرفوا كيف يتصرفون بمهارة فباتوا يتمتعون بنفوذ راجح في داخل الدولة والحزب والإدارة ، وهذا هو الذي أهلهم للاستيلاء على السلطة بكاملها ، والسيطرة على كل مفاصل الدولة وهم قلة وسط أكثرية لا تمت لهم بصلة »[1] .

عندما فتح الصحفي اللبناني (سليم اللوزي) صاحب مجلة (الحوادث) الباب لبحث ملف التدخل السوري في الشأن اللبناني ، وكشف بالدليل القاطع والبرهان الساطع خطورة هذه القوات على الأمن القومي للبلاد ، وتزايد نفوذ النصيريين اللبنانيين في طرابلس بلبنان ، وكشف النقاب عن وجود تنظيم مسلح يقوم بتنفيذ هذه المخططات يتزعمه النصيري (علي عيد) ، لم يتحمل النصيريون وقع هذه الحقائق على نفوسهم ، فقاموا بقتل هذا الكاتب الصحفي بطريقة وحشية بشعة ، وقاموا بإحراق يده اليمنى التي أمسكت القلم وسطرت جرائمهم وما اقترفته أيديهم .

---

(١) هذه وصيتي . كمال جنبلاط ص ١١٥ .

وصول النصيرية إلى السلطة في سوريا :

كانت هناك مراسلات متصلة بين القائد الفرنسي على منطقة الشام (الجنرال غورو) ورئيس وزرائه (ميليران) ، جاءت هذه المذكرة المؤرخة في ١٩٢٠/٨/٦م تحمل عنوان : (مخطط لتنظيم الانتداب في سوريا) يقول : بالنسبة لهؤلاء المقيمين في المنطقة الساحلية (النصيريين) والذين يتكلمون العربية ، فإنهم يشكلون جماعة دينية مرتبطة نظريًّا بالإسلام ، لكنها في الواقع منفصلة عنه تمامًا ويجب أن لا تندمج بالمسلمين)[١].

وفي إحدى رسائل الجنرال غورو إلى رئيس وزرائه يقول فيها: (أفيدكم بهذا الصدد أن النصيريين قد ساعدوني كثيراً في قمع الفتنة التي أثارها الشريف في منطقة تلكلخ ، وقد تلقيت برقية تفيد أن ثلاثة وسبعين زعيمًا نصيريًّا يتحدثون باسم القبائل ، يطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة .

ويضيف الجنرال غورو (أن الانقسامات بين الصفوف السورية ذات فائدة كبيرة لنا من أجل احتواء الحركة المنظمة ضدنا) .

يقول محمد كرد علي : « إن ثورة صالح العلي ترتبط بالصراع الذي كان قائمًا بين النصيرية والإسماعيلية وهو صراع قديم منذ أيام الدولة الفاطمية ، ثم اشتد في الحقبة التي استولى فيها الإسماعيليون على قلعة (قده موسى) التي كانت تعد من أهم المراكز النصيرية ، وفي هذا الوقت استعان الجنرال الفرنسي غورو بقيادة العلويين الذين مر ذكرهم لإنهاء النزاع بين فرنسا وصالح العلي ، كما طلب الفرنسيون من أحد زعماء الجبل (النصيري) وهو أحمد حامد أن يعرض على الشيخ صالح العلي رغبتهم في إنهاء الحرب والدخول في مفاوضات ، فانتهت الثورة باستسلام صالح العلي في تشرين الأول عام ١٩٢١م[٢].

---

(١) المختصر في تاريخ البشر . لأبي الفداء ٥٣/٤ .

(٢) البداية والنهاية . ابن كثير ٨١/١٤ .

لقد تم الاتفاق بين شيوخ النصيرية العملاء والمستعمر الفرنسي على إقامة خطة يتم بموجبها سيطرة النصيرية على قيادات الجيش السوري ، كما ساعدوا موارنة لبنان على السيطرة على الجيش اللبناني ، وبناء على هذا التعاون استغل النصيرية فترة ما بعد الاستقلال ، وهي الفترة التي لم تكن الأمور قد استقرت بعد ، ولم يكن هناك أحد قد انتبه إلى خطورة المرحلة عندئذ ظهرت مجموعة من الأحزاب الصغيرة والضعيفة وقصيرة العمر من التغلغل في حزب البعث العربي الاشتراكي الذي تأسس على يد الصليبي ميشيل عفلق والنصيري زكي الأرسوزي ، والذي اعتمد في المقام الأول على تجميع الأقليات من النصارى والإسماعيلية والدروز والنصيرية وبعض العلمانيين المرتدين من أهل السنة ، ضد كل من له انتماءات وطنية أو إسلامية ، انطلقت قوافل حزب البعث عام ١٩٤٧م واستغلت الأوضاع المتردية لغالب أهل البلاد ، ونقمة بعض سكان القرى والبوادي على من ينتمي إلى أهل السلطة والنفوذ ، وعلى الساسة والتنفيذيين من أبناء المدن وعلى المثقفين وعلى أبناء الشريحة الإقطاعية الذين ينتمون تاريخيًّا إلى أهل السنة ، لإحساس أبناء هذه المناطق أنهم حرموا طويلاً من أبسط الخدمات ، التي ذهبت إلى من هم أحسن منهم حالاً وأكثر منهم مالاً ، فوجد الحزب إقبالاً ورواجًا وانهالت طلبات الانتساب إليه ، فبدأ في إعداد كوادره وتهيئة قيادته ، وتكوين عناصره ، الذين تسللوا سريعًا إلى صفوف الجيش في أعداد كبيرة ومنتقاة بعناية ، وشكلوا أرضيته العريضة ، وكانت باكورة عملهم القيام بالانقلاب العسكري الذي تسلم فيه مقاليد الحكم والسلطة في البلاد في ١٩٦٣/٣/٨ م .

ولم تمض ثلاث سنوات على تسلمهم السلطة وتمكنهم من البلاد حتى حدث في ١٩٦٦/٢/٢٣م انقلاب داخل حزب البعث ، حيث انقسم الحزب إلى فريقين متصارعين ، الفريق الأول : شمل مؤسس الحزب ميشيل عفلق ورئيس الدولة أمين حافظ ومجموعة من القوى اليمينية التي فرت إلى خارج البلاد

واتجهت صوب الفرع الآخر من الحزب في العراق ، وأما الفريق الثاني : فكان يتكون من القوى اليسارية والاشتراكية ومعظمهم من النصيرية ، وعلى رأسهم رجلهم الأول صلاح جديد الذي أدار البلاد من خلال واجهة سنية شكلية ضعيفة يمثلها الرئيس نور الدين الأتاسي ، وبرز في هذه التركيبة حافظ الأسد الذي تسلم وزارة الدفاع بعد أن أمضى ستة أشهر في بعثة خاصة به في لندن ، جرى فيها كل الترتيبات والارتباطات وتم فيها أخذ كل التعهدات المطلوبة ، وأخذوا عليه أيضًا كل العهود والمواثيق التي تربطه بكل القوى الصهيونية والصليبية ، ووضعوا فيها كل الخطط التي يمكن تنفيذها في المنطقة .

اجتماع القرداحة : ١٩٦٠م .

وعلى صعيد آخر ، بعيدًا عن الأضواء ، وفي جنح الظلام ، وفي السراديب المغلقة كانت هناك ترتيبات أخرى ومن شكل آخر ، حيث اتفق شيوخ النصيرية على عقد اجتماع في قرية القرداحة لتوحيد الجهود وترتيب الصفوف ، والتخطيط لمستقبل أفضل من أجل الطائفة وأبنائها وكان الاقتراح على إشراك الضباط العسكريين الذين ينتمون إلى فرقة النصيرية وعلى رأسهم : محمد عمران ـ محمد نبهان ـ صلاح جديد ـ حافظ أسد .

وكان من نتائج هذا الاجتماع اتخاذ قرار بضرورة انخراط ضباط الجيش النصيريين في أعمال حزب البعث العربي الاشتراكي ، وذلك لاستغلاله وجعله سلمًا للوصول إلى سدة الحكم ، وخلص الاجتماع أيضًا إلى اتخاذ عدة قرارات هامة منها :

١- منح الضابط محمد عمران رتبة (باب) وتكليفه بالتخطيط للمنظمات العسكرية وكيفية توزيعها على المنظمات الوطنية لاستغلالها في تحقيق الأهداف المطلوبة والتستر عليها .

٢- الموافقة على بقاء محمد عمران في صفوف الوحدويين (المطالبين بالوحدة

بين مصر وسوريا) من ناحية الظاهر فقط ، وأما في الحقيقة فهو العمل من أجل الطائفة وتحقيق أهدافها .

٣- التغرير بالضباط الدروز والإسماعيليين من أجل اكتسابهم إلى صفهم ومن أجل التعاون معهم واستغلال وجودهم وإمكانياتهم .

٤- منح عزت جديد رتبة (نقيب) في المذهب ، وهي رتبة تؤهله للمسئولية عن غيره داخل الطائفة .

٥- الموافقة على إحلال إبراهيم ماخوس محل والده في رتبته الدينية .

٦- تكليف المشايخ ورؤساء الطائفة لدعوة أبنائهم للتضامن والتعاون وتشجيعهم على الانخراط في صفوف الجيش في جميع تخصصاته ودرجاته .

اجتماع حمص : ١٨ **يولية (تموز) عام** ١٩٦٣م .

حيث اجتمع الشيوخ وزعماء الطائفة والمسئولين عنها لدراسة النتائج التي قام بها محمد نبهان والدور الذي قام به ووكل إليه وطلب منه لإبعاد أربعمائة ضابط وتسريحهم من الجيش بعد الأحداث التي عرفت آنئذ باسم ١٨ تموز ، وقد حضر هذا الاجتماع نفس الأشخاص الذين خططوا لاجتماع القرداحة ١٩٦٠م ، وقد أسفر هذا الاجتماع عن النتائج الآتية :

١- ترفيع محمد نبهان إلى رتبة (نجيب) وهي رتبة دينية رفيعة المستوى ، وذلك تقديراً لدوره الفعال والمؤثر في أحداث ١٨ تموز وما بعدها والنتائج التي أسفرت عنها .

٢- منح محمد عمران الوشاح البابي الأقدس ، وتكليفه بمتابعة نشاطه في رفع مستوى النصيريين .

٣- إعادة النظر بالتخطيط الموضوعي والمستمر والدؤوب بشأن انضمام المزيد من أبناء الطائفة المثقفين إلى حزب البعث والدخول باسم الحزب في الكليات العسكرية ومؤسسات الجيش المختلفة .

٤- التخطيط لمستقبل أفضل للطائفة ، والعمل بخطط بعيدة الأمد لوضع الأسس العلمية لقيام الدولة النصيرية وعاصمتها حمص .

٥- تكليف الضابط صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية الموجودة في صفوف الجيش ومنحه أرفع رتبة عسكرية (مقدم) .

٦- مواصلة نزوح النصيرية من كافة قرى الريف إلى المدن وخاصة حمص واللاذقية وطرطوس .

٧- منح حافظ أسد رتبة دينية وترفيعه إلى رتبة أعلى (نجيب) وهي تلي رتبة (جديد) .

٨- منح عزت جديد وعلي حماد رتبة (المختص) .

٩- السعي لاستئصال العناصر الدرزية والإسماعيلية الموجودين في صفوف الجيش ، والعمل على إحلال العناصر النصيرية مكانهم .

١٠- تسليم القيادة المدنية السياسية إلى إبراهيم ماخوس ، وإعداده ليكون رئيسًا لوزراء الدولة النصيرية المنشودة .

اجتماع جب الجراح : ٣٠ كانون ثان ١٩٦٨م .

توالت الاجتماعات الطائفية والتي تخطط لمستقبل الطائفة ونظرتهم البعيدة في الوصول إلى كراسي الحكم وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على القضاء على كل المعارضين للطائفة النصيرية سواء كانوا سنيين أو دروز أو إسماعيليين أو حتى مسيحيين ، وإلغاء التعليم الديني الإسلامي ومصادرة المدارس الخاصة .

اجتماع صبورة : ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٦٨م .

وفي هذا الاجتماع الذي عقد في دمشق تلاه اجتماع آخر في ٣ أيار (مايو) من السنة نفسها في بيت النجيب حافظ أسد ضم كلاً من المقدم صلاح جديد ، وإبراهيم ماخوس وشفيق عبدو والشيخ علي ضحية والشيخ أحمد سلمان

الأحمد والشيخ سليمان العلي وأسعد تقلا وعلي نعيسة ومحمد الفاضل وزكي الأرسوزي وأنيس خيربك وعزت جديد وسهيل حسن وغيرهم[١] .

- لقد ظهرت أولى بوادر الدور الخياني لحافظ الأسد في حرب أكتوبر ١٩٧٣م حيث قام بتسليم القاعدة العسكرية العملاقة والهامة التي تسمى (قلعة المشرق) وخطوط دفاعاتها الحصينة ، وكذلك مدينة القنيطرة مرتفعات الجولان إلى الجيش الإسرائيلي دون قتال ، بل صارت قصة إعلان حافظ الأسد لسقوط القنيطرة وهضبة الجولان في يد الجيش الإسرائيلي (الصهيونى) قبل سبعة عشر ساعة من وصول القوات الإسرائيلية إليها يوم الحادي عشر من يونيو عام ١٩٦٧م وذلك في البيان العسكري الرسمي الصادر من وزارة الدفاع برقم ٦٦ ، وشكلت هذه الواقعة مهزلة عسكرية ، وخيانة وطنية ، تندر بها قيادات الجيش السوري الشرفاء ، وكذلك قادة الجيش المصري والأردني الذين شاركوا في هذه المعركة وخاضوا غمار هذه الحرب ، ولقد سجل أحداث هذه المهزلة سعد جمعة رئيس الوزراء الأردني في ذلك الوقت ، الذي ألف كتابًا أسماه (المؤامرة الكبرى ومعركة المصير) قال فيه : (ظهر الخامس من يونيو (حزيران) اتصل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير دعاه إلى منزله لأمر عاجل هام ! وتم الاجتماع في الحال ، فنقل السفير للمسؤول السوري نص برقية عاجلة من حكومته تؤكد أن سلاح الجو الإسرائيلي قد قضى قضاء مبرمًا على سلاح الجو المصري ، وأن المعركة بين العرب وإسرائيل قد اتضحت نتائجها ، وأن إسرائيل لا تنوي مهاجمة النظام السوري ، وأن إسرائيل من قبل ومن بعد بلد اشتراكي يعكف على التجربة الاشتراكية (البعثية العلوية) ولذا فمصلحة سوريا مصلحة الحزب ، ومكاسب الثورة أن تكتفي ببعض

---

(١) من الممكن الرجوع إلى مجلة الصياد اللبنانية وخاصة العدد رقم ١١٢٣ بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٤م ص ١٨-٢١ ، وكذلك مجلة الحوادث اللبنانية البيروتية في العدد ٦٠٨ بتاريخ ١٩٦٨/٧/٥م ففيهما الكثير من الأسرار التي لم تعرف .

المناوشات البسيطة والظاهرة التي تحفظ ماء وجهها وتكفل لنفسها السلامة ، وذهب المسؤول السوري ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيــادة القطرية والقومية ، وعاد الرسول السوري غير بعيد ليبلـغ السـفير استجابة الحـزب والحكومة والقيادات لمضمون البرقية ، لم يكن هـذا الوسـيط سـوى حـافظ الأسد ؟! وسلامًا بعد ذلك على الوطنية والوطنيين والإخـلاص والتفـاني في حب التراب الوطني ، وهكذا تكون القيادات والزعامات ومن بيدهم مقاليـد الأمور ، وصيانة الـبلاد مـن شـر العبـاد ، وعنـدما انكشـفت هـذه الفضـيحة وأصبحت من النوادر والنكـات الـتي يتـذاكرها القـوم فيمـا بيـنهم ، ومثـارًا للضحك والاستهزاء والسخرية وبدلاً من تحويـل أصـحابها إلى المحاكمـة بتهمة الخيانة العظمى ، وإذا بالطريق يمهد لحافظ الأسد ليتولى مقاليد البلاد في سهولة وبساطة وكأن الطريق قد فرشت له بالورود والرياحين ، ولكنهـا للأسف طريق الخيانة والخســة والندالـة ، وبعـدها يخـرج وزيـر خارجيتـه الدرزي المقيت إبراهيم ماخوس بكل صفاقة ووقاحة ليعلن في خطاب عام بقوله : « ليس مهمًّا أن يحتل العدو دمشـق أو حتـى حمـص وحلـب فهـذه جميعًا أراضي يمكن تعويضها ، وأبنية يمكن إعادتها ، أما إذا قضـي علـى حزب البعث فكيف يمكن تعويضه ، وهو أمل الأمة العربيـة ، لا تنسـوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلي هو إسقاط الحكم التقدمي في سـوريا ، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث فهو عميل لإسـرائيل ؟! طبعًـا واضـح قصة عميل لإسرائيل هذه التي أزكموا بها أنوفنا ، وأسالوا بها دمـاء أشـرف شرفائنا ، وحطموا بها آمال شبابنا ، وفي الحقيقة هـم الـذين يتمرغـون في أوحالها ، ويلوكون في أرجاسها وأوساخها .

كتب الأستاذ / سامي الجندي سفير سوريا لدى فرنسا إبان حرب حزيران ١٩٦٧م عن سلسلة من الخيانات التي وقع فيها عدد كبير من الساسة والقادة الكبار ، وسطرها في كتاب أطلق عليه اسم « أتحدى وأتهم » .

كما أعلن الرئيس المصري محمد أنور السادات في خطاب جماهيري ألقاه في أول مايو عام ١٩٧٩م أن الملك فيصل بن عبد العزيز حذر الحكومة المصرية من تصديق دعاوى النظام السوري العلوي أو التعاون معه وذلك أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

وقال : « إن الألغام قد أزيلت يومها من هضبة الجولان والقنطرة قبل دخول الإسرائيليين وأن السلطة قد بادرت بإعدام الضابط الذي أعلن عن سقوط الجولان قبل سقوطه »[١] .

ويبرر هذه الخيانات واحد من أكابر مؤرخيهم وهو النصيري (محمد بن غالب الطويل) مؤلف المرجع النصيري المعروف وهو كتاب « تاريخ العلويين » يقول فيه :

« ولما كان لابد للضعيف المظلوم من التوسل بالخيانة لكي يحافظ على حقوقه أو يستردها ـ وهذا أمر طبيعي يساق إليه كل إنسان ـ كان العلويون كلما غصب السنيون أموالهم وحقوقهم يتوسلون بغدر السنيين عند سنوح الفرصة »[٢] .

معركة الدستور ١٩٧٣م :

من أول ما قام به حافظ الأسد بعد سيطرته على السلطة في سوريا أن حرض مجموعة من العلمانيين للمطالبة بإلغاء النص المثبت في الدستور الذي ينص على أن دين الدولة هو الإسلام ، وأبدى على الفور موافقته على هذا الطلب ، غير أن العلماء والشيوخ وقفوا بقوة وشجاعة ودافعوا عن هذا النص فما كان منه أنه وضعهم في السجون ونكل بهم ، فخرجت جموع المسلمين تؤيد موقف العلماء ، فاضطر للإفراج عنهم تباعًا وإثبات النص في الدستور مع التوصية على بقائه لفظًا دون معنى ولا تنفيذ .

---

(١) صحف لبنان يوم ٢ مايو (أيار) عام ١٩٧٩م .

(٢) تاريخ العلويين ص ٤٠٧ .

- في يوم ١٩٧٤/٢/٢٠م : أصدر الرئيس السوري حافظ الأسد مرسومًا سريًّا يحمل رقم ٢٢٠٤ إلى المحامي العام السوري ، وكذلك المرسوم الموجه إلى وزير العدل «محمد أديب» مؤرخ في ١٩٧٤/٢/٢٥م يأمر بالإفراج عن جواسيس يهود معتقلين في السجون السورية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م .
- وفي عام ١٩٧٥م : خرج المجاهد السوري مروان حديد وجهر بعدائه لحكم النصيريين في سوريا فألقى القبض عليه وأعدم في عام ١٩٧٦م ، وعلى إثرها تم تدمير المدن السنية والتجمعات المؤيدة لهم في حلب وحماة وجسر الشغور ، وقاموا بحملات موسعة من الاعتقالات والقتل العشوائي بقيادة المجرم رفعت الأسد وكتائب سرايا الدفاع التي شكلوها خصيصًا للقيام بهذه المهمات الشيطانية .
- مجزرة مخيم تل الزعتر في عام ١٩٧٦م : اتحدت المليشيات المارونية الصليبية مع الجيش السوري النصيري ، واتفقت على حصار واقتحام مخيم تل الزعتر الفلسطيني السني ، الذي كان يحتوي على سبعة عشر ألف فلسطيني كلهم من أهل السنة ، حيث دكت المدفعية هذا المعسكر ، في نفس الوقت حاصرت السفن الحربية الإسرائيلية الشواطئ المجاورة لمنع أي إمدادات أو مساعدات ، أو حتى فرار الأبرياء والعزل ، وظل ذلك الحصار حول المخيم من البر والبحر والجو حتى استطاعت تلك القوات من اقتحام المخيم وارتكبوا فيه مجازر تقشعر منها الأبدان ، ويشيب من حولها الشبان ، ويندى لها جبين الشجعان وقدرت الخسائر الظاهرة حوالي ستة آلاف قتيل وعدد كبير من المصابين والجرحى ، ودمرت المعسكر عن آخره ولم يخرجوا منه إلا بعد أن تركوا أصحابه بين عاجز وقتيل .

مجزرة حماة الكبرى :

قام رفعت الأسد بتجميع كل أفراد سرايا الدفاع ، وكان عدد الجنود وقتها حوالي خمسة وخمسين ألف جندي كلهم من الطائفة النصيرية الذين تم تدريبهم على أحدث الوسائل العسكرية ، وزودوهم بأحدث الأسلحة الميكانيكية ، وقاموا بالهجوم على مدينة حماة ، حيث أقاموا حولها المتاريس وحاصروها من كل ناحية ، وفصلوها عن بقية المدن ، عن طريق قطع طرق الإمداد والتموين والاتصال ، وظلوا في قصف المدينة بطريقتهم الوحشية المعهودة ، بشكل مركز ، بينما أعدت الخطط لدخول القوات الخاصة لاقتحام المنشآت السكنية ، والأحياء الآهلة بالسكان ، وقد دخلت إلى المدينة قوات اللواء ٢١ مدرع ، وقوات اللواء ٤٧ المدرع ، وقوات الفرقة الثالثة المدرعة بقيادة العميد النصيري شفيق فياض ، وقوات سرايا الدفاع المشاة التي يقدر عددها بحوالي عشرة آلاف جندي ، وقوات الوحدات الخاصة بقيادة العقيد النصيري سليمان الحسن التي يقدر عدد أفرادها بحوالي ثلاثة آلاف جندي ، وقوات من لواء المهمات الخاصة بقيادة العقيد النصيري علي الديب ، وعناصر أخرى إضافية من سرايا الدفاع بقيادة النصيري عدنان الأسد . قامت هذه الجحافل باقتحام مدينة حماة وأخذوا يدكونها صباح مساء بلا رحمة ولا هوادة ، وكأنهم ينتقمون من أهلها لالشيء إلا أنهم من أهل السنة . . وكانت حصيلة هذه المجزرة الوحشية هدم ٨٨ مسجداً من مساجد المدينة وكان عددهم الإجمالي مائة مسجد . هدم ٢١ سوقًا تجاريًّا ، هدم سبع مقابر للأموات المسلمين الذين طالهم القصف ، فلم تكن تلك الوحشية الإجرامية على الأحياء فقط بل وصلت إلى الأموات أيضاً . تم تدمير ثلاثة عشر حيًّا من الأحياء السكنية عن بكرة أبيهم ، وقد أبيدت أسرة الكيلاني عن آخرهم ، ويصل عددهم حوالي ثلاثمائة رجل ، غير النساء والأطفال ، وكانت حصيلة القتلى في هذه المجزرة حوالي أربعين ألف قتيل ، واعتقال خمسة عشر ألفاً ومن الجدير

بالذكر أن أحداث هذه الواقعة تمت مناقشتها من خلال لجنة منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في مدينة جنيف في دورتها السابعة والثلاثين ، ووزعت تفاصيل أحداث هذه الواقعة في وثيقة رسمية صادرة عن الأمم المتحدة رقم ٤/١٤٦٩ بتاريخ ١٩٨١/٣/٤م

مجزرة هنانو بمدينة حلب عام ١٩٨٠م :

وقعت هذه المجزرة في صبيحة أول يوم من أيام عيد الفطر المبارك ، وقد خرج أهل البلدة إلى صلاة العيد فخرجت عليهم مجموعة مسلحة من القوات الخاصة ، وكان ذلك في قرية المشارقة ، حيث أجبروا أهل القرية جميعهم على الخروج من منازلهم ومحلاتهم وأماكن عملهم وجمعوهم في مقبرة البلدة وفتحوا عليهم النيران الكثيفة حتى أجهزوا عليهم جميعاً ولم يتركوا منهم أحدًا.

مجزرة جسر الشغور ١٩٨٠م :

حدثت هذه الواقعة في شهر آذار ١٩٨٠م ، حيث توجهت ست عشرة طائرة حربية تحمل معها مجموعة كبيرة من القوات الخاصة وتوجهوا إلى منطقة جسر الشغور الواقعة في محافظة أدلب الشمالية ووجهت هذه الطائرة صواريخها ومدافعها صوب القرية ، واستمر القصف ثلاثة أيام متصلة من الجو ومن البر حتى قضوا على سكان هذه المنطقة بكاملها ، وقاموا بالتمثيل بجثث القتلى الملقاة في الطرقات والبيوت ولم يرحموا رجلاً ولا امرأة ، ولم يتركوا صغيراً أو كبيراً ، وقد روى أحد الناجين من هذه المجزرة بقوله : إن القوات النصيرية قامت بشق بطن طفل صغير عمره ستة أشهر وقسموه إلى نصفين أمام عيني أمه التي لم تتحمل الموقف الفاجعة ، فسقطت وقد فاضت روحها .

معركة الحجاب عام ١٩٨٠م :

في هذا العام وصلت المأساة على أيدي القوات الخاصة وسرايا الدفاع إلى درجة لاتحتمل فقد عاثوا في الأرض فسادًا ، وأسرفوا في القتل والتعذيب ، وانتشرت مجموعات الاعتقال جهارا نهارا بلا ضابط ولا رادع ، وبلا أسباب

واضحة ومعروفة ، ولكن لمجرد الظن أو الاشتباه ، غير أنهم في هـذه الواقعـة جنـدوا مجموعـات مـن المظليـات النسـاء التابعـات لكتائـب سـرايـا الـدفاع النصيرية ، وكن يجبن شوارع دمشق العاصمة ، فإذا عثرن على محجبة ، قمـن بالاعتداء عليها ونزع حجابها ، وإلقائهـا علـى قارعـة الطريـق بشـكل وحشـي همجي بربري لايعرف الرحمة ولا الشفقة بل كن يتعمدن الضرب على الوجه والرأس وعلى الأجزاء الضعيفة عند المرأة .

قامـت جريـدة (لوسـيرم رونوبسـتة) السويسـرية الصـادرة بتـاريخ ١٧/١٠/١٩٨٠م بفضح هذه الواقعة ونشرت تفاصيلها المخزيـة علـى النـاس أجمعين .

مجزرة سجن تدمر ١٩٨٠م :

منذ تولي حافظ الأسد مقاليد السلطة في سـوريا ، وهـو يضـع أهـل السـنة نصـب عينيـه ، ويـوليهم اهتمامـاً كـبيرا ، ويخصـهم بقـدر وافـر مـن التعـذيب والتشـريد ، وذاقـوا منـه جميـع أصـناف الإجـرام ، وفي عـام ١٩٨٠م تعـرض لمحاولة اغتيال قام بها بعض المواطنين غير أنها بـاءت بالفشـل ، فحمـل أهـل السنة مسؤولية هذه الحادثـة ، فقـام شـقيقه رفعـت الأسـد قائـد سـرايا الـدفاع المرعبة برد فعل انتقامي وإجرامي على هذه المحاولة ليؤدب كل من تسول له نفسه أومجرد التصورأنه من الممكن أن ينال من القائد العظيم ، وألقوا القـبض علـى خـيرة شـباب وعلمـاء البلـد وأودعـوهم سـجن تـدمر وهـو فـى منطقـة صحراوية جعلها خصيصاً للمعتقلين من أبنـاء الحركـات الإسـلامية وجماعـة الإخـوان المسـلمين ، فقـاموا فجـر اليـوم السـابع والعشـرين مـن شـهر يونيـو (حزيران) عام ١٩٨٠م عن طريق مائتي عنصر من اللواء ٤٠ واللواء ١٣٨من سرايا الدفاع وحاصروا السجن من كل مكان وانهالوا علـيهم مـن كـل مكـان ، فعن طريق الجو : خرج الطـيران الحربـي علـى شـكل أسـراب وهـم يطلقـون عليهم سيلاً منهمراً من الصواريخ والقنابل ثقيلة الوزن ، وعن طريق البر : فتحوا

نيران المدفعية الثقيلة وألقوا عليهم القنابل الحارقة والصواريخ الموجهة التي انهمرت عليهم من كل مكان وهم ضعفاء عزل محبوسين في زنازين ضيقة ، لا قوة لهم ولا حيلة ، واستطاعت هذه القوات خلال نصف ساعة من القضاء على كل المساجين ولم ينجو منهم واحد ، ثم قامت الشاحنات الكبيرة بحمل الجثث وإلقائها في حفرعميقة في وادي ضيق شرق بلدة تدمر ، ووصل عدد القتلى في هذه المجزرة ما يزيد على سبعمائة مسلم سنى .

وفي عام ١٩٨٢م :

عندما اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان وحاصروا العاصمة بيروت قام الجيش السوري المتواجد في الأراضي اللبنانية بحصار بيروت بلا إمداد ولا تموين ، وكذلك محاصرة الفلسطينيين المقيمين في منطقة البقاع ، وتركوهم نهباً للإسرائيلين الذين اقتحموا هذه المنطقة بمساعدتهم وتأييدهم وتحت بصرهم ، مما ساعد على زيادة الخسائر المادية والبشرية بين صفوف المسلمين ، وجموع الآمنين .

في ١٩٨٢/٥م :

انسحبت القوات السورية وتركت المجال للقوات المارونية الصليبية لارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وقتل فيها خمسة آلاف مسلم بوحشية لانظير لها .

في ١٩٨٥/٥م :

حاصرت قوات أمل الشيعية ، بالاتفاق مع القوات السورية ودخلوا مخيم صبرا وشاتيلا الفلسطيني فبدأوا بحصار المخيم حتى ألجأوهم إلى أكل القطط والكلاب ، ثم دخلوا عليهم وهم في حالة من الضعف والإعياء وقاموا باقتحام المخيم وكانت الحصيلة ثلاثة آلاف ومائة قتيل ، وخمسة عشر ألف جريح ومهجر ، وتدمير المخيم عن آخره وارتكاب فظائع وفضائح يندى لها الجبين .

في ١٩٨٥/١٠م :

قامت القوات السورية بدك حي (بعل محسن) في مدينة طرابلس السنية اللبنانية ، بدأوها بارتكاب مجزرة في العاصمة بيروت ثم انتقلوا إلى الحي ، وعلى مدى عشرين يوماً أطلقوا أكثر من مليون صاروخ وقذيفة دمرت أكثر من نصف أبنية المدينة ، وشاركت القوات المارونية في الهجوم ، ومنعوا عنهم الطعام والوقود وسقط عدد لايحصى من القتلى والجرحى ، وفر من المنطقة مايزيد عن ثلاثمائة ألف مهاجر ونازح ، وقد ساهمت إيران في هذه المهزلة عن طريق المفاوضات التي قامت بها .

الفترة ما بين ١٩٨٦ - ٢٠٠٠م :

بدأ الطاغوت النصيري حافظ الأسد في إعداد ابنه باسل لخلافته ليس في رئاسة سوريا فقط ولكن ترسيخاً لمملكة النصيريين ، التى بدأ فى تأسيسها وإرساء دعائمها وفرضها على أرض الواقع ، وأول ماصنع لتمهيد الطريق له ، أنه قام بإزاحة كل المعارضين ، وتنظيف الساحة من كل المناوئين وإبعاد كل من يثبت عليه أي توجه دينى ، أو التزام قبلى نحو أهله وعشيرته ، ثم أعد الخطة الملائمة له ، فقامت وسائل الإعلام بتسليط الأضواء عليه . ثم أعطى الشركات الأجنبية التي تعمل في مجال استخراج البترول في سوريا٦٠٪ من الناتج الإجمالي بينما أعطى٤٠٪ للجانب السوري ، وكان هو شخصيًّا الذي يمثل الجانب السوري ، وتحولت عائدات البترول إلى حسابه الشخصى في بنوك سويسرا ، وتم إبرام اتفاقات سرية بين شخصه وبين كل الشركات التي تعمل في هذا الجانب ، ثم اتخذ طريق التطبيع مع العدو الصهيوني وفتح أبواب سرية معهم ، واستمال إلى جانبه بعض الشيوخ الذين تمكن من شرائهم أو من تخويفهم ، وبينما تسير خطة التوريث فى طريقها المرسوم ، وإذا بالناس جميعا يفاجأون في عام ١٩٩٦م بموت باسل في حادث سير عادي في منتصف الليل بعد سهرة مع أصدقاء السوء ، وفوجئ المجتمع الدولي أن حساب باسل في البنوك السويسرية وصل إلى عشرين مليار دولار رفضت هذه

البنوك إعادة المبلغ إلى بلده لأنه حساب خاص والقتيل لا أسرة له ولا ورثة له، ولذلك احتفظت هذه البنوك بذلك المبلغ الذي حرم منه الشعب السوري الذي يعاني الفقر ويكابد المحن، ويصارع الأمرين فى شئون حياته، ثم اضطر حافظ الأسد أن يحضر ولده الآخر بشار وهو طبيب عيون مكث في بريطانيا عشر سنين، ولايعرف شيئا عن أحوال الشعب السورى، ولا فى شئون السياسة، وفى ليلة لا يعرف لها صباح، وبين عشية وضحاها تم تغيير الدستور ليتلاءم مع الحاكم الجديد، الذى لم يكن سنه وصل إلى الحد الذى يقرره الدستور.

مرحلة بشار الأسد:

ولد بشار حافظ علي سليمان الأسد يوم ١١ سبتمبر ١٩٦٥م، ودرس في المدارس المختلفة في دمشق ثم التحق بكلية الطب وتخرج من قسم العيون عام ١٩٨٨م، ثم سافر إلى بريطانيا لاستكمال دراسته الطبية ولم يمكث فيها سوى فترة قصيرة بعدها استدعاه والده إلى العودة بعد موت شقيقه الأكبر باسم في حادث سير، وعاد بعدها إلى سوريا عام ١٩٩٤م.

ثم التحق بالكلية الحربية بحمص وتخرج منها ضابط مدرعات في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٤م برتبة ملازم أول، وفي شهر يولية (تموز) من نفس العام أي بعد سبعة أشهر تم رفعه وترقيته إلى رتبة نقيب، وبعدها بسنة واحدة في يولية (تموز) ١٩٩٥م رقي إلى رتبة رائد، وفي تموز ١٩٩٧م رقي إلى رتبة مقدم ركن، وفي كانون الثاني ١٩٩٩م رقي إلى رتبة عقيد ركن وأصبح قائد لواء مدرع بالحرس الجمهوري.

تولى بشار الأسد السلطة بعد وفاة والده يوم ١٠ يونية (حزيران) ٢٠٠٠م، ولم يكن أحسن حظًّا من والده فقد ظهرت أمارات الفساد واضحة وعلامات التدهور الإداري في البلاد بادية، وتزايد نفوذ رجال الأعمال وأصحاب الأموال في السيطرة على مفاصل العمل السياسي، والتحكم في الاقتصاد بجميع أشكاله وأنظمته. وعندما عمت رياح الربيع العربي تجتاح البلاد العربية ظن

السوريون أن أبواب الفرج قد فتحت وأن أيام الفساد قد ولَّت ، ففي يوم ١٥ آذار عام ٢٠١١م خرجت مجموعات من الشباب السوري من مدينة درعا ودمشق من داخل المسجد الأموي ، تندد بالفساد الموجود في البلاد وتعترض على سياسة القمع وكبت الحريات وتكميم الأفواه التي يتبعها النظام الحاكم ، وتصور البعض أن الشاب الخجول طبيب العيون ، الذي نال قسطًا من تعليمه في عاصمة النور والضباب (لندن) سوف يكون له رأي متفتح وموقف مستنير ، غير أن هذه التوقعات كانت وهمية وخاطئة وفي غير محلها ، فقد واجه المعترضون والمتظاهرون باستخدام الأسلحة الثقيلة ، وهجمت عليهم مجموعات من قوى الأمن وقوات الشبيحة بشكل همجي واستخدموا أقسى أنواع التعامل ، وعلى الفور سقطت مجموعات من الشباب مضرجة في دمائها بين قتيل وجريح ومصاب ، ومن نجا من ذلك تم اعتقاله وإيداعه السجون المظلمة التي تعرضوا فيها لأبشع ألوان العذاب .

اندلعت بعدها شرارة الثورة من كل المدن السورية ضد هذا النظام الذي تعود على الظلم والبطش والتنكيل وسفك الدماء وتعقبت قوات النظام لكل المحتجين وقضت عليهم واحدًا تلو الآخر ، ووصل عدد القتلى في الأيام الأولى فقط إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل ، غير أعداد الجرحى والمصابين فلا يمكن حصرهم ولا الوقوف على عددهم . وسرعان ما انشق عدد كبير من أفراد القوات المسلحة السورية ، وكذلك عدد من المسئولين الكبار والوزراء والمحافظين والمدراء وشكلوا قوات «الجيش السوري الحر» الذي دخل مع قوات النظام في مواجهات شرسة ومعارك طاحنة ، ولم يكن للنظام السوري القدرة على الصمود بعد هذه الانشقاقات والتصدعات التي أصابته من داخله ، وأوشك على السقوط لولا وقوف روسيا والصين وإيران وقوات حزب الله اللبناني بجانبه ومساندته وتقوية صفوفه والدفاع عنه حتى لا يتهاوى أو يسقط أمام معارضيه ومناوئيه وقد ارتكب نظام بشار الأسد مصائب وبلايا لا تقل عما

اقترفته أيدي من سبقوه ، وفعل مثلما فعلوه بل فاق التصور والخيال وفعل ما لم يفعله السابقون ، ومن هذه الجرائم على سبيل المثال لا الحصر :

● **مجزرة سجن صيدنايا** ٢٠٠٨م :

وهو سجن عسكري ، حدثت فيه حركة عصيان وتمرد حيث قام السجناء وهم من معتقلي الحركة الإسلامية بحالة من التمرد والتظاهر داخل السجن ، فأحضروا مجموعة كبيرة من القوات الخاصة في يوم ٥ يولية (تموز) ٢٠٠٨م ودخلوا عليهم السجن وأطلقوا عليهم النيران الكثيفة فسقط كل من في السجن صريعًا ومقتولاً سواء كانوا من المساجين أو المتظاهرين أو حتى من الحرس ، وقامت المجموعة التي اقتحمت السجن بأعمال إجرامية واستفزازية لدرجة أنهم كانوا يتعمدون القيام بأعمال لا يقبلها أحد على الإطلاق كأن يضعوا صفحات القرآن الكريم تحت أقدامهم ، ويمثلوا بالجثث ويحرقوا القتلى ، ويقال إن سبب اعتراض المساجين وتظاهرهم أن إدارة السجن طلبت منهم تكوين مجموعات قتالية لإرسالهم إلى العراق لتنفيذ مهمات خاصة ضد القوات الأمريكية المتواجدة هناك ، فلما رفضوا أطلقوا النار عليهم وقضوا عليهم جميعًا قضاءً مبرمًا .

● **مجزرة اللاذقية : الأحد** ١٤ **أغسطس** ٢٠١١م :

يوجد في حي الرمل بمحافظة اللاذقية ذات الكثافة النصيرية العالية مخيمًا للاجئين الفلسطينيين ، فأرادت القوات التابعة لبشار الأسد إخلاء هذا المخيم فدخلت قوات الجيش ترافقها مجموعات من قوات كتائب حزب البعث وقوات الأمن السورية وفرق الشبيحة وقوات البحرية ودخلوا حي الرمل الواقع في الجنوب ، واقتحموا المدينة بما يزيد عن عشرين دبابة وعدد من الآليات الثقيلة العسكرية تصاحبها زوارق حربية من جانب الساحل ، وبدأت كل هذه القوات في قصف المدينة من كل جانب ، وبالطبع لم يقتصر القذف على حي الرمل فقط بل تعرضت جميع الأحياء للقصف العشوائي والضرب الأهوج وإطلاق

النار الأرعن ، والذي نجا من هذا القصف تعرض لإلقاء القبض عليه وإيداعه سجون الاعتقال ولم ينج من هذا أحد حتى العلويين أنفسهم ، وامتلأت شوارع أحياء اللاذقية بكاملها بجثث القتلى فسقطوا بكثافة شديدة في حي الصليبة والقلعة وقنينص والسكنتوري ومسبح الشعب وعين التمرة وبستان السمكة وبستان الصيداوي وبستان الحميمي ، مما اضطر السكان للنزوح والخروج منها مسرعين ليحموا أنفسهم وذويهم من هذا البطش الفتاك ومن هذا العدوان الغاشم ، واتجهوا ناحية جبلة المجاورة وكالعادة ارتكبت القوات المقتحمة كل أنواع الإجرام التي لا يتصورها بشر ، ومما يذكر أن هذه القوات اقتحمت أحد المساجد عندما استمعوا إلى المؤذن يرفع الأذان فأردوه قتيلاً وأخذوا يضربون جثته بالنيران بشكل هستيري .

- **الهجوم الكيماوي على حي الغوطة** ٢٠١٣م :

رصدت الأمم المتحدة استخدام قوات بشار الأسد للأسلحة الكيماوية المحرمة دوليًّا ضد شعبه وضد أبناء وطنه في مدينة الغوطة مما أوقع الكثير من الضحأيا بصورة يندى لها الجبين من الأطفال والشيوخ والنساء وممن لا دخل لهم في الصراعات والاعتداءات ومن الآمنين في بيوتهم والقاطنين في ديارهم وقدمت الاستخبارات الألمانية تقريرًا مفصلاً عن هذه الوقائع بكل أبعادها وأشكالها المخزية ، واتهمت بشار الأسد بصورة شخصية بالمسئولية عن ارتكاب هذه الجرائم بأوامر شخصية منه .

- **مجزرة البيضا** ٢٠١٣م :

- تقدمت عدة منظمات دولية للأمانة العامة للأمم المتحدة بتقرير مفصل مكون من ٦٨ صفحة ومزود بكل الأدلة والبراهين وجعلوا له عنوان «لم يبق أحد» ، حيث قامت قوات النظام السوري بقصف قرية البيضا وبانياس في مايو ٢٠١٣م أمام أعين الجميع وبكل بجاحة وشراسة واقتحمت المنازل وأخرجت كل السكان ، وجمعت الرجال في ساحة واسعة وأطلقوا

عليهم النيران حتى قضوا عليهم جميعًا وبعدها قاموا بإشعال النار في الجثث وأحرقوهم عن بكرة أبيهم .... «ولم يبق منهم أحد»؟!

- **مجزرة الحولة :**

ولقد سجلت أيضًا الصحائف المودعة لدى منظمة الأمم المتحدة الدولية والتي تحمل في طياتها الفظائع والجرائم التي ارتكبها جيش بشار الأسد بكل قسوة ووحشية ودمار لم يسبق له مثيل على طول التاريخ البشري فقد اقتحمت هذه القوات مدينة الحولة وقصفتها بالمدفعية الثقيلة ودمرتها بشكل كامل ولم تخرج منها إلا بعد أن تركتها كومة من تراب فوق رؤوس ساكنيها وقاطنيها .

- **القصف بالبراميل المتفجرة :**

وهذه الطريقة من اختراع النظام النصيري ، ومن استحداثات بشار الأسد ، حيث تعودوا على ضرب الشعب السوري بالبراميل المملوءة بمادة **TNT** شديدة الانفجار وإلقائها فوق البنايات والعمارات على رؤوس السكان بصورة عشوائية حيث تقوم الطائرات بإلقاء هذه البراميل على المدن دون تمييز لمكان على مكان آخر وخاصة في المناطق التي يتواجد فيها المعارضون من جبهة النصرة وجيش الفتح والجيش الحر ، كما تم استخدام هذه الطريقة بشكل موسع في حلب وداريا وكل المدن السورية بلا استثناء ، ولقد أحصت بعض وكالات الأنباء أن مدينة داريا وحدها سقط عليها ستة آلاف برميل متفجرات .

- **في يناير (كانون الثاني) ٢٠١٤م :**

أصدرت وكالة أنباء الأناضول ملفًّا كاملاً مكونًا من ٥٥ ألف صورة لقرابة ١١ ألف ضحية كلهم قتلوا بأيدي قوات النظام النصيري السوري بوسائل مختلفة للتعذيب ، وبطرق مستحدثة لم تعرف من قبل من الممكن أن ترقى لوصفها ارتكاب جرائم حرب ليس ضد الشعب السوري فحسب . بل ضد الإنسانية جمعاء .

* * *

الفصل الثاني

محاولات الإصلاح

نظراً لأن هذه الطائفة تقوم في أصلها على العقائد الباطنية السرية فـإنهم في وقت الشدائد والصعاب والمحن يستخدمون ما يعرف عندهم باسم «التقية» ، فهم يظهرون شيئاً غير الذي يبطنونه ، ويقولون غير الذى فـى قلـوبهم ، حـدث هذا في مرات عديدة مرت عليهم علـى مـدى تـاريخهم ، فعنـدما يستشـعرون الخطر ، ويرون المصائب قد أحدقت بهم وأحاطت من حولهم ، فإنهم يظهرون الإسلام ويتمسكون بالشعائر الإسلامية الظاهرة ، فـإذا زال ذلـك الخطـر فـإنهم يعودون إلى طبيعتهم ، ويعيشون حياتهم التي تعودوا عليها .

غير أن عددا من زعماء المسلمين ـ على طول التاريخ وعرضه ـ حاولوا معهم أكثر من مرة إقناعهم بطبيعة الإسلام الواضحة النقية، وقاموا بتعليمهم شعائر الإيمان الطاهرة الزكية ، غير أن كل هذه المحاولات قد باءت بالفشل ، وانتهت إلى ما كان عليه الأمر من سوء بل أكثر ، ومن أهم هذه المحاولات :

١ - صلاح الدين الأيوبي :

الذي وقف على حقيقة القوم ، وخبرعنهم أخلاقهم وتصرفاتهم ومواقفهم من الأعداء أثناء الحملات الصليبية ، فبعد أن قضى على الصليبيين ، وأبعدهم عن الديار الإسلامية ، عاد إلى منطقة النصيريين وبدأ معهم صفحة جديدة ، وتجاوزعن كل أفعالهم الدنيئة ، ومواقفهم المخزية ، وأرسل إليهم الدعاة والعلماء وبنى لهم المساجد ، وأمر بالأذان والصلاة فيها ، وتابع معهم محاولات الإصلاح بهدوء وروية،وشجعهم على الصيام وإظهار شعائر الإسلام،

فأطاعوه ونفذوا أوامره ، واستجابوا لكل مادعى إليه ، وفي نفس الوقت دبروا له أكثر من محاولة لقتله والقضاء عليه ، ولكن الله تبارك وتعالى نجى صلاح الدين من هذه المحاولات الخسيسة ، فلما مات صلاح الدين تركوا كل ذلك ، وعادوا إلى سابق عهدهم ، وحولوا المساجد إلى إصطبلات للخيول وزرائب للبهائم .

٢- الظاهر بيبرس :

بعد أن فرغ المسلمون من دحر الغزو التتاري والقضاء عليه في معركة عين جالوت عام ٦٧٦هجري : ١٢٦٨م قام أيضاً الظاهر بيبرس بنفس الدور الذي قام به سابقه (صلاح الدين الأيوبي) مع التشابه الواضح فى كلا الموقفين ، فبعد موقف الفرقة النصيرية من الغزو التتاري وما قاموا به من خيانات ، وما أظهروا من دسائس ومؤامرات ، وتحالفهم الغادرمع التتار ، وقيامهم بالتحريض على قتل الخليفة العباسى وسائر أفراد أسرته وعائلته، بعد كل هذه السلسلة التى لاتنتهى من البلايا والمصائب التى ارتكبوها فى حق الإسلام والمسلمين ، وبعد أن زالت هذه الغمة ، من الغزو التتارى ، واندحرت هذه النقمة ، عاد الظاهر بيبرس ومن معه من الجند والقادة والعلماء والشيوخ ، إلى منطقة النصيرية ، ناويا فتح صفحة بيضاء ، وبداية مرحلة خضراء ، تقوم على الصراحة المتبادلة ، والمشاركة المخلصة ، على شريطة أن تعود هذه الفرقة إلى صف المسلمين ، فأمرهم ببناء المساجد وطلب منهم إظهار الشعائر ، والتمسك بالمناسك ، فقاموا ببنائها في أماكن بعيدة عن سكنى ديارهم ، فكان ذلك سبباً في هجرها وعدم إعمارها ، بل إن الشخص الغريب عندما يحل على هذه البلاد ، ويدخل هذه المساجد ، ويقوم بالأذان فيها ، كانوا يمرون عليه ويقولون له : لا تنهق كالحمير فسوف يأتيك علفك بعد قليل ،(كما يروى ذلك الرحالة ابن بطوطة)، ولم تدم هذه المرحلة طويلا ، فسرعان ما عادوا إلى سابق عهدهم ، وأزالوا هذه المساجد من على ظهر الأرض ، فما كانوا يستطيعون بقاءها أمام أعينهم .

٣- السلطان العثماني سليم الأول :

فقد أكثر من بناء المساجد في هذه المنطقة وقام بالعديد من الإصلاحات ، غير أنهم عادوا ونكثوا على عهدهم مرة أخرى .

٤- إبراهيم باشا بن محمد علي :

قام أيضاً بمحاولات متعددة من أجل تغييرواقع هذه المنطقة ، وتحسين حال هؤلاء القوم إلى الأفضل فاستجابوا له في بداية الأمر ثم عادوا إلى ماكانوا عليه ونكثوا على عهدهم معه .

٥- السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى :

عندما علم السلطان بأن الدولة الإيرانية استطاعت أن تتواصل مع النصيريين ، وإقامة الاتفاقيات فيما بينهم ، وأصبحوا أداة في أيديهم ، فهم يميلون إليهم بعواطفهم ، ومن الممكن أن يجعلوهم شوكة فى ظهورهم ، قام بإرسال أحد رجاله إلى هذه المنطقة ، واسمه (ضياء الدين باشا) وجعله متصرفاً (واليا) على لواء اللاذقية ، فأنشأ لهم المساجد والمدارس والمشافي ، فساروا معه في خطته وسايروه فى إنجاح هدفه ، وأظهروا القيام بالصلاة والمحافظة على الصيام والاحتفال بشهر رمضان ، وأقنعوه كلهم على أنهم على الإسلام سائرون وعلى طريق الإيمان المستقيم متمسكون ، فلما ترك ضياء الدين باشا منصبه ، وجاء غيره خربت المدارس ، وأحرقت المساجد ، ودنست بالأوساخ .

٦- الإمام أحمد بن تيمية :

قام الإمام أحمد بن تيمية بمحاولة شجاعة تجاه فرقة النصيرية ، فقد جهز جيشا كبيرا وقام بغزو بلاد النصيرية فى عقر دارهم فى جبل كسروان وفتح بلادهم بالقوة المسلحة ، وكاتب السلطان فى شأنهم ، وكان له معهم مواقف بطولية رائعة ، فقد تخلص من كبار شيوخهم الذين كانوا يضلونهم ويساعدونهم على الغى والفساد ، وجهز ابن تيمية مجموعة من طلاب العلم الشرعى ،

والدعاة والوعاظ والمصلحين ، وقاموا بحملات موسعة فى طول هذه البلاد وعرضها ، ليوضحوا لهم الإسلام بصورة واضحة وجلية ، ويعرفوهم العقائد الصحيحة والعبادات السليمة والمعتقدات المفروضة ، وأخذت هذه الحملات التثقيفية والدعوية فى تعريف هؤلاء القوم ما يجب عليهم معرفته ، ومايجب عليهم تركه ، وظهرت ملامح النجاح ، واستبشر الناس خيرا ، وانتشرت السنة ، وارتفعت الأصوات بالأذان ، وامتلات المساجد بالمصلين ، وأضاءت المساجد الشوارع والطرق والبيوت ، ولكن سرعان ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه ، وعادت الأحوال الى سابق عهدها .

وهناك من الباحثين والدارسين من يبررحرصهم الدائم وسعيهم الدائب على إزالة المساجد من الأماكن التى يسكنون فيها ، وذلك يرجع إلى الاعتقاد السائد عندهم والمترسخ فى وجدانهم أن من عرف ربه ، وعرف معنى التكاليف ، صار حرا غير مكلف ، وبهذا ترفع عنه الصلاة وسائر العبادات ، وبقاء المساجد فى نظرهم دليل على وجود طبقة الجهال ، وهذه صفة ذميمة يوصف بها المقصرين ، والذين لا يعرفون الرب حق المعرفة ، ولا يعرفون أوامره الظاهرة والباطنة ، ولذلك فإنهم لايحبون أن يوصموا بهذه الصفة ، ويوصفوا بهذه المنقصة ، وأن تكون بينهم هذه المساجد التى تدل على وجود طائفة الجهال ، وهم منها برآء .

وفي عام ١٩٧٤م اعترف المرجع الشيعي اللبناني موسى الصدر بأن طائفة النصيرية من الفرق الإسلامية ، وليست خارجة عن نطاق الإسلام .

- وكانت هناك محاولات متعددة من بعض شيوخهم وزعمائهم للانسلاخ تماماً بعيداً عن الإسلام ، ويعلنوا رسميًّا الانفصال عن الانتساب إلى الإسلام من أصله ، وكانت هذه المحاولات بمباركة من الفرنسيين الذين كانوا يعدون هذه الطائفة للقيام ببعض الأعمال العدائية والتخريبية ضد جيرانهم

فى المنطقة ، مستغلين فى ذلك حالـة الاحتقـان والتخـوف والتـوجس بـين الفريقين ، غير أن هذه الدعاوى رفضها فريق كبير من شيوخهم الذين خافوا علـى أنفسـهم ومـن معهـم مـن غضـبة المسـلمين ضـدهم ، فهـم مـع كـل مايرددونه مـن أقـوال بـأنهم مسـلمين، ومـع ذلـك فقـد وقـف لهـم العديـد بالمرصاد ، ونالوا منهم بالكثير من الاضطهاد والتعذيب والتشـريد ، فكيـف الحال عندما يعلنون بأنفسهم براءتهم من الإسلام وتخلصهم منه ، وابتعادهم عنه؟ معنى ذلـك أنهـم يعطـون لهـؤلاء المتربصـين بهـم المـبرر الشـرعي ، والمستند القانوني الذي يبـيح لهـم مطـاردتهم في كـل مكـان يحلـون فيـه ، والقضاء عليهم قضاء مبرما ، ولذلك فقد اجتمع شيوخهم في قرية القرداحة في قضاء جبلة ، وأعلنوا فيه صراحة وجهـة نظـرهم ، وطبيعـة توجهـاتهم ، وتأكيدًا على الأمرالذى استقر عليه رأيهم ، فقد أصدروا بياناً موقعاً من كـل الحاضرين ، وأرسلوا نسخة من البيـان الختـامي لـذلك المـؤتمر إلى وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ، وكان من أهم ما جاء في ذلـك البيـان : (إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام ، وما الإمام عليّ سوى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره ووحيه ، وأول من آمن بالإسلام ، ومن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلامي مكـانـه؟! فليس الكاثوليكـي والأرثوذكسـي أو البرتستانتني سوى مسيحيين ، وليس العلوي والسني سوى مسلمين ، ففي المثـل الأول لا تبطـل الكثلكـة أو الأرثوذكسـية أو البروتسـتانتية مسـيحية المسيحي ، وفي المثل الثاني القـول بـرأي الشيعـة أو بـرأي السـنة إسـلام المسلم . إن القرآن الشريف هو كتاب العلويين ، سواء أكانوا طلاب وحـدة أم طلاب انفصال ، ومن كان القرآن الكريم كتابه فهو مسلم أحب أم كـره ، إلا أن يرتد عن الإسلام[١] .

---

(١) تاريخ العلويين ص ٦٠ .

وأضافوا في أقوالهم : (نحن الموقعين الشيوخ الروحيين المسلمين العلويين دحضاً لما يشاع عن أن المسلمين العلويين غير مسلمين ، وبعد التداول بالرأي ، والرجوع إلى النصوص الشرعية قررنا البندين الآتيين :

١- كل علوي هو مسلم يعتقد بالشهادتين ، ومقيم أركان الإسلام الخمس .

٢- كل علوي لايعترف بإسلاميته ، وينكر أن القرآن الشريف كتابه ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله نبيه ، فلا يعد بنظر الشرع علويًّا ، ولايصح انتسابه للمسلمين العلويين . (تحرر هذا البيان في شهر يوليو من عام ١٩٣٦م)[١] .

فرد عليهم الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف بفتوى مؤرخه في يوم ٢٢ من محرم عام ١٣٥٥هـ الموافق ٣١ من يوليو (تموز) ١٩٣٩م ما نصها : « إن هؤلاء العلويين مسلمون وأنه يجب على عامة المسلمين أن يتعاونوا معهم على البر والتقوى ، ويتناهوا عن الإثم والعدوان وأن يتناصروا جميعًا ، ويتضافروا ليكونوا قلبًا واحدًا في نصرة الدين ، ويدًا واحدة في مصالح الدين ، لأنهم إخوان في الملة ، ولأن أصولهم في الدين واحدة ، ومصالحهم في الدين مشتركة ، ويجب على كل منهم بمقتضى الأخوة الإسلامية أن يحب للآخر ما يحب لنفسه ، وبالله التوفيق »[٢] .

وفي عهد ضياء الدين باشا عقد مؤتمراً موسعًا جمع فيه شيوخ النصيرية وكبراءها وزعماءها وأصحاب الرأي والفكر والمكانة الاجتماعية ، وفي نهاية المؤتمر أرسلوا إلى السلطان مذكرة توضيحية بأعمال المؤتمر والنتائج التي اتفقوا عليها وتوصلوا إليها ، قالوا فيها :

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٣١٠ ، تاريخ العلويين ص ٦٢ .

(٢) المسلمون العلويون من هم ؟ منير الشريف ص ١٠٧ .

« إن جميع أبناء الطائفة العلوية دخلوا في الإسلام عن رضا وطيب خاطر ، وأنهم أرسلوا رؤساءهم ومشايخهم لينوبوا عنهم بين يدي السلطان بالإقرار والاعتراف بانتمائهم للإسلام ولا شيء سواه» .

وبنفس الطريقة وبذات الأسلوب وقف الرئيس السوري حافظ الأسد في شهر يوليو (تموز) عام ١٩٨٠م وأعلن على الناس أنه ينتمي إلى الإسلام منذ ثلاثين سنة .

* * *

الفصل الثالث

حكم الإسلام فيهم

إننا ندرك تماما أن الأمة الإسلامية فى أمس الحاجة إلى تضافر جهود أبنائها جميعا ، ولا نتمنى أن ينشق فريق عن هذا الصف ، فكل إضافة إلى رصيد المجموع زيادة فى القوة ، ودفعا للأمام ، ولكن عندما يكون العطب فى الأصول وفى المصادر الأصلية ، فالامرعندئذ يكون خطيرا ، والخطب جليلا ، وربما يكون الخلاف فى مسألة واحدة من مسائل العقيدة يكون سببا فى المروق والخروج من الملة ، فما بال الأمر عندما يصل الخلاف إلى جميع مسائل العقيدة ، وجميع مسائل العبادة ، وكل ما يرتبط بهذه الفرقة من قريب ومن بعيد ، بل إن الناظر إلى هذه الطائفة يجد أنه ليس هناك ثمة رابط يربطهم بدين الإسلام لا فى الصغير ، ولا فى الكبير ، كما لا يوجد نقطة التقاء لافى العظيم ولا فى القطمير ، فالإسلام في واد وهذه الطائفة بعقائدهم وتصوراتهم وأفكارهم في واد آخر بعيد ، ولذلك فقد أفتى الكثير من العلماء بكفرهم وخروجهم عن الملة منهم :

- يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله :

« هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار الفرنج والترك وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم في

الحقيقة لا يؤمنــون بالله ولا برســوله ولا بكتـابه ولا بأمر ولا بنهي ولا بثواب ولا عقـاب ولا جنـة ولا نـار . . . وصـنَّف علمـاء المسـلمين كتباً في كشـف أسرارهم وهتك أستارهم ، وبينوا ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الـذين يعبـدون الأصنـام ، وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء في وصـفهم ، ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهاتهم وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصـارى علـى المسـلمين ، ومـن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وقهرالنصارى ، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين .

وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جنودهم فإنه من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم ، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم ، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة ، ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، وهو أفضل من جهاد المرتدين ، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين . . .

ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم »[١] . . .

● يقول البغدادي :

« إن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى

---

(١) مجموع الفتاوى الكبرى . ابن تيمية ١٤٥/٣٥ .

والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية ، وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوى الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره ، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر »[1] .

● يقول عضد الدين الأيجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ :

« النصيرية والإسحاقية من الشيعة ، قالوا : ظهور الروحاني بالجسماني لا ينكر ، ففي طرف الشر كالشياطين وفي طرف الخير كالملائكة ، فلا يمتنع أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين ، وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم وهو العترة الطاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم التام والقدرة التامة من الأئمة ، ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم »[2] .

● يقول الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ :

« أما النصيرية فهم من الغلاة الذين يعتقدون إلهية علي ، والغلاة أكفر من اليهود والنصارى »[3]

● يقول الإمام البعلي المتوفى سنة ٧٧٧ هـ :

« القرامطة فمن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالبلاد المصرية والشامية ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين فتارة يسمون الملاحدة ، وتارة يسمون القرامطة ، وتارة يسمون الباطنية ، وتارة يسمون الإسماعيلية ، وتارة يسمون النصيرية ، وتارة يسمون الحزمية ، وتارة يسمون المحمرة ، كما قال العلماء فيهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ، وحقيقة أمرهم أنهم

---

(١) الفرق بين الفرق . البغدادي ص ٤ .

(٢) المواقف . عضد الدين الأيجي ٤٤/٣ تحقيق عبد الرحمن عميرة . دار الجيل ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ : ١٩٩٧م .

(٣) تلخيص « الاستغاثة » لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ٥٨٣/٢ .

يكفرون بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وهم تارة يبنون قولهم على مذهب المتفلسفة الطبيعي ، وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النار ، وتارة على غير ذلك من ديون الوثنيين ، ويتدرجون من كل إلى الرفض ويموهون على العامة بالاحتجاج بتحريف الآيات والأحاديث أو بالكذب على الله ورسوله »[١] .

● قال برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ :

« النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة ، قالوا : ظهور الروحاني بالجسماني . . . ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم . . . وهذه ضلالة بينة »[٢] .

● يقول الإمام جلال الدين الدواني الصديقي المتوفى سنة ٩٢٨هـ :

« إن النصيرية اتخذوا عليا إلها واعتقدوه ، وذلك ما هو إلا لمعنى فيه يوجب الترجيح قلنا لا شك بكفر هذه الطائفة اتفاقاً ، وهل يحتاج للرجحان بقول الكافر إلا من أعمى الله قلبه وبصره »[٣]

● قال ابن تيمية :

« النصيرية هم من غلاة الرافضة الذين يدعون إلهية علي ، وهؤلاء هم أكفر من اليهود والنصارى باتفاق المسلمين ، ويقولون إن شهر رمضان أسماء ثلاثين رجلاً ، إلى أنواع من الكفر الشنيع يطول وصفها ، والنصيرية يعظمون القائلين

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية ، بدر الدين محمد بن علي البعلي ص ٤٧٤. تحقيق محمد حامد الفقي . نشر دار ابن القيم . الدمام . السعودية الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ : ١٩٨٦م.

(٢) مصرع التصوف . برهان الدين البقاعي ص ٨٠ تحقيق عبد الرحمن الوكيل . نشر دار العباس أحمد الباز . مكة المكرمة عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٢م .

(٣) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة . جلال الدين الدوائي الصديقي ١٩٧/١ . تحقيق ودراسة دكتور عبد الله حاج علي منيب . مكتبة الإمام البخاري الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

بوحدة الوجود كالتلمساني شيخ القائلين بالوحدة ، فقد ذهب إلى النصيرية وصنف لهم كتابا ، وهم يعظمونه جدًّا »[1] .

● يقول شهاب الدين :

« النصيرية : وهم القائلون بألوهية علي وإذا مر بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن .

ويزعمون أن السحاب مسكنه ، ويقولون إن الرعد صوته ، وأن البرق ضحكه ، وأن سلمان الفارسى رسوله ، ويحبون ابن ملجم ويقولون إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ولهم خطاب بينهم ، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ، ولايذيعه ولو ضربت عنقه ، وقد جرب هذا كثيراً .

وهم طائفة ملعونة مرذولة ، مجوسية المعتقد ، لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات .

ويحكى عنهم في هذا حكايات ، ولهم اعتقاد في تعظيم الخمر ، ويرون أنها من النور ، ولهم قول في تعظيم النور مثل قول المجوس أيضًا أو ما يقاربه .

ومن أيمانهم : إنني وحق العلي الأعلى وما اعتقدوه في المظهر الأسنى ، وحق النور وما نشأ منه والسحاب وساكنه ... وإلا برئت من مولاي العلي العظيم ، وولائي له ومظاهر الحق ، وكشف حجاب سلمان بغير إذن ، وبرئت من دعوة الحجة نصير ، وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق ، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها ، وأمنع سبيلها ، وكنت مع قابيل على هابيل ، ومع النمرود على إبراهيم ، وهكذا مع فرعون

---

(١) آل رسول الله . موقف أهل السنة والشيعة من عقائدهم وفضائلهم وفقههم وفقهائهم ، أصول فقه الشيعة ، بحث لخصه ورتبه : محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم من « منهاج السنة النبوية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٤٣ ، الطبعة الثانية عام ١٤٢١هـ .

قام على صاحبه ، إلى أن ألقى العلي العظيم وهو عليّ ساخط ، وأبرأ من قول قنبر وأدل أنه بالنار ما تطهر »[1].

● وجاء في كتاب شرح الشفا :

« غلاة الشيعة القائلون بألوهية علي ويسمون النصيرية ، ولا شبهة في كفرهم إجماعًا »[2] .

● وقال ابن حجر العسقلاني :

« عتاة الرفض الذين يقولون : « عليٌّ هو الله ، فمن وصل إلى هذا فهو كافر لعين من إخوان النصارى وهذه هي نحلة النصيرية »[3] .

● ويقول ابن قيم الجوزية :

« الخرمية : اصحاب بابك الخرمي ، وهم شر طوائفهم ، ولا يقرون بخالق ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام ، وعلى مذهبهم : طوائف القرامطة ، والإسماعيلية ، والنصيرية ، والبشكية ، والدرزية ، والحاكمية وسائر العبيدية ، وهم من أكفر الكفار »[4] .

---

(١) التعريف بالمصطلح الشريف . ص ١٩٧ . المؤلف : أحمد بن يحيى ابن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدين . المتوفى سنة ٧٤٩هـ . عني بتحقيق وضبطه وتعليق حواشيه : محمد حسين شمس الدين . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٢) شرح الشفا ٥٠٠/٢ . المؤلف : علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهراوي القارئ . المتوفى سنة ١٠١٤هـ الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

(٣) لسان الميزان ٣٧١/١ . المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني . المتوفى سنة ٨٥٢هـ المحقق : دائرة المعارف النظامية . الهند ـ الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢٤٩/٢. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الدين شمس الدين بن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١هـ . المحقق : محمد حامد الفقي . الناشر : دار المعارف . الرياض .

● فتوى دار الإفتاء المصرية :

صدرت عن دار الإفتاء المصرية فتوى في ١٥ ديسمبر عام ١٩٣٤م مأخوذة عن ابن عابدين في كتابه (رد المختار) الجزء الثالث . باب : المرتد ، ما نصها : « تنبيه : يعلم مما هنا حكم الدروز والثيامنة فإنهم في البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح ، وحل الخمر والزنا ، وأن الألوهية تظهر من شخص بعد شخص ، ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ، ويقولون : المسمى بها غير المعنى المراد ، ويتكلمون في جناب نبينا محمد ﷺ كلمات فظيعة ، وللعلامة المحقق عبد الرحمن العماوي فيهم فتوى مطولة وذكر فيهم أنهم ينتحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة والباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف ، ونقل عن علماء المذاهب الأربعة » .

* * *

الخاتمة

إن الخطر الحقيقي من وراء انتشار الفكر الشيعي في هذا التوقيت تحديدًا ، لا يكمن في تداول الأفكار الكفرية ، ونشر المعتقدات المجوسية ، فقد وصل الناس في جميع أرجاء العالم الإسلامي إلى درجة علمية يستطيعون بها معرفة الطيب من الخبيث ، والصحيح من السقيم ولكن الخطر الحقيقي هو تفتيت أوصال الأمة الإسلامية ، وتفريقها إلى أشتات متناثرة وإلى أشلاء مبعثرة ، وملأ القلوب بالأحقاد والضغائن ، وإذا نظرنا إلى المسألة الأهم عند جميع فرق الشيعة ، والمطلب الأول عندهم هو ضرورة إعادة الحق المغتصب من غاصبيه إلى من يستحقه ، وهذا المطلب لا يمكن السكوت عليه أو التهاون فيه ، ولو وصل الأمر إلى التضحية بالأرواح ، وبذل الغالي والنفيس ، وتدمير الكبار ، وتخريب الديار .

وأول ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن هذا الحق المغتصب هو حق إخواننا الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم ، والاستقرار في أوطانهم ، وهذا الحق لا خلاف عليه بين أبناء الأمة الإسلامية فقد تجمعوا من أجل تحقيق هذا الغرض ، وإرجاع هذا الحق المغتصب ، ولكن لو كان هذا الحق المغتصب هو حق عليّ بن أبي طالب في الخلافة وفي تولي الإمامة بعد رسول الله ﷺ بل ولا يمكن السكوت على هذا الحق إلا بعد سلبه مرة ثانية من مغتصبيه وهم أبي بكر وعمر وعثمان بن عفان ، وإعادته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بل لا يمكن الصبر وترك هؤلاء الغاصبون يسرحون في البلاد ، ويمرحون في الأوطان ، دون معاقبتهم أو محاسبتهم ، أو أخذ الثأر منهم وإن

كان هؤلاء الذين اغتصبوا الخلافة قد ذهبوا وماتوا ، فإن أولادهم وأتباعهم من بعدهم ما زالوا موجودين ، وهم الذين يتحملون المسئولية من بعدهم ، ولابد من الثأر منهم ، وإقامة القصاص عليهم .

لقد انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه عز وجل في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، أي أن هذه القضية قد مضى عليها خمسة عشر قرنًا من الزمان ، ولم يصل القوم فيها إلى حل ، والغالب أن جميع الأجيال القادمة لن يصلوا أيضًا إلى حل ، ويرجع السبب إلى شيء يسير وهو أن الزمان يسير إلى الأمام ، ولا يعود إلى الوراء ، فمهما أثيرت هذه المسألة فلن يصل القوم فيها إلى حل ، فهل يمكن لأئمة الشيعة أن يتجاوزوا هذه المسألة ؟! أم أنهم وجدوها فرصة سانحة لنشر بذور الفرقة والشقاق ، بل أيضًا للطم الخدود ، وشق الجيوب ، والتغني بدعوى الجاهلية .

أهم المراجع

١- البداية والنهاية . ابن كثير . دار الفكر العربي . القاهرة .

٢- الكامل . ابن الأثير .

٣- الهفت الشريف . تحقيق وتقديم مصطفى غالب . طبعة بيروت . لبنان .

٤- الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية . سليمان الأضنى ـ طبعة بيروت عام ١٨٦٤هـ .

٥- الجذور التاريخية للنصيرية العلوية . الحسيني عبد الله . طبعة دار الاعتصام . القاهرة . ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٦- خطط الشام . محمد كرد علي .

٧- مروج الذهب . المسعودي .

٨- مذاهب الإسلاميين . عبد الرحمن بدوي . طبعة دار العلم للملايين . بيروت . لبنان ١٩٧٣م .

٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا . أبو العباس أحمد القلقشندي . ط. القاهرة.

١٠- تاريخ العلويين. محمد غالب الطويل اللاذقية ١٩٢٤م .

١١- تاريخ العقيدة النصيرية . رينيه دوسو . مكتبة إميل بوبليون . باريس ١٩٠٠م .

١٢- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي . دكتور أحمد محمد الخطيب . مكتبة الأقصى ـ عمان ـ الأردن .

١٣- يوجد كتاب اسمه «تعليم الديانة النصيرية» وهو مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس تحت رقم ٦١٨٢ وهو على طريقة السؤال والجواب .

١٤- دراسات في الفرق . دكتور صابر طعيمة . مكتبة المعارف . الرياض . السعودية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٥- طائفة النصيرية . تاريخها . وعقائدها . الدكتور سليمان الحلبي ط. الدار السلفية . الكويت ١٩٨٤م .

١٦- النصيرية . الدكتورة سهير الفيل .

١٧- النصيرية . حقيقتها ـ تاريخها ـ عقائدها . دكتور محمد بن إبراهيم الحمد .

١٨- العلويون النصيريون . بحث في العقيدة والتاريخ . أبو موسى الحريري . ط بيروت سلسلة (الحقيقة الصعبة) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

١٩- رحلة ابن بطوطة . دار صادر . بيروت عام ١٩٦٤م .

الفهرس

الباب الثالث

العبادات

(١٢١-١٤٠)

الباب الرابع

العادات والتقاليد

(١٤١-١٦٤)

الباب الخامس

الصفحات السوداء في تاريخ النصيرية العلوية

(١٦٥-٢٠٨)